٥٨٢
583
HARLEQUIN
www.elromancia.com
مرمورية
دور القدر
باتريسيا ويلسون

دور القدر

باتريسيا ويلسون

« ليس هناك من مجال لتفرض علي ما أقوم به، فانسى كل ما تفكر به..»

كان من المؤكد انه ليس من الصعوبة بمكان لستيفاني ان تغادر السماء الرمادية لانكلترا وتذهب الى جزر الكاريبيان المشمسة، وفرصة امضاء بعض الوقت مع ابن اختها، جان - بول، هو ربح اضافي. لكن كان هناك مشكلة في تلك الجزيرة تحت اسم عم جان - بول. الرجل المسيطر كريستيان ديوراند. كيف يجرؤ على ان يفرض السيطرة على حياتهما؟ لقد حان الوقت ليجد من يتصدى له...

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار

« لم فعلت ذلك؟»

« لأن هذا ما اريده.» قال كريستيان ذلك بنعومة، وهو لا يزال يمسك بوجهها. « انني منغمس بالعادات الرديئة للاغنياء. فعادة القيام بما اريده فكرة لا تقاوم، اردت تقبيلك وانا لا ارى سبباً يمنعني من تنفيذ رغبتي.»

سألته ستيفاني:« وكيف سيكون شعورك اذا نفذت رغبتي وصفعتك بقوة على وجهك؟»

www.elromancia.com

باتريسيا ويلسون

باتريسيا ويلسون من مواليد يوركشاير وعاشت هناك حتى تزوجت وانجبت اربعة اولاد. سافرت الى سنغافورة، افريقيا واسبانيا. تحب الكتابة كثيراً لكن اهتمامها الاول هو عائلتها وبيتها، لذا لا تجد الوقت الكافي للكتابة. من هواياتها السفر، والعمل في الحديقة، والموسيقى.

٥٨٣

khouloub Abir 583

دور القدر

باتريسيا ويلسون

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

انتبه ألا تبتاع هذه الرواية من غير غلاف لأنها قد تكون مسروقة، فيجب إبلاغ الناشرين لأن الكتاب الذي لم يبع، يجب إتلافه. فأي من الكاتبة أو الناشرين لم يتقاضوا ثمناً لهذه النسخة المسروقة.

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية:

SENSE OF DESTINY

Copyright © by Patricia Wilson 1994

ISBN 0-263 - 78615 - 3

Mills & Boon first edition October 1994

عنوان الطبعة العربية الأولى عن دار م. النحاس

دور القدر بقلم باتريسيا ويلسون

ترجمة: ايمان ريدان

سلسلة قلوب عبير ٥٨٣

حقوق النشر باللغة العربية محفوظة ومحصورة في جميع البلدان لدار م. النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات – بيروت (دار م. النحاس) بترخيص من هارلكوين انتربرايزس ليمتد (Harlequin Enterprises Limited).
جميع الحقوق محفوظة. باستثناء استعماله في أي مرجعية، يمنع استنساخ هذا الكتاب أو استعماله كلياً أو جزئياً بأي شكل وبأي جهاز من الأجهزة الالكترونية أو الميكانيكية أو الوسائل الأخرى، المعروفة الآن أو التي يتم في ما بعد اختراعها، بما في ذلك الوسائل الزيروغرافية والتصوير والتسجيل أو تخزين أي معلومات منها أو استعادتها بأي جهاز من الأجهزة، من دون الحصول على إذن من الناشر.
كل شخصيات هذا الكتاب ليس لها وجود خارج خيال الكاتبة، وليس لها أية علاقة بأي شخص قد يصدف ويتشابه اسمه مع أحد الأسماء في الكتاب ولا تستند شخصيات الكتاب، أو الأسماء التي تحملها إلى أية شخصية تعرفها، أو لا تعرفها الكاتبة، بل كل أحداث الرواية هي من نسج الخيال الصرف.

العنوان: دار م. النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات - بيروت - لبنان شارع فردان بناية رضوان الطابق التاسع: ص.ب: ١١/٩٧١٨ – فاكس: ٧٤٣٦٣١ (٠١) – هاتف: ٧٤٣٦٣٣ – ٧٤٣٦٣٤ (٠١) – ٢١٦٢٩٣ (٠٣)

عزيزي القارىء

يسعدنا أن نعيد إليك سلسلة عبير التي طال غيابها عن ساحتك الممتعة، وهي إذ تطل عليك من جديد بحلتها الكاملة لتضفي برونقها المميز شغفك للقراءة وحبك للمطالعة.

ونحن، إذ نعيد اليوم هذه السلسلة الى مسرحها السابق، نعدك بانتظام اصداراتنا من عبير بمعدل ٥ روايات شهرياً لتكون سلواك في أوقات متعتك الخاصة.

كما نعدك ببذل الجهد المتواصل من أجل إطلاعك دائماً باللغة العربية على أحدث ما يصدر في هذه السلسلة العالمية وعن لغة الأصل: الانكليزية.

إن رفع وتيرة الاصدار والزيادة في تنويع المواضيع وألوانها إنما هما هاجسنا الدائم.

ولا تنس يا عزيزي القارىء، أن طبعة عبير هذه التي أردناها لائقة بك وبذوقك، إنما هي النسخة الأصلية.

وقوفك إلى جانبنا، إنما يعبر عن اخلاصك لنفسك وذوقك وحرصاً على وقتك الذي نوظفه لك في مجال أدبي ثقافي، مفيد وممتع.

إن وقوفك معنا يوفر لنا الدعم والمناخ اللذين لا بد منهما للمضي قدماً في رحلة العطاء الدائم والتجدد والتنويع...

الناشر

الفصل الاول

سمعت ستيفاني رنين الهاتف وهي تدفع لسيارة التاكسي وتكاد تقع على الدرج من السرعة لتصل الى الباب الرئيسي. لم يكن أمراً سهلاً، التفتيش بين حقائبها محاولة البحث عن المفتاح، لكن كان الهاتف لا يزال يرن عندما دخلت شقتها واسرعت بالتقاط السماعة. كانت ممتنة ان المتصل يتحلى بكل هذا الصبر لينتظر. فأمر جيد الحصول على اتصال هاتفي لحظة دخولك الى المنزل. هكذا ستعلم آخر الاخبار وبدا عليها السرور وهي تسمع صوت المتصل.

قالت بصوت فرح: « مرحباً؟» واتسعت ابتسامتها عندما سمعت صوت المتصل.

« ستيفاني! أين كنت؟ انني اتصل بك منذ اعوام!»

« لقد وصلت للتو الى المنزل. انني اسفة لم استطع الاجابة على الهاتف وانا على الدرج.» ضحكت ستيفاني وهي تعلم رد فعل اختها.

« انا لا اتحدث عن الآن! انا اتحدث عن الايام الماضية!»

« أنت تعلمين انني كنت في مهمة. ولقد اخبرتك بذلك قبل ان اغادر، فيونا.»

« اعلم، لكن اعتقدت انك ستعودين الى المنزل منذ فترة طويلة.»

خلعت ستيفاني حذاءها واستراحت على المقعد. فالصوت المدلل لأختها كان يوضح انها اتصلت لتطلب خدمة. فيونا

لديها طريقة غريبة في طلب الخدمات، فهي تبدأ بالهجوم اولاً ثم تعمل على العواطف، استراحت ستيفاني، فالاتصال سيطول.

سألت، محاولة ان تحتفظ بمرحها: « هل هناك من سوء ما؟»

قالت فيونا، وفي صوتها رنة من اليأس: « ليس بالتحديد، لكن فقط اردت الابتعاد عن هنا، فأنا وتيري لم نذهب بمفردنا الى مكان منذ عصور.»

« حسناً، اذهبا، من يمنعكما ؟» ما ان تفوهت بكلماتها هذه حتى تذكرت ان تيري ليس سيد نفسه، فهناك اخوه الاكبر دائماً في مكان ما.

« لا يمكننا اخذ جان – بول معنا، ولم احصل على احد ليهتم به. لقد بدا الامر مستحيلا.» تنهدت فيونا بشكل درامي. مما جعل ستيفاني تفهم انها محجوزة الان لعمل ما.

فهي لا تمانع في أن تهتم بجان – بول، ولا ان تذهب الى الجزيرة. نظرت من خلال النافذة الى الجبال المحيطة المكللة بالثلج، ففي المطار وفي سيارة النقل كادت ان تتجمد حتى العظم. فامضاء اسبوعين في جزيرة حارة سيكون امراً ممتعاً.

قالت: « آه! يا للأسف!» حاولت ستيفاني ان تحافظ على عدم المبالاة بصوتها فليس من الجيد ان تجعل فيونا تربح بسهولة، كانت شقيقتها ترغب في اخضاع الجميع لأوامرها بسرعة فائقة، وذلك كي ينقذوا انفسهم من طلبها وبكائها.

تابعت فيونا بائسة: « حسناً، الخادمة موجودة، بالطبع، افترضت انني استطيع تركه معها لكن تعلمين، ستيفاني، لا

يمكن الوثوق بها مع صبي صغير وجان – بول صعب المراس عندما يريد ذلك.»

هزت ستيفاني رأسها غير مصدقة. فجان – بول لا يوصف هكذا. انه من الطف الاطفال الذين تعرفهم، حتى انه الطف من فيونا في الواقع، فكرت بالامر، وهي لا تدرك كيف هو هكذا مع فيونا وتيري كوالدين له. فيونا كانت مدللة جداً وهي طفلة ولم تتوقف عن ذلك حتى الآن وتيري يخضع لها وكذلك كل من يعرفها.

وهي تصر ان تكون المسيطرة وعلى كل من حولها ان لا يخالف رغباتها، فلا داعي لكل هذا الكلام عنه، فابنها ولد رائع من المستحيل افساده، انه كالذهب الصافي في كل وقت.

ابتسمت لنفسها بينما استمرت اختها في الكلام، متذمرة من صعوبة الحياة معها، وبينما كانت تتكلم نزعت العقدة عن شعرها الاشقر الطويل. كان رطباً قليلاً لكنه لا يزال يحتفظ بلونه وهي لا تعتقد انها ستخسر لونه قريباً. فهي لا عمل لديها الآن، وكذلك لعدة اسابيع مقبلة وهكذا يمكنها امضاء بعض الوقت بعيداً عن انكلترا.

كان وجهها الجميل لا يزال يلمع من سرعتها المجنونة على الدرج، وعيناها الداكنتان كانتا تلمعان كالعادة، ومليئتين بالمرح.

انهت فيونا كلامها بشكل درامي: « وهكذا يمكنك ان تعلمي، ان لم تأتي وتنقذينا، سيسافر تيري بمفرده وسيتركني هنا بمفردي وانت تعلمين كم اشعر بالملل هنا.»

هزت ستيفاني رأسها بقلق على الهاتف. آه، نعم، سيكون الامر مملاً جداً!

اجمل البيوت على اجمل شاطىء في جزيرة رائعة لم تحلم بمثلها طوال حياتها. كان تيري المسؤول عن كل اعماله ولا يجيب الا على أخيه، الذي كما تعلم ستيفاني، قليلاً ما يظهر. في الحقيقة، هو طاغية، وهذا أمر معروف، لكن من المحتمل انه ليس بطاغية بالنسبة لتيري او لفيونا. واذا لم تتمكن فيونا من تجنب الاخ الاكبر المخيف فهذا يعني ان لا احد يستطيع.

مع ذلك، لا دخل لها بكل ذلك ــ مع انها ترغب جداً برؤية جان – بول ثانية. لم تره منذ سنتين، انه الآن في السابعة من عمره.

قالت بفرح:« حسناً!سأوافق.» علمت انها وافقت في الوقت الصحيح قبل ان تبدأ فيونا بالبكاء:«متى تريدينني ان اذهب؟»

« آه، ستيفاني! هل حقاً تملكين الوقت؟ وانت جادة في قولك؟ أشعر بالذنب ــ وكأنني اضع مشاكلي عليك.»

لم تستطع ستيفاني الا ان تضحك فغطت الهاتف بيدها، لن تتغير فونا أبداً، لقد كانت هكذا عندما كانت طفلة وستبقى دائماً هكذا.

قالت بنعومة:« لا، لا، هذا يناسبني ، فلا اعمال لدي لبعض الوقت ويسعدني جداً ان اذهب، في كل الاحوال، انني بشوق كبير لرؤية جان – بول وانت وتيري بالطبع.»

« آه، سنبقى هنا لفترة قصيرة عندما تصلين.» يبدو واضحاً ان فيونا قد خططت لكل شيء وهي توقعت ان تسيطر على اختها لتوافق:« نحن جاهزان للمغادرة لأننا لا نملك الكثير من الوقت فأنت تعلمين كريستيان كيف هو، فاذا أراد تيري في مكان ما فانه يريده هناك على الفور.»

سعيدة انها لا تعرف كيف هو كريستيان، ما عدا كثرة التذمرات التي تسمعها من فيونا، لكن، فيونا تتذمر بخصوص كل شيء، ربما هو ليس سيئاً كما يبدو، مع انها قد رأت تيري كيف يصبح شاحباً عندما يتكلم على الهاتف مع شقيقه الأكبر.

قررت انه حان الوقت لفيونا كي تنهي كلامها، فلديها الكثير من الاعمال كاعادة توضيب ثيابها وتوضيب ثياب اخرى لرحلتها الجديدة التي لا يبدو ان هناك متسعاً من الوقت لذلك.

قالت:« حسناً، لنتكلم عن التفاصيل.» وتغيرت لهجة فيونا على الفور. الان عادت مرحة وحاذقة، فلا حاجة للضعف الان والتنهدات المتعبة ليست ضرورية بعد.

انهت كلامها بالقول:« اذاً سأراك في اقرب وقت ممكن.»

قالت ستيفاني:« اعتمدي علي.»

وضعت سماعة الهاتف ووقفت لتخلع معطفها، امسكت بحذائها ودخلت الى غرفة النوم. انه لعمل متعب، الاصغاء الى فيونا، كل هذاالصمت الان تغيير مريح. كان عملها السابق مليء بالضجيج وكثير من المرات كانت تتوق الى الهدوء والسلام.

كانت شقة مريحة، جزء من البيت الذي عاشت فيه منذ طفولتها. في ذلك الوقت كان المنزل كبيراً. منزل خاص، يقع في ضاحية هادئة من لندن. لا يزال كبيراً، لديه حديقة كبيرة محاطة بجدران عالية تحميه من تدخل الجيران، لكنها الان تتشارك فيه مع اناس آخرين.

بعد وفاة والديهما، قررت هي وفيونا ان يقسما المنزل الى

طابقين، كانت فيونا متزوجة من رجل فرنسي يعيش في الضواحي الغربية لفرنسا، ويعمل لدى اخيه وقد اخذ فيونا معه الى هناك، الجزء الوحيد الذي تشغله الان ستيفاني هو الطابق الاول، مع انها لا تزال هي وفيونا تملك المبنى كله.

كانت الشقة جميلة جداً، انيقة بوضوح وكبيرة جداً عليها، ولقد تمكنت من الحصول على جيران تحبهم حقاً، انها سعيدة هنا وسعيدة في عملها، فحياتها تسير بشكل رائع وكأنها قريبة من الكمال.

انحنت والتقطت مجلة وعلى صفحة الغلاف رأت وجهها ينظر اليها، والشعر الاشقر الذي يكاد يكون مضيئاً، العينان الداكنتان، والبشرة الناعمة والرقيقة كالمخمل. تعمل ستيفاني كعارضة ازياء عالمية الان ومنذ وقت طويل اصبحت تعرف كفتاة سليستال لأن وجهها كان وسيلة العرض لعطر جديد وأصبح على كل مجلة مشهورة تقوم بالاعلان للمنتوجات المختلفة لمصانع سليست.

عادة لا يلاحظها اي كان، فهي دائماً شديدة الاهتمام لتبدو عادية وليست كما هي في الصور. تنهدت براحة. فمهمتها الاخيرة كانت جيدة. كانت في جزر الكناري لعدة اسابيع ولقد امضتها كلها وهي تعمل. كانت تعرض ثياباً للربيع لعدة شركات في وقت واحد، والمبلغ الذي تقاضته كان ممتازاً ولقد عادت وهي تحمل الكثير من هذه الازياء لأن العادة جرت ان تأخذ بعض الثياب التي تعرضها.

بدأت ستيفاني بتوضيب امتعتها قبل ان تستحم، وبعناية اخذت تختار قمصاناً حريرية مع تنانير تناسبها وثياب قطنية تناسب فصل الصيف ولم تنزل بعد الى السوق. علقتهم

ونظرت اليهم بعين الرضى. يمكنها ان تأخذ بعض هذه الثياب معها ولاحاجة لها الى تسوق اي شيء جديد.

بينما كانت تستحم ذهبت بأفكارها نحو الجزيرة. لم تذهب الى هناك منذ وقت طويل، تقريباً منذ خمس سنوات، لكن مازال في ذاكرتها مكان رائع.

انها نقطة في كاريبيان الازرق والاخضر، دائماً مشرقة شمسها، وتأتيها الرياح الناعمة طوال السنة، لا تزال تتذكر رؤيتها للمرة الاولى عندما ذهبت لزيارة فيونا وتيري. التلال المزروعة بقصب السكر ونباتات الموز، يحد الجزيرة الصغيرة امتداد بركاني طويل ليضيف من جمالها الاخاذ للحقول الرائعة والساحل الذهبي.

كانت سانت لوسيان بعيدة عن باقي الجزر وقد احتفظت بجوها النادر،لقد تم اكتشافها بالصدفة بواسطة بحار فرنسي في اوائل القرن الثامن عشر واطلقوا عليها اسم الكابتن الذي اكتشفها، ولحسن حظهم وجدوا الكثير من الماء فيها والفواكه الطازجة. كانت جزءاً صغيراً من فرنسا لكن لم تتغير ابداً منذ ان ابحر اليها جولز سانت لوسيان.

كانت ستيفاني في التاسعة عشرة من عمرها عندما ذهبت الى هناك للمرة الاولى لقضاء عطلة طويلة، ولقد أسرت بها على الفور. كذلك تعلقت بجان - بول وكان بامكانها ان تقضي بقية عمرها. هناك لكن عملها كعارضة ابعدها ولم تعد الى هناك الا مرة واحدة. كانت هذه هي الاوقات التي امضتها مع ابن اختها عندما احضرته فيونا اليها. ومع ذلك، لقد تمكنا من انشاء علاقة بينهما لا تنفصم وهي متحمسة لرؤيته تماماً كحماستها لرؤية الجزيرة.

تساءلت اذا كان كريستيان ديوراند قد زار سانت لوسيان او انه ببساطة ترك الامور لتيري. في زيارتها الاولى توقعت وصوله تقريباً كل يوم فاسه على كل شفة هناك. فكل من في الجزيرة يمتدحه. قد تكون سانت لوسيان جزءاً صغيراً من فرنسا لكن يبدو ان كريستيان ديوراند يملك معظمها. انه يملك الاراضي الزراعية، المرفأ والمصنعين اللذين يؤمنان العمل لسكان الجزيرة.

لقد دار الحديث عن بناء فندق ضخم على الشاطىء لكنه منع مجرد التفكير في ذلك. انها جزيرته وهو يملك ما يكفي من المال ليحقق اي قرار يتخذه. انه يملك اعمالاً في كافة انحاء العالم ومع انه يعيش في باريس كانت سلطته تتعدى مكانه بكثير. سمعت الناس تتكلم، وكل شخص يمتدح قراره، وهذا ما دعاها الى الاضطراب. في ذلك الوقت لم تكن قادرة على ان تفهم لماذا تجرأت فيونا وتزوجت من اخيه وقد كانت سعيدة جداً لأنها لم تقابله، مع انها كادت ان تفعل.

في آخر يوم لها هناك منذ خمس سنوات وصل يخت كبير الى الخليج ووقف في تلك المياه العميقة وقد شعرت ستيفاني بالذهول من رؤيته. اخذت تراقبه من منظار تيري، ونادت بحماسة لفيونا لتأتي وتشاهده لكن فيونا لم تتحمس مطلقاً.

قالت بقلق: « انه كريستيان. لم نكن نتوقع حضوره قبل اسبوع. اتساءل لما حضر باكراً؟»

قال تيري لها: « لقد نسيت الموعد، عزيزتي.» وخرج الى الشرفة ووضع ذراعه حول زوجته وتابع: « ان ذكرى مولد كريستيان بعد يومين وهو دائماً يعود الى بيته هنا.»

نظرت ستيفاني اليه وقالت: « هل ولدتما هنا؟»

ابتسم تيري لها وقال: « انا ولدت في باريس، لكن كريستيان ولد هنا وهو عادة يعود الى هنا يوم مولده ولا يهتم بأي مكان يكون فيه او نوع العمل الذي يشغله. سيحضر معه اصدقائه وبعد مرور يومين ستنار هذه الجزيرة بالالعاب النارية وكثير من الاضواء على اليخت. عليك البقاء والانضمام الينا. انه الوقت الذي ستقابلين فيه اخي.»

ابتسمت ستيفاني وعادت تراقب القارب الجميل، شاكرة اخطها لأنها ستغادر. ففكرة مقابلة كريستيان ديوراند تسبب لها الاضطراب اكثر من ذي قبل. انها متأثرة بسيطرته الواضحة وهو لا يبدو انه مرح او سهل التعامل معه مثل تيري.

بينما كانت تراقب، رأت رجلاً طويلاً، داكن الشعر يصعد الى متن القارب.

كان يرتدي بنطالاً ابيض وقميصاً اسود ويسير على الحافة وهو ينظر باتجاه المنزل. كان بعيداً جداً لتراه بوضوح لكن يبدو ان شعره أسود كقميصه وحتى عن بعد مسافة كان يبدو اسمر البشرة.

رآه تيري ايضاً فلمس كتفها.

اشار نحوه وقال: « كريستيان!» كانت قد تصورت ذلك. لم تستطع ان تبعد نظرها عنه وشعرت بأنها خائفة ومرتبكة. كانت تتمنى ان يكون لديها الوقت كي ترحل قبل وصوله. ومن حسن حظها، انه فعل.

ارتدت ثيابها، ونظرت الى نفسها في المرآة وابتسمت. لم تعد الآن تلك الفتاة المتوترة في التاسعة عشرة من عمرها. يمكنها ان تطوي كريستيان ديوراند بيد واحدة وراء

ظهرها. بكل الاحوال، لن يحضر. سيكون تيري بعيداً وكما هي تتذكر ليس هناك من ذكرى مولد لأحد.

• • •

جلست ستيفاني في الحديقة، كان الطقس رائعاً، غطت عينيها بنظارات شمسية لكنها لا تزال ترى المروج الخضراء كيف تنحدر على التلال المحيطة. كان النسيم العليل يتلاعب بشعرها، ويبعد الحر عنها مضيفاً صوتاً لطيفاً عبر اشجار النخيل والأزهار البرية في المروج الواسعة.

رأت قرب الخليج كهفاً مهجوراً، محاط بجبال منخفضة، ومنحدرات باردة وخضراء اللون. لم يكن هناك اي منزل في تلك الناحية لكن عدة قوارب ترسو هناك، وكأنها كالبط الابيض في البحر الازرق. كان من اجمل الاماكن التي رأتها في حياتها، والان لا ترغب ابداً في الرحيل.

كان لها في الجزيرة يومين، وقد كان جان – بول متحمساً جداً لرؤيتها. رحب بها الخدم وكأنها صديقة قديمة لهما وفي صباح اليوم التالي لوصولها غادرت فيونا مع تيري. يريد كريستيان من تيري ان يذهب الى كندا لكن قبل ذلك خططا لرحلة سرية بمفردهما وقد افترضت ان كريستيان لا يعرف شيئاً عن ذلك. من المؤكد ان فيونا كانت متوترة كثيراً، وكأنها تتوقع ظهور الاخ الاكبر فجأة فوق كتفها. هذا ما ظنته ستيفاني لأن فيونا معتادة على تخيل الهجوم عليها اكثر مما يحدث فعلاً، لا بد ان كريستيان ديوراند طاغية.

لقد اكتشفت ذلك في المساء قبل مغادرة فيونا وتيري الجزيرة، واختفت ابتسامة ستيفاني لتحل محلها النقمة والسخط عليه.

قالت لها فيونا: « علينا الرحيل لفترة، في الحال.» بينما كانت ستيفاني تفرغ حقائبها وتوضب ثيابها دخلت اختها وجلست على السرير، وهي لا تبدو كعادتها، تابعت: « علي ابعاد تيري عن قبضة كريستيان.»

سألت ستيفاني، متجاهلة عملها، وهي تجلس بقرب اختها لتصغي: « هل تعنين انه يرغب بالعمل لحسابه الخاص؟»

ابتسمت فيونا والقلق باد على وجهها: « لا، اتمنى لو يستطيع لكن هذا مستحيل، كل ما عليه القيام به هو ان يقف في وجه اخيه، وكما تسير الامور الان، لا اعتقد انه سيفعل ذلك.»

نظرت ستيفاني الى شقيقتها عن كثب، فهي تعلم وسائل فيونا. فهناك دائماً هدف خفي، وما تقوله هو عكس ما تقصده.

قالت: « يبدو انك تعيشين حياة سعيدة هنا، فتيري هو من الطف الناس ومن اكثرهم سهولة في التعامل معه وكريستيان بعيدا جدا عنك اذا فكرت بالامر.»

قالت فيونا بحدة: « كريستيان هو دائماً على الهاتف وان سهولة التعامل مع تيري هي التي تسهل الامور لكريستيان. انه يملي علينا كل ما نفعله في حياتنا، انه يتدخل، ستيفاني، والان لقد تمادى كثيرا، ولا أستطيع تجاهل ذلك بعد الان.»

كانت تبدو منزعجة جداً ومصممة أيضاً على ألا تنتحب او تتوسل، اقتربت ستيفاني منها اكثر.

سألت بهدوء: « ماذا فعل الآن اخوه الاكبر؟»

« انه يأخذ جان – بول منا.» اعتراف فيونا اقنع ستيفاني على الفور وقفز قلبها من الخوف.

«ماذا تعنين بذلك؟ انه لا يستطيع ان يفعل ذلك! جان – بول ابنك! لا يستطيع اي عم ان يبعده عنك وكأنك لست موجودة.»

قالت اختها بمرارة: «كريستيان اكثر دهاء من ذلك. كل هذا لمصلحة جان – بول، هل ترين وجهة نظره. على جان بول ان يتعلم في فرنسا، تحت رعاية كريستيان، وعلينا نحن البقاء هنا، انت تفهمين خطته، اليس كذلك، ستيفاني؟ بعد مرور عدة سنوات سيصبح مثل كريستيان وليس مثل والده، وشيئاً فشيئاً، سنفقده.»

نعم، بامكان ستيفاني ان تفهم خطته، تعليم جان – بول في فرنسا تحت رعاية كريستيان، ليدخله في اعماله، ومن الطبيعي ان يدربه على تحمل المسؤولية. وسيكبر جان – بول وكأنه عمه. بعد مرور عدة سنوات سيصبح كريستيان ديوراند رقم ٢ . وهذا الصبي الرائع الان سيطيع وينغمس في حياة مبتذلة.

قالت بعصبية: «انت محقة! وماذا ستفعلين؟» شعرت وكأن دمها يغلي من الظلم، فهي لا تستطيع قول أي شيء على هذا القرار غير العادل.

قالت فيونا بحزم: «سآخذ تيري بعيداً حيث أستطيع التكلم معه من دون اي تدخل من كريستيان، لن يكون هناك اي اتصال هاتفي، ولا رسائل، وفي الوقت الذي سنعود فيه سيصبح مختلفاً وسيرى الامور على حقيقتها، سيتمرد على كريستيان، صدقيني!»

صدقتها ستيفاني. فيونا، من دون شك، تستطيع الضغط على تصرفات زوجها. قالت فيونا وهي تعانق اختها: «انه لأمر مريح ان اعرف انك معي في هذا.»

وشعرت ستيفاني على الفور بالريبة والشك. فتوافقها مع اختها أمر يثير قلقها لكنها لا تستطيع التهرب من حقيقة ان كريستيان ديوراند يخطط للسيطرة على حياة جان – بول. فجمعهم سيخسرون ولداً عزيزاً وقد يضيع الى الابد. رؤيته ثانية جعلتها تتأكد كم تحبه وكم هي متعلقة به. فيونا على حق، انها معها في ذلك.

سألت بقلق: «الى أين تذهبان؟»

قالت متوسلة: «فقط لا تسألي، اعلم ان جان – بول بأمان هنا معك في الجزيرة. ومن الافضل ان لا تعرفي مكاننا بالتحديد – فقط في مكان ما في كندا. ولن نغيب اكثر من اسبوع وبعدها سنعود لنقوم بمراسيم الطاعة لكريستيان. اذا اتصل، او اذا حدث الاسوأ، وحضر بنفسه، سيحصل على مكان اقامتنا على الفور.»

قالت ستيفاني بحدة: «لا مجال لذلك! فهو لا يخيفني!»

ذكرتها فيونا بحزن: «انت لا تعرفينه، انه بعيد جداً عن الناس العاديين مثلنا. ستتلعثمين، وتتعثرين معه، ستيفاني حتى انت.»

توسلت ستيفاني لتعلم لكنها لم تقل لها شيئاً اضافياً. بدا لها انها خطة جيدة وكانت جاهزة لتحمل المسؤولية في غيابهما. وافقت وبدا على فيونا الرضى وكأنها ارتاحت لمجرى الامور.

الان لقد رحلا وبدا كأن المنزل بأكمله قد ارتاح بمفردها لأن فيونا كانت متوترة وهي تحزم الحقائب وتلقي الاوامر كيفما اتجهت. بعد رحيلها عمت السعادة والسلام على الجميع.

تراجعت ستيفاني الى الوراء، وهي تبتسم لرؤية السماء الصافية. هذه طريقة رائعة للعيش. بالطبع، تستطيع ان تفهم الان الاحساس بالعظمة والسيطرة اللتين تشعر بهما فيونا. لكن هناك مشكلة في هذه الجزيرة الخاصة. وتبدلت ابتسامتها الى تجهم. مما لا شك فيه ان كريستيان ديوراند مصاب بجنون العظمة.

أتى جان – بول راكضاً عبر الحديقة وجلس على العشب بجانبها.

قال بحماسة:« انه يوم جميل.» وعادت الابتسامة تشرق على وجهها وهي تنظر اليه. انه فتى وسيم، شعره اسود وعيناه داكنتان، يشبه كثيراً والده. عليه ان يبقى هكذا وهي ستعمل على ان يبقى هكذا. فعلى كريستيان ديوراند ان يهتم بشؤونه الخاصة.

وافقت:« انه دائماً هكذا.» لكن جان – بول لديه الكثير من الامور في فكره.

قال وكأنه حزين:« علينا ان نحاول ونجد شيئاً نستطيع القيام به.» واصبحت ابتسامة ستيفاني اوسع. انه يفكر بشيء ما، انها تعلم ذلك لكنها لا تمانع فهو لا يتصرف بطريقة خاطئة مطلقاً.

قال عندما لم تجبه:« عندما اتيت الى هنا من قبل، كنت صغيراً جداً.»

« كنت في الثانية من عمرك، في الواقع.»

وتابع جان – بول:« وانت كنت شابة اصغر سناً.» فتنهدت ستيفاني من دون قصد.

« نعم، انني كبيرة الآن. هذا يحدث لكل شخص في النهاية.»

قال لها بسرعة:« عندما علم ابي انك قادمة، قال ان هذا رائع.» لا بد انه قلق بسبب حزنها على تقدمها في العمر.

قالت ستيفاني:« هذا لطف منه، اعتقد انه كان يعني ان توقيت قدومي رائع، لقد وصلت تماماً عندما اراد المغادرة.»

قال جان – بول بحزم:« اه، لا، لا! اقصد انك جميلة جداً، انا متأكد من ذلك.»

هزت ستيفاني رأسها بفرح. انه فرنسي اكثر مما هو انكليزي لكن اساليب أمه متأصلة فيه، مع انه يدور حول الاشياء بطريقة دبلوماسية اكثر. كانت تعلم ان كل هذا سيقوده الى شيء ما.

تمدد جان – بول على العشب، محدقاً بالسماء الزرقاء.

قال يخبرها:« في السنة المقبلة سأذهب الى مدرسة في فرنسا.»

جلست ستيفاني مستقيمة، نزعت نظارتيها وحدقت به، محاولة ان تفهم كيف يتقبل الأمر.

« لقد سمعت بذلك، ستكون في باريس.»

« نعم، عمي كريستيان قد دبر كل شيء. انها المدرسة التي تعلم بها أبي وسأذهب الى المدرسة كل يوم. لأنني سأبقى مع عمي كريستيان. هو من سيهتم بي.»

تمتمت ستيفاني:« نعم، نظم العم كريستيان كل شيء كما قلت.»

« اجل، وهذا عمل جيد من قبله،هذا ما قالته ماما.»

تراجعت ستيفاني الى الوراء، وهي تفكر بالأمر. افترضت انه لا يعقل ان يستمر جان – بول في البقاء هنا. الان اصبح في السابعة من عمره وهو بحاجة لتعلم الثقافة الفرنسية في

امكنة خاصة. هي تعلم الحاجة لذلك لكن الحقيقة ان كريستيان ديوراند يريد ان ينقل تيري الى باريس. لا بد ان لديه مئات العمال الذين يمكنهم القدوم والعمل هنا.

فيونا على حق. انه يمسك بزمام الامور بالنسبة لجان – بول في سن مبكرة جداً، ليتمكن من صياغته كما يشاء. عادت بذاكرتها الى المرة الاولى التي شاهدت فيها كريستيان ديوراند وتساءلت كيف يبدو الآن. من المحتمل انه اكثر تسلطاً، وأكثر ثراء، اكبر واكثر سيطرة. هي تعلم ان الوقت زاد من سيطرته وقوته لكنه ايضاً جعل منها اكثر ثقة بنفسها وهي الآن قادرة على تجاهله اذا قدر لها ان تقابله، فلم تعد تلك الفتاة الخجولة.

يجب ان يقف عن حده وعليها مساعدة فيونا كي تردعه. وهي تستطيع ان تتخيل وجود جان – بول في باريس فهي لن تتمكن من رؤيته ابداً، عليها ان تحارب بالسيوف مع كريستيان ديوراند لتحصل على ابن اختها، وسيحاول ان يمنعها، فهي متأكدة من ذلك. كان من الاسهل التعامل مع « العم كريستيان» لو انه متزوج ويربي أولاده عوضاً عن التدخل في شؤون أخيه.

قاطع جان – بول افكارها. قائلاً:« من السهل ان يشعر الانسان بالملل في سانت لوسيان. سأشعر بملل كبير غداً.»

ضحكت ستيفاني ضحكة كبيرة. الان لقد بدأ بالحديث الجدي، كان عليها ان تعرف اكثر، لا بد ان هناك الكثير من فيونا في داخله.

سألت:« ولماذا ستشعر غداً بالتحديد بالملل؟» وتنهدت لأنه يذكرها بأختها.

قال:« ستقام غداً حفلة في القرية لكنني لا أتوقع ان يسمح لي بالذهاب.»

انهى كلامه ونظر اليها متوسلاً فقررت ستيفاني ان تكمل اللعب معه حتى النهاية.

« لا ادري لماذا تقول ذلك. انني جاهزة لأخذك.» قالت هذا، لكن يبدو ان هذا ليس كافياً.

« آه، لكن كما ترين، هناك مباراة للملابس التنكرية وانا لم احصل على اي زي لذلك، وهكذا سأبدو كالغبي.»

جلس ، وهو يضم يديه حول ركبتيه، واضعاً ذقنه عليهما والحزن باد على وجهه. ادركت ستيفاني انهما وصلا الى صلب الموضوع: فعليها ان تصنع له زياً.

سألت:« هل فكرت بأي زي تريده؟»

هز رأسه نافياً وقال:« لا، لكن لوسيا ارادت ان تصنع لي زياً لكنني لا احب افكارها ابداً.»

« بم كانت تفكر ان تصنع؟» يمكنها ان تفهم رد فعله. فلوسيا هي مدبرة المنزل منذ وقت بعيد، انها سمينة ومتقدمة في السن وتضحك بصوت عال، وافكارها قديمة.

« ارادت ان تلبسني فستان طويل عليه خرز، وارادت ان ترسم على وجهي.»

قالت ستيفاني بجدية:« هذه ليست فكرة جيدة.» هزت رأسها بينما أخذ ابن اختها يراقبها بقلق.

« تقول لوسيا انه لا يوجد اي شيء آخر في المنزل.»

« سنبحث عن ذلك بأنفسنا.» قفزت ستيفاني وامسكت بيده ودخلا معاً الى المنزل. رأت كل ذلك مسلياً. كانت متأكدة ان أي طفل آخر كان قد ركض مسرعاً اليها وطلب منها ان تجهز

له زياً تنكرياً. هذا ابن فيونا، ولقد دار طويلاً قبل أن يصل الى ما يريده.

كرامتها اصبحت على المحك، عليها ان تحضر شيئاً ما لا يتعلق بالخرز او بثوب طويل، وبالتحديد لا رسومات على الوجه.

في نهاية ذلك اليوم، جلست ستيفاني مع لوسيا على الشرفة، تخيطان بشكل غريب. لقد جمعتا كل انواع قطع القماش الموجود وبقي جان- بول قريباً منهما للقياس، لم يتذمر ولا بأية كلمة وقد انتهت المهمة قبل العشاء.

قطعة كبيرة من القماش الاحمر، خيطت على لوح من الورق السميك، لتغطي رأسه، كانت هناك اوراق خضراء على الرقبة. لا بد من وجود تنورة ولكن ليست التنورة التي فكرت بها لوسيا. كانت ذات اللونين الاخضر الفاتح والاصفر وهي ايضاً محاكة على ورق سميك. ومع اضافة بعض القطع هنا وهناك اعلنت ستيفاني انها راضية عن عملها واخذت جان - بول الى الداخل لينظر الى نفسه على احدى المرايا الطويلة.

« ما رأيك؟»

تراجعت الى الوراء واستدار ببطء لينظر الى نفسه متعجباً.

« انه جيد جداً! انني اشبه حبة البندورة!»

قالت ستيفاني وهي تشعر بالنصر: « انك اكثر من ذلك. انت سلطة. بلا شك ستربح الجائزة.»

« آه، شكراً لك، خالتي ستيفاني! انت رائعة. ابي على حق، انت مثالية.»

« لكن انت لست كذلك.» قالت ذلك وهي متجهمة بسخرية «لقد نسيت ذلك مرتين حتى الآن.»

ضحك وضمها اليه.

« عمتي ستيفاني تجعلك تشعرين بأنك عجوز ولقد اصبحت في الرابعة والعشرين.»

تنهدت ستيفاني وضحكت بصوت عال: « صحيح جداً.»

قال واعداً: « لن انسى ذلك ثانية.»

اخيراً، عندما ذهب جان - بول الى سريره، كان زيه بجانبه على الكرسي وما ان اطفأت ستيفاني الضوء حتى اغمض عينيه سعيداً.

تمتم قائلاً: « عمت مساء، ستيفي.»

قبلت خده وابتسمت. هذا ما يحتاجه الولد الصغير، وليس مجرد طاغية يتآمر عليه، يمكنهما تدبر نفسيهما جيداً من دون كريستيان ديوراند.

* * *

غادرا الى القرية فوراً بعد انتهاء الغداء، قادت ستيفاني الجيب الذي يستعمله تيري في رحلاته داخل الجزيرة وجلس جان بول كالفأر كي يحمي ثوبه من اي تشقق.

كان يوم رائعاً كالذي سبقه، ارتدت ستيفاني بنطالاً قصيراً ابيض وقميصاً احمر اللون وربطت شعرها الفضي الطويل بعقدة فوق رأسها وتركته يتمايل على كتفيها. شعرت وكانها عادت الى التاسعة عشرة من عمرها ان لم تكن اصغر من ذلك. علمت ان سبب ذلك يعود الى اشعة الشمس ورقة الصبي الصغير الذي لا يزال يرى المتعة والفرح في كل شيء. هكذا كانت تشعر هي ايضاً فهي لا تجد الا المتعة والفرح في سانت لوسيان. وستبقى هكذا من اجل جان - بول.

اختلطت الموسيقى مع العرض، وكان هناك سوق للبيع

ورقص على الطرقات وهذا ما أعجب ستيفاني كثيراً. رأت الكثير من السائحين ولقد ازدادت سعادتها بسبب معاملة الناس لها عندما يلاحظوا صديقها الصغير.

لم يربح الجائزة الاولى لكن وافق مع ستيفاني ان ذلك كان مستحيلاً.

فربح الجائزة الثانية، مع ذلك، كان سعيداً جداً بجانبها عندما قادت الجيب عائدة الى المنزل بعد انتهاء اليوم، كانت تشعر انها متعبة تماماً كما يبدو على رفيقها.

كانت تقود بسرعة على الطريق الضيقة، وهما يغنيان بصوت عال، لكن ما ان وصلا تحت الشرفة البيضاء الطويلة حتى اختفت ابتسامة ستيفاني.

كان القلق باد على وجه لوسيا واسرعت بالدخول الى المنزل تلبية لأوامر حادة، نظرت الى ستيفاني بشفقة وهي تختفي.

علمت ستيفاني ان هناك مشاكل على الفور بسبب الرجل الطويل الداكن الشعر الواقف امام المنزل المضاء بانتظارهما وعيناه تلمعان بغضب عاصف.

بعد نظرة سريعة الى جان – بول، ركز كل انتباهه على ستيفاني بطريقة غاضبة اذهلتها فجلست في الجيب تنظر اليه بينما وقف على درجات الشرفة.

علمت على الفور من يكون لكنها لم تتوقع ان يكون بهذا الطول، وهذه القوة او هذا الغضب. لم تتوقع ابداً ان تجد عينين زرقاوين تنظران اليها بنظرات قاتلة. كانت عينا تيري داكنتان، عاديتان لكن كريستيان ديوراند عيناه تلمعان وهما يمزقانها الى قطع صغيرة.

فاجأها وجهه الوسيم الغاضب جدا حتى انها لا تستطيع ان تلفظ اية كلمة ان افتراضاتها كانت صحيحة، لقد اصبح اكبر سناً، واكثر سيطرة وهو بلا شك لا يقاوم.

حتى جان – بول تفاجأ، لكن ليس لوقت طويل.

قفز من السيارة وهو يصرخ: « عمي كريستيان!» وبعد نظرة واحدة الى ابن اخيه ظهرت ابتسامة على وجهه.

سأل بلطف: « اين كنت، حبيبي؟» انحنى ليقبل جان – بول، منتبهاً كي لا يفسد ثوبه، وهذا ما جعلها تقدره قليلاً لكنه تقدير قليل بلا شك، يبدو وكأنه كالعاصفة وانه هنا ليأخذ جان – بول على الفور.

قال له جان – بول بحماسة: « لقد كنت في حفلة تنكرية ولقد ربحت الجائزة الثانية!» متجاهلاً ببرائته الغضب الواضح على عمه. اشار اليه بعلبة الجائزة لكن العينين الزرقاوين كانتا تنظران الى ستيفاني.

سأل بصوت ناعم، وبلهجة خادعة: « اخذت ابن اخي الى القرية؟» جفلت فنظر اليها بغضب اكثر وهو ينظر الى بنطالها القصير وشعرها المربوط.

« انت لست كبيرة كفاية لتهتمي بنفسك! ترك اخي فتاة شابة تهتم بابنه وفي اللحظة التي غادر فيها خرجت معه الى القرية من دون اذن؟ بأي أجر وعدك سأدفعه لك الآن. جان – بول اصبح من واجباتي، يمكنك العودة الى عطلتك الآن والانضمام الى اهلك!»

الفصل الثاني

فتحت ستيفاني فمها غاضبة وعيناها الداكنتان تلمعان من الاحباط. لم يتكلم معها احد هكذا طوال حياتها وهي لن تتقبل ذلك!

قال جان – بول بسرعة قبل ان تتمكن ستيفاني من الاجابة:« لكن ستيفي ليست بحاجة لاذن، عمي كريستيان. انها المسؤولة عن المنزل حتى عودة أمي وابي. هذا ما قاله ابي وأخبر لوسيا ذلك بصوت عال كي لا تنسى ذلك.»

قال كريستيان بحزم:« يمكنك الدخول الى المنزل، جان – بول، سأتعامل مع هذا. فليس من المناسب لفتاة شابة هكذا ان تهتم بك بغياب والديك. كما انه ليس من المناسب ان تقود.»

أصر جان – بول بتوتر:« اعتقد انك لم تفهم، عمي كريستيان. ستيفي ليست شابة. انها كبيرة جداً. انها في الرابعة والعشرين من عمرها وهي ايضاً خالتي.»

على ستيفاني ان توافق انها ما كانت لتشرح له كل ذلك بطريقة افضل من دون ان تعبر عن العنف الذي يدور في رأسها، لأن كريستيان ديوراند صعق ببساطة. استدار ببطء ونظر اليها من رأسها حتى اخمص قدميها ويمكنها ان ترى انه لم يغير رأيه فيها. حتى يبدو انه يشك في أقوال جان – بول.

سأل:« هل هذا صحيح؟ انت شقيقة فيونا، ستيفاني كاين؟»

«اجل» ونظرت اليه بغضب يوازي انزعاجه، وتابعت:« انها الطريقة الوحيدة لأكون خالة جان – بول من دون اية صلة

بك. من الطبيعي ان هذا ما اختاره، راغبة بالحفاظ على سلامتي!»

قال بسرعة:« انا اعتذر، آنستي.» لكنها لاحظت ان تعابيره لا تماشي كلامه كان لا يزال غاضباً. لقد تم التعارف بينهما لكنه لم يفهم الاهانة التي قالتها ستيفاني.

قال بحماسة:« صنعت ستيفي ثيابي ولقد ربحت الجائزة الثانية. انا سلطة، عمي كريستيان.»

« نعم، يمكنني ان ارى ذلك.» بامكان ستيفاني ان ترى ان كريستيان ديوراند يحتفظ بهدوئه بصعوبة. ويبدو ايضاً وكأنه دخل للتو الى عالم طائش وهي تعتقد انه يرد ذلك اليها. « ربما من الافضل ان تغير ثيابك هذه؟»

من الواضح انه يريد ابعاد الولد من طريقه ليتمكن من معاقبة ستيفاني بمفرده. لقد هاجمها بنظراته وبلا اي احترام او دبلوماسية. انه، كما كانت تتخيل دائماً، متوحش. انه يبدو كذلك بالتأكيد وهي تتساءل ماذا سيكون رد فعله ان اخبرته انها تعلم كل مخططاته وانها ستعمل على ايقافه.

قال جان بول يخاطبها:« هل تساعديني، ستيفي؟» وقبل ان تتمكن من التحرك تولى القيادة ثانية كريستيان.

« ارغب في التحدث على انفراد مع خالتك ستيفاني. بلا شك ستنضم اليك بعد وقت قصير.»

تردد جان – بول لكنه ذهب أخيراً. لا مجال لرجل كبير ان يعاند كريستيان ديوراند، ومن المؤكد لن يفعل ذلك صبي صغير. ما ان رحل جان – بول، حتى حضرت ستيفاني نفسها للمشاكل التي واجهتها على الفور.

قال بحدة:« اعتذر عن التحدث معك بتلك الطريقة، آنسة. من

المؤكد انني لم اكن اعلم انك شقيقة فيونا. مهما يكن، هذا لا يغير الوضع. غير مسموح لجان – بول بالذهاب الى القرية مطلقاً. وسأبقى هنا في كل الاحوال حتى عودة أختي وزوجته. لم تعد مسؤوليته ملقاة عليك بعد الآن.»

لقد وصلنا الى المهم! ماذا سيفعل، هل سيأخذ جان – بول معه الى فرنسا الآن وقبل عودة فيونا؟ فهذا شيء محتمل ويمكنها ان تتخيل انه سيقول انه حضر ووجد جان – بول بمفرده ومن دون حماية او عناية.

قالت ستيفاني بعصبية، ونظرت اليه بعينين مشتعلتين من الغضب:« سلم تيري وفيونا أمر ابنهما لي، وانا سأعمد على الاهتمام به حتى عودتهما، قد تكون تملك كل هذه البلاد، سيد ديوراند، لكن بالتأكيد انت لا تملك جان – بول. انت عمه وانا خالته. وهذا يجعلنا متساويين معك انك تعتقد ان قرابتك له أكثر. يمكنني ان اتخيل اي وقت سعيد سيمضي، وانت تمنعه من القيام بأي شيء . فلا مجال مطلقاً ان تسدي الي الاوامر كيف سأتصرف، لذلك انسى ما تفكر به.»

بدت عليه الدهشة من هجومها القوي ولو لم تكن غاضبة لضحكت من مظهره.

قال وهو ينظر اليها بعينين لامعتين:« انا لا افهمك حقاً، آنسة كاين، مع انني فهمت ما تقصدين. فأنا لن أرسلك بعيداً. يمكنك البقاء هنا لتمضية عطلتك. مهما يكن، انا سأبقى هنا أيضاً وسأسيطر على الوضع، لقد احضرت صديقة لي ستساعدني بالاهتمام بجان – بول.»

قبل ان تتمكن ستيفاني من الاجابة رأت امرأة تسير باتجاه الشرفة ونظرة واحدة اليها جعلتها تدرك أية صديقة هي.

كانت طويلة وانيقة، شعرها أسود اللون ومصفف ، وتضع مساحيق على وجهها بشكل يوحي بأنها قادمة من باريس وهي لا تبدو من النوع الذي يهتم بسعادة جان – بول.

حدقت بستيفاني، غير مهتمة بها.

قدمها كريستيان قائلاً:« هذه السيدة دنيز باسكال لديها أولاد ايضاً.»

يمكن لستيفاني ان تفهم ان هذه الحقيقة تعطيها صفة مهمة للسيدة باسكال. لا يبدو عليها انها تهتم بلطف وعناية بالاطفال، مهما يكن، فلا مجال لتهتم بجان – بول.

لكن، ليست غلطتها ان كريستيان ديوراند هو طاغية مستبد، من المحتمل انه أمرها لتساعده، وستيفاني شعرت بالفخر انها ليست من مرؤوسيه.

تمتمت ستيفاني بتهذيب:« كيف حالك؟» لكنها تجاهلتها ولم تجبها الا بهزة من رأسها قبل ان تنصرف وكأنها شيء غير مهم. من الواضح انها سيئة مثل معلمها فأعادت ستيفاني تفكيرها بالأمر، انهما اثنان ضد واحد.

تجاهلت ستيفاني بالكامل، وابتسمت دنيز باسكال ابتسامة مشعة له وهي تقول:« هل يمكنني الحصول على أحد الخدم لأفرغ حقائبي، كريستيان؟»

« دنيز. اذا كنت ترغبين بالصعود الى غرفتك سأرسل لك أحداً للمساعدة.» ما ان ذهبت، استدار نحو ستيفاني.

« كما ترين، يمكنك قضاء عطلة مريحة أنا ودنيز سنهتم بجان – بول من دون أي عناء يذكر.»

قالت بسرعة:« فوق جثتي! من المؤكد انك ستواجه المشاكل لأنني هنا لأهتم بجان بول. وسأبقى للقيام بذلك!» نظرت اليه

بقوة، وهي مصرة على مركزها وتابعت:« احب ان اعرف كيف ستمنعني من القيام بما طلبه ابوه وأمه.»

قال مقترحاً بلهجة خادعة:« استطيع ان اضعك في الطائرة لترحلي، آنسة.»

ابتسمت لنظرته الحادة.

«كحقيبة ما؟ انا لست جماداً. سأقاوم. بكل الاحوال، اعتقد انك ستجد ثورة بين يديك. وجان – بول لن يتقبل ذلك. فأنا خالته المفضلة ومع انه اطيب ولد في العالم فهو ابن فيونا.»

حدق للحظات قليلة بها غاضباً بعدها ابتسم لها بسخرية وقال:« لا شك اننا سنصل الى اتفاق ما. سنترك الامر الآن. ربما من الافضل ان تذهبي وتحضري نفسك للعشاء، انسة كاين.» نظر اليها ثانية وكأنه يراها للمرة الأولى. بامكانها ان ترى انها لا تقارن مع دنيز باسكال لكن هذا لن يؤثر فيها.

قالت بحدة:« ارجوك ان تفهم انه لا يمكنك اصدار الاوامر الي بأي شكل من الاشكال.» فاتسعت ابتسامته الساخرة.

تمتم بصوت ناعم:« لا أرغب بالقيام بذلك، آنسة. بدلي ثيابك للعشاء اذا اردت اعتقد انك كنت متحمسة لرؤية جان بول؟ سيكون منزعجاً وهو يتناول عشاءه بهذا الزي الغريب. اذا كنت لا تريدين ان تهتمي بنفسك للعشاء، ربما عليك الذهاب والاهتمام بالسلطة من اجل التحضير للعشاء؟»

نظرت اليه غاضبة من يفكر نفسه، يأتي الى هنا ويتولى الامور وكأنه صاحب هذا البيت؟ انه لا يملك جان بول. اذا تركته مع عمه كريستيان وتلك المرأة فهي لن تتمكن من النوم. في الوقت الذي تعود فيه فيونا وتيري، سيتغير جان – بول، ربما قد يهدد تدخلهما، هذا اذا سمح له بالبقاء هنا!

استحمت بسرعة بعد ان رأت جان – بول. وكل ما استطعت فعله بسبب ضيق الوقت ان وضعت قليلاً من البودرة على انفها، ولونت شفاهها بأحمر شفاه ناعم. ارتدت اكثر ثيابها راحة وسرحت شعرها. وكأنها تتحداها ، ربطت شعرها وتركته يتدلى على كتفيها. اذا كان يعتقد انها تبدو كمراهقة عليه ان يكتشف كم ستبقى يقظة هذه المراهقة. انضمت الى جان – بول ونزلا معاً الى العشاء، لم تتفاجأ مطلقاً عندما لم تشاهد اثراً لدنيز باسكال.

قبل ان يتمكن من تقديم الشراب لها، سكبت ستيفاني لنفسها فنجاناً من الشاي لتبرهن انها متساوية معه فظهر عليه الضيق. افترضت ان ذلك غير انثوي لكنها لن تسمح له بتسلم زمام الامور في اي مجال وعليه ان يعرَف ذلك في الحال. فهي خالة جان – بول، ولقد دعيت الى الاقامة هنا وهي معتادة على التصرف براحة في هذا المنزل.

نظر اليها نظرة باردة بعينيه الزرقاوين ليرى فستانها القصير وشعرها الطويل.

تمتم قائلاً:« ربما يمكنك ان تعذريني لأني ظننتك مراهقة.»

نظرت اليه بعينيها الواسعتين وقالت:« اعتقد انه من السهولة عليك ان تعذر نفسك لأي شيء تقوم به. لذلك، سأنسى كل ما حصل وادعك تفخر بنفسك.»

قال:« الاحترام ضرورة في الحياة.» فنظرت اليه بسخرية.

« هل عرفت كل ذلك بينما كنت ابدل ثيابي؟ لم اغب الا بضع دقائق. ربما عليك ان تتذكر ذلك عندما تقابل شخصاً غريباً عنك، سيد ديوراند.»

كان سيجيبها بعدائية، فهي ترى ذلك بوضوح، لكن على

الفور دخلت دنيز الغرفة، ورأت ستيفاني انه كان عليها الاهتمام بنفسها اكثر من اجل العشاء. عليها ان تعترف ان ثوب المرأة رائع. ودنيز تدرك جمالها فنظرت نظرة لا مبالاة الى ستيفاني. لم تعجبها فكرة وجود جان – بول على العشاء.

سألت بنعومة: « هل يتناول الطفل العشاء عادة مع الكبار يا كريستيان؟ من المؤكد انه من الافضل له ان يتناول عشاءه بمفرده ويذهب الى سريره، هذا ما يفعله أولادي دائماً. ليس من المستحسن ان يسهر الاطفال.»

نظرتها كانت تعني ستيفاني ايضاً. بدا الانزعاج على جان – بول فأجابت ستيفاني قبل ان يتمكن كريستيان من الاجابة: « في غياب والده، جان – بول هو مضيفنا، ربما أمر صعب عليه القيام بذلك لكنني اعتقد انه من الصعوبة ان نرسله الى غرفته. فالاحترام، ضروري في الحياة.»

لم يقل كريستيان شيئاً لكنها رأت من خلال الضيق الذي ظهر على وجهه والنظرة التي رماها بها انها قد سببت له الاحراج. وهذا لم يزعجها. انها ستتمكن من الوقوف لهما معاً وستتأكد ان جان – بول لن يعاني من تدخلهما. ستكون حياته غير محتملة اذا ذهبت بعيداً وهي لن تسمح لهما بابعادها. فاذا ارادت الحرب فيمكنها ان تقاتل.

قالت دنيز خلال العشاء: « اذاً انت خالة جان – بول، آنسة كاين. لا بد انك اصغر بكثير من اختك.»

انزعجت ستيفاني من صوتها المتكبر. لا بد انهما تحدثا بشأنها، كما يبدو، انهما تحدثا بأصوات مصدومة عن عدم تناسبها كرفيقة لجان – بول.

قالت تؤكد لدنيز بنعومة: « لست اصغر منها بكثير. من

الواضح انك لم تقابلي يوماً شقيقتي في عائلتي يبدو علينا الكبر ببطء شديد. انه امر وراثي، كما تعلمين.»

تحت نعومة دنيز الظاهرة كان هناك بركان يشتعل. احمر وجهها وهي تنظر الى ستيفاني بعينين غاضبتين.

قال ببرود: « لا اعتقد ان السنين هي من تخلق المرأة، آنستي. لا بد من وجود شيء معنوي، دفء، حنان، قدرة غريزية للتصرف بحكمة، في المرأة الحقيقية. واعتقد أن هذا أيضاً وراثي؟»

فهمت ستيفاني ما يقصد. لقد تصرفت من دون مسؤولية بالنسبة للسيد ديوراند – وكذلك فيونا بذهابها مع زوجها وترك فتاة متهورة لتحمل مسؤولية منزلها. للحظة لم تستطع ان تفكر بإجابة تشعل غضبه وهذا ما اسعد دنيز.

سألت: « اتمنى انك تجدني امرأة حقيقية، عزيزي؟» ابتسم لها بطريقة جعلت ستيفاني تتمنى لو ان جان بول ليس هنا.

سأل بنعومة: « هل اعطيتك سبباً لتشكي في الأمر؟»

بدا لها حديثهما مضجراً ومزعجاً وشعرت بفرح حقيقي عندما انتهى العشاء.

سألها جان – بول بهدوء عندما رافقته الى سريره: « ما رأيك بالسيدة باسكال؟»

« آه!» قالت ذلك ستيفاني فنظر اليها باهتمام وتابع.

« هل هذا يعني أمراً سيئاً؟»

« سيء جداً، سنتجاهلها كلياً، اليس كذلك؟»

قال وهو يكاد ينام: « اتمنى ان ترحل بعيداً، اريدك انت فقط وعمي كريستيان.»

هزت ستيفاني رأسها متعاطفة معه تاركة افكارها

لنفسها، لن تعطيه رأيها بالعم كريستيان. فمن الواضح ان جان – بول يحبه كثيراً. مع انها لا تدري لماذا. فإنه أقسى رجل قابلته في حياتها وهو مما لا شك فيه مجنون بالسيطرة. منظره القاسي يخفي عداوة، وهذه النظرات التي يرمقها بها تشعرها بعدم الراحة. كل السلام الذي كانت تعيشه قد رحل.

أمر جيد ان كريستيان لم يتحدث في دراسة جان – بول. مع انه يعلم مدى الدور الذي سيلعبه، ومع ذلك لم يقل شيئاً.

لا بد انه سيأخذ جان – بول بصورة دائمة. في كل الاحتمالات، وجود دنيز باسكال هنا لتقلب الادوار. إذا كانت تعيش مع كريستيان في باريس اذاً ستتدخل ايضا في مستقبل جان – بول.

مجرد التفكير بذلك فظيع . يجب ان يوقفهما احد مع انها لا تستطيع القيام بشيء تجاه ذلك، المخطط الواضح لكنها تستطيع ان تمسك زمام الأمور حتى تصل فيونا. لا مجال ان يتخلصا منها!

* * *

في صباح اليوم التالي استيقظت ستيفاني على قفزات جان – بول على سريرها. لم يفعل ذلك من قبل، من الواضح، انه مليء بالحيوية والحماسة. قال: «انه يوم رائع!» وهو يقترب منها أكثر. عندما حاولت ان تختبىء بدأ بالقفز بطريقة اسرع لذلك عليها النهوض والدفاع عن نفسها.

صرخت ستيفاني وامسكت بوسادتها واخذت تضربه على ظهره. شدته فوق الأغطية وأخذت تضربه بالوسادة وهو يصرخ ويضحك معاً.

قالت آمرة: «استسلم!» فسقط على ظهره كي يحمي وجهه وهي تهاجمه من جميع الجهات.

قال: «انا لا أستسلم ابداً. لا يتنازل آل ديوراند أبداً.»

قالت ستيفاني ، وهي ترفع الوسادة من أجل هجوم جديد: «اذاً سيكون قتالاً حتى الموت!»

نظرت الى الاعلى حيث التقت عيناها بكريستيان واقفاً في الخارج أمام باب غرفتها المفتوح، متكئاً على الحائط. من الواضح ان جان – بول اسرع بالدخول اليها وترك الباب مفتوحاً. والآن تصرفهما الحبي والطبيعي يراقب بعيون فضولية وهو لا يتكلم مطلقاً. كانت عيناه الزرقاوان ترمقانها وهي تركع على سريرها وترفع وسادتها، متجمدة بلا حراك من نظراته الحادة.

سيطر احساس بالقلق عليها وهي تحدق بالرجل الطويل امامها. كان يقف وكأن كل حواسه تراقبها وهي لا تستطيع ان تبعد نظرها.

ادرك جان – بول ذلك بسبب صمت ستيفاني فأدار رأسه لينظر: «آه، عمي كريستيان، انه يوم رائع!»

وافق كريستيان: «إذا تمكنت من البقاء حياً، ربما من الأفضل ان تستسلم وتترك خالتك ستيفاني بسلام. انها بحاجة كي تبدل ثيابها.»

كانت ملاحظة متعمدة لستيفاني ومع انه تحدث مع ابن اخيه لكن لم يبعد عينيه عنها وادركت انها ترتدي قميص نوم، الدانتيل فيه اكثر من الحرير.

قفز جان – بول بسرعة عن السرير وسار نحو عمه: «اعذرني، لم افكر بذلك. لقد بدلت ثيابي. كما ترى.»

قال كريستيان بنعومة فائقة:« لاحظت ذلك. هل نذهب لتناول الفطور؟»

رمى ستيفاني بنظرة ذات معنى وأخذ جان – بول واغلق الباب وراءه ببطء.

قفزت ستيفاني من السرير غاضبة. لقد سمحت له ان يسيطر عليها. فهي لم تقل شيئاً. واحمرت خجلاً من تلك النظرة لكنها كانت غاضبة جداً لتفكر بنظراته تلك. بينما هي ستتلهى بارتداء ملابسها، سيعمد كريستيان ديوراند الى القاء الأوامر على جان – بول واقناعه بالبقاء داخل المنزل بدلاً من القيام بأي شيء.

اسرعت بالاستحمام وارتداء ملابسها. اي من المصورين الذي تعرفهم سيفخر بها. لكن سيطلبون منها الاعتناء اكثر بتزين وجهها، لكن لا يمكنها الوجود في مكانين في وقت واحد وهي تعلم تماماً الى اين هي ذاهبة في الحال. اذا اراد العم كريستيان البقاء بقرب ابن اخيه عليه ان يدفع نفسه بينهما لأنها ستعمد على بقائها بقرب جان – بول.

دخلت الى الغرفة لتجدهما يتناولان الطعام وقد نهضا لمجرد رؤيتها. نظرت ستيفاني ناحية جان – بول وشعرت بالارتياح لأنه لا يبدو مقهوراً. لقد وصل الانقاذ في الوقت المطلوب. لم تكن دنيز باسكال هناك. لا بد انها لا تزال في سريرها، بالطبع، وكما هي ستفعل لو لم يكن عليها الاهتمام بجان – بول. لحسن الحظ، انها هنا.

قال جان بول ما ان جلست لتتناول الفطور:« انت سريعة جداً، ستيفي.»

قالت وهي تنظر نحو كريستيان الذي كان يحدق بها

بصورة دائمة:« لم أرد أن يفوتني شيء.» ورأت كيف ظهر الضيق على وجهه.

قال:« ستكون اكثر تهذيباً لو انك تنادي خالتك باسمها الصحيح، جان بول. انها كبيرة ومن المؤكد انها تفضل ان تنادى الخالة ستيفاني؟»

قال جان بول بجدية مؤكداً له:« ستغضب جداً ان ناديتها هكذا.كنت دائماً اناديها ستيفي. لقد كانت شابة جداً عندما اتت الى هنا من قبل لكن الآن بعد ان اصبحت كبيرة هي تحب ان اناديها باسمها الصغير. اعلم انها ستحب ان تناديها انت ايضاً ستيفي.» اضاف ذلك وهو ينظر الى وجه ستيفاني.

كانت تبدو وكأنها لا تحب شيئاً في الوقت الحالي. الآن العم يتدخل ويضع قوانين لاسمها! نظرت اليه غاضبة بينما كانت عيناه ترمقان شعرها الفضي وكأنه مندهش به.

قال محدثاً ابن اخيه:« انه اسم دلع، واسم الدلع هو طريقة محببة للتحدث مع الناس الذين تحبهم. انا لا اعرف خالتك بعد.»

قال جان بول مؤكداً:« عندما تتعرف اليها جيداً يمكنك ان تناديها ستيفي.» بدأ بتناول الطعام وهو يتابع:« لن تحتاج الى كثير من الوقت.»

تمتمت ستيفاني:« حوالي مليون سنة.» فنظر اليها كريستيان بنظرة قاسية وباردة كالثلج.

قال:« اوافق ، انها ليست فترة طويلة، في هذه الظروف.»

لم تهتم ستيفاني. فقد اعتادت على عداوة هاتين العينين الزرقاوين وبدأت تتحدث مع جان – بول وكأن ليس هناك أحد غيرهما في الغرفة. كان ذلك سهل عليها بسبب نجاح

زي البارحة ومناقشة ما حصل معهما ولن يتدخل كريستيان بنقاشهما الا اذا طلبا منه ذلك. كان جان – بول متحمساً جداً ليتذكر وستيفاني مصممة ان تبقيه بعيداً عنهما.

في النهاية اعتذر منهما وغادر، وهو يرمقهما وكأنه فقد صبره معهما، ضحكت في سرها وهي تراقبه يذهب. لن تسمح لتصرفاته ان تعترض طريقها. انها في خضم معركة وهي تشعر انها ربحت الجولة الثانية بسهولة.

خرج الى الشرفة واخذت تراقبه. انه يتحرك بكبرياء واضح، وشعره الاسود يلمع تحت اشعة الشمس بينما كان يسير الى حافة المروج ليراقب الشاطىء. شعرت انه تضايق من تصرفها. وهي تستطيع ان تتفهم ذلك. انه اسم كبير، لامع وغني جداً. تحديها له ادهشه بلا شك. فلو انها خافت بسهولة لتمكن من ابعادها، لكنها لا تخاف بسهولة.

عندما راقبته سراً منذ خمس سنوات بينما كان واقفاً على ظهر يخته الرائع شعرت بأنه كان يبدو هادئاً وسعيداً، ومن الرجال الذين يعاملون الناس بصبر وسماح. لم يكن الخوف من طباعه ما جعلها تشعر بالرغبة بالابتعاد قبل ان يصل، لم ترغب في مواجهة رجل جذاب هكذا.

لا شيء يهم. فهي ستكمل مخططها. يمكن لكريستيان وصديقته ان يفعلا ما يشاءان، المهم ان لا يعترضا طريقها. ما الذي ستفعله اذا حاول ان يأخذ جان – بول معه الى باريس، هذا ما لا تعرفه ولأول مرة تمنت لو انها اصرت على ان تعرف عنوان فيونا قبل ذهابها.

سألت عندما بدأ جان – بول ينظر الى طعامه ويأكل من دون شهية: «ماذا سنفعل اليوم؟»

نظر اليها بفرح وقال: «يمكننا الذهاب الى الكهف الضليل.»

نظرت اليه باهتمام وسألت وهي ترفع حاجبيها: «كلنا؟»

ضحك وكأنه يفهم تماماً ما تفكر به وسألها، وكأنه يتمنى ان تقول لا: «اذا ذهب عمي كريستيان معنا علينا ان ندعو السيدة باسكال ايضاً؟»

قالت له بحزم: «هذا ما علينا القيام به، سيكون تصرف غير لائق ان نترك السيدة باسكال هنا بمفردها بينما نذهب ونستمتع بوقتنا.»

فكرت، ان دنيز لا يبدو عليها الاستمتاع بالطبيعة. سيصبح شعرها المصفف جيداً رطباً، كذلك وجهها. يبدو على كريستيان انه يستطيع السباحة في اي مكان وفي اي وقت، وهي لن تعطيه فرصة الانضمام اليهما. في كل الاحوال، قد يرفض القيام بهذا المشروع.

قالت بحماسة: «لنذهب بمفردنا، يمكننا ان نحمل معنا غداء خفيفاً وننزل عبر الصخور الى الكهف حيث نمضي طيلة النهار.»

صرخ على الفور: «موافق!» تماماً مثل عمه المتحفظ واخفت ستيفاني خيبة املها من آثار الدم الفرنسي فيه. عندما تصبح معه بمفردها ستعيد اليه الصفات الانكليزية. ذهبت لتطلب غداءهما واخبرت لوسيا بحزم شديد ان ذلك أمر سري. اذا التهرب اصبح أمر ضروري، إذاً ستختبىء وتهرب.

قاما بذلك من دون أية مشكلة لأن كريستيان قد اختفى عندما اتت لتأخذ جان – بول. خرجت الى الشرفة وبحثت عنه باهتمام لكنه لم يكن هناك فرفعت كتفيها بانزعاج. احد الحراس تخلى عن عمله والثانية مازالت في السرير. انه لأمر

جيد انها هنا، والآن كان جان بول حزيناً وبمفرده. سيصبح ولداً وحيداً ان ذهب للعيش في باريس مع كريستيان.

كان الكهف مع منحدراته الخضراء يبدو قريباً جداً من المنزل لكن ستيفاني تعلم ان الوصول اليه صعب. لقد ذهبت الى هناك في زيارتها السابقة ومع انه مضى وقت طويل على ذلك لم تنس ان هناك طريقاً تصل مباشرة الى البحر من المنحدر. انها بحاجة لوقت للتسلق والنزول مع انها تستطيع الذهاب الى هناك بالجيب، وهذا افضل كي لا يصل اليهما كريستيان ديوراند. قد يكون اختفى الآن لكن فقط لوقت محدود. تصميمه الواضح على ادارة الامور هنا تؤكد ذلك في كل وقت وهي تريد ان تكون بعيدة عنه حينذاك.

تمكنا من الهرب بسهولة وبسرعة كانا يسيران على الطريق ولا شيء امامهما غير أشعة الشمس والاشجار المحيطة. وصوت البحر وزقزقة العصافير. شعرا بالهدوء والامان ثانية وكانت سعيدة انها تركتهما خلفها. كانت لا تشك ابداً ان لوسيا ستخونهما وان كريستيان سيخيفها وينتزع الحقيقة منها. ضحكت في سرها. لقد قالت لها انهما سيذهبان الى الشاطىء في الجزيرة. وإذا لحق بهما كريستيان سيكون كمن يلحق بطة برية.

اوقفت الجيب في ظلال الشجر عندما وصلت الى نهاية الطريق واخذت هي وجان - بول ينحدران الى التلال الصغيرة نحو الكهف حيث وقفا ينظران الى البحر.

قال لها جان بول بفخر: « القراصنة والمهربون اتوا الى هنا منذ زمن بعيد، وقد كانوا فرنسيين.»

هزت ستيفاني رأسها. انها تصدقه. وبسرعة تخيلت

كريستيان ديوراند في زي من تلك الايام الغابرة وشعرت بالقلق عندما اكتشفت ان ذلك الزي يناسبه جداً. مع شعره الاسود، وبشرته السمراء، وعينيه اللامعتين يمكنه بسهولة ان يكون قرصانا وتخلت عن هذه الفكرة بسرعة عندما تخيلته على ظهر سفينة عادية وهو يرتدي قميصاً حريرياً. وهو هكذا يخيفها جداً فكيف بقرصان!

قالت بفرح: « لنسبح.» وكأن جان بول كان ينتظر هذا الأمر. وابعدت افكارها عن كريستيان ديوراند لتستمتع بنهارها.

كان يوم جميلاً. سبحا وتسلقا الصخور القريبة والتقطا الاصداف الموجودة في البرك الصغيرة. كان جان بول رفيقاً مرحاً وما عدا افكارها السابقة لم تتذكر عمه مطلقاً. فقط فعلت ذلك عندما شاهدا الشمس تفقد قوتها لتغيب عندها قررا التسلق ثانية للجيب وعادت تفكر بما سيحدث. شعرت بالتوتر، مستعدة لمعركة جديدة لأنها تعلم انه سيحاول التخلص منها.

سأل جان بول وكأنه شعر بقلقها: « هل كل شيء على ما يرام؟»

هزت ستيفاني رأسها وابتسمت له بحب كبير.

« بالطبع! ما هو السيء في يوم جميل هكذا؟»

ضحك وقال: « ماذا، لا شيء، انتظري حتى يسمع عمي كريستيان عن يومنا الكبير.»

هزت ستيفاني رأسها ثانية وابتسمت. نعم، فقط لننتظر حتى يسمع عن ذلك! تنهدت بعمق واخذت تحضر نفسها. لا بد من حدوث مشاكل، سيحاول ان يدمرها بعينيه الثاقبتين

كاللايزر. اغمضت عينيهاوهي تفكر لو يسمح لها بمعركة عادلة، خاصة اذا حظيت بفرصة رمي اشياء ثقيلة عليه.

وصلا الى المنزل في وقت باكر عن «ساء البارحة وشعرت ستيفاني بالكره لأنها اجبرت على القيام بذلك تجنباً للمشاكل. في كل الاحوال، المشاكل كانت هناك بانتظارها وواجهتها على الفور.

قال كريستيان بلهجة آمرة ما ان دخلا المنزل:« اذهب الى غرفتك على الفور، اذا سمحت، جان – بول.» هذه المرة لم يزعج نفسه بانتظارهما في الخارج. كان يعلم انه سيراهما في كل الاحوال حتى انه لم ينظر الى ستيفاني.

اعترض جان – بول:« لكن، عمي كريستيان، أريد ان اخبرك عن يومي الجميل.» لم يكن هناك اي مجال للتفاوض من تعابير الغضب على وجه عمه.

قال بحزم:« سأسمع ذلك فيما بعد، عندما تصبح في السرير، ستتناول طعامك هذه الليلة على صينية في السرير لأنك تبدو تعباً. وفي الوقت الحالي، خالتك ستيفاني ستشرح لي أغرب التفاصيل عن يومك هذا.»

رفع جان بول كتفيه بدلع لكنه نظر الى ستيفاني بشفقة. فهو يعلم ان عمه غاضب ولو انه يتظاهر بالهدوء. ذهب الى غرفته بينما استدارت ستيفاني لمواجهة المعزوفة المعتادة.

كانت دنيز تقف هناك وهي ترتدي ثوباً انيقاً قصيراً، عيناها غاضبتان ومتوترتان. مرة ثانية، كانت ستيفاني ترتدي بنطالاً قصيراً.

وتغطي البنطال القصير تنورة بأزرار حتى الركبة وشعرت انها تستطيع تحمل اية نظرات منتقدة.

كانت مخطئة تماماً. انتظر كريستيان حتى غاب جان بول عن الانظار ونظر اليها بانزعاج وكره جعل خديها يحمران خجلاً وكأنها فتاة صغيرة مذنبة. لم تكن نظرته كتلك النظرة التي رمقها بها عند الصباح عندما كان يقف على باب غرفتها. كان بامكانها الرد عليه، فهي الآن تسيطر تماماً على الوضع. لكن هذه النظرة مخيفة.

استدار وركز انتباهه على دنيز.

قال بهدوء:« علي التحدث مع الانسة كين على حدة، انا متأكد انك تفهمين ذلك، دنيز؟»

« بالطبع! وعلي تبديل ثيابي لتناول العشاء.» غادرت وهي تبتسم بسعادة، وهي تعلم تماماً ان كريستيان يسيطر على نفسه بقوة كي لا ينفجر غاضباً. كانت دنيز سعيدة بتبدل الامور هكذا وافترضت ستيفاني انه كان يتحدث مع السيدة عن تصرفاتها غير المسؤولة بينما كان ينتظر عودتهما من الرحلة.

قال بصوت ناعم مليء بالتملق مما جعلها تخاف كثيراً:«اين كنتما؟»

حاولت ان تبقى هادئة:« خرجنا لتمضية النهار. وقد اخذنا معنا غداء جاهزاً.»

تابع بغضب واضح:« وتركت عدة اشارات كاذبة عن مكانك، قلت انك ذاهبة الى الشاطىء من الجهة المقابلة للجزيرة، هذا ما قلته للوسيا، وانت لم تذهبي الى هناك، يا آنسة.»

سألت ستيفاني بمكر:« انه شاطىء كبير، كيف يمكنك ان تعرف ذلك؟»

اجابته صدمتها:« اعرف، لأنني بحثت الشاطىء كله. لم نتمكن من ايجادك، حتى ولا الشرطة.»

حدقت به متعجبة :« الشرطة؟ هل تعني لأنك مصر على اطاعة اوامرك طلبت من الشرطة ان تبحث عنا؟»

«لنجد جان – بول، آنسة ، وليس انت. يمكنك الذهاب الى حيث تشائين، تختفين اذا رغبت، لكن ابن اخي لن يغادر هذا المنزل منذ هذه اللحظة. سيسمح له بالخروج الى الحديقة ولن يذهب اكثر من ذلك.»

قالت غاضبة:« انني المسؤولة عن جان بول، وسآخذه الى اي مكان اراه مناسباً.»

قال وهو ينظر اليها بكره:« اشك في انك مسؤولة عن نفسك حتى، ليس هناك ذرة من المسؤولية في شخصيتك. لقد انتهى وقت رفقتك لجان بول، آنستي ، من الآن وصاعداً، سيبقى معي!»

حتى الآن كان صوتهما منخفضاً مع انه كان حاداً حتى انه يستطيع تذويب الحديد. الآن، مهما يكن، نسيت ستيفاني ان تحافظ على انخفاض صوتها.

كانت مليئة بالغضب ونسيت تماماً انه قد يتمكن جان – بول من سماع صوتها المرتفع.

صرخت بصوت عال:« اسمع، ليس هناك من مجال لتأمرني، قد تكون اكثر وحش مهم في هذه المنطقة لكنك لست الوحش الذي يخيفني أنا!»

الفصل الثالث

ارادت ستيفاني ان تستمر في ذلك لكن الصدمة اخرستها عندما تقدم منها كريستيان وحملها بين ذراعيه القويتين، وسار بها نحو مكتب تيري، مغلقاً الباب وراءه بقدمه.

صرخت:« ضعني على الارض.» واخذت تضربه بقوة وتركل بساقيها الطويلتين وبقبضتيها على ذراعيه وظهره، فقط تخطىء وجهه لأنه كان يبعده عن طريقها. « كيف تجرؤ على وضع يديك الفرنسيتين القذرتين علي؟ ضعني ارضاً!»

رماها بقوة على المقعد الجلدي ووقف امام رأسها كالبرج، وكأنه يتحداها ان تتحرك.

قال وهو ينظر اليها بغضب:« انت ترغبين ان تسمعنا الجزيرة بأكملها؟ ستجلسين هنا وتستمعين لما أقوله.» كان ينظر اليها بطريقة جعلتها تجلس صامتة كالفأرة ولم تحاول حتى ان تتحرك.

قال بغضب:« حاولت ان اجنبك كل هذا. حاولت ان اسيطر على الوضع بهدوء وان اسمح لك اما بالمغادرة او بامضاء عطلة هنا لكنك تصرفت بعدم مسؤولية. تفضلي! بوجودك هنا تغير مخططي كله وعلي الان ان اتحمل مسؤولية شخصين بدلاً من واحد!»

« أنا لست...» قالت غاضبة ولم تتمكن من تكملة كلامها.

قال بسرعة:« طالما ان لا شيء يدخل دماغك سنجرب الخوف، آنستي. قوانيني ليست قوانين طاغية، كما يبدو انك

تفكرين. وبما انني وحش ولدي الكثير من الاعمال فهناك أمور أخرى أقوم بها. اتيت الى هنا على عجلة قصوى لأرى فيونا، ومن غير ان اعلم انها قد رحلت مع تيري، مظهرة بذلك عدم مسؤولية تظهرينها انت ايضاً بوضوح. ويبدو بسهولة ان هذا أمر موروث لديكما ويجب ان اعمل على ان لا يتربى ابن اخي على هذه الطريقة الانكليزية الغريبة.»

اصطبغ وجهها باللون الاحمر من الانزعاج. هذه الملاحظة بسبب ذكرها لديه الفرنسيتين القذرتين وهذا واضح انه يرغب في السيطرة على جان – بول. لقد كانت اختها على حق. انها حرب! وبالنسبة للخوف، فهي لا تخاف وعليه ان يعرف ذلك بسرعة قصوى.

قالت له بغضب:« لا حق لك بالتدخل بأي شيء، يحق لفيونا بعطلة وكل شيء كان بألف خير حتى ظهرت في الصورة مع دوافعك المجنونة و...!»

سأل بغضب صارخ:« هل يمكنك الصمت لفترة، آنسة؟ اتساءل ان كنت ستتحلين بقول الحقيقة؟ انا لست هنا لأتدخل بأي شيء. أنا لا أهتم مطلقاً بالتدخل في حياتك الغريبة. افعلي ما يحلو لك، اغضبي، اصرخي، وغادري غداً. فأنت لا تعنين لي شيئاً في المطلق. انا هنا بسبب جان – بول.»

قالت وهي تنظر اليه:«لتجعله يمضي اياماً صعبة، انت هنا لتسيطر عليه قبل ان تأخذه الى فرنسا وتهتم بحياته كلها!»

« هذا ما تعتقدينه؟ جان – بول ابن اخي. وانا احبه تماماً كما تحبينه انت، وربما اكثر منك. انا هنا لحمايته.»

قالت له بسخرية:« لديك طريقة غريبة لتظهر ذلك. ماذا ترغب في ان تفعل، تحميه من عدم استمتاعه بشيء؟»

« اذا كان ذلك ضرورياً.» بقي يحدق بها، ومن الواضح انه يتساءل ان كان من الافضل ان يرسلها الى غرفتها او ان يشرح لها وجهة نظره. قال، ومن الواضح انه تواق الى ذلك بالرغم عنه:« انني غني جداً، آنستي، وليس لدي اقارب الا – أخي تيري وابنه جان – بول. وان لم اكن يقظاً، او نكون جميعاً يقظين، سيختفي جان بول قبل عودة تيري.»

جلست مستقيمة ونظرت اليه، كل حواسها يقظة اخيراً للخطر:« ماذا تعني ... يختفي؟»

اكثر من اي شيء آخر، هدوؤه المفاجيء وقراره ان يتكلم معها بهدوء، جعلها تدرك ان الامر جدي جداً. مد يده الى جيبه واخرج منها رسالة وسلمها لها. ثم قال مؤكداً بصوت هادىء وحزين:« سيتم اختطافه.»

للحظة حدقت به برعب واضح بعدها نظرت الى الرسالة، فتحتها وقرأت الكلمات القليلة فيها. اختصارها مخيف. بالكاد يذكر فيها الاسم والعنوان.

جان – بول ديوراند.

جزيرة سانت لوسيان.

قرأت ستيفاني الكلمات القليلة عدة مرات، غير متأكدة انها تفهم ما تقرأه.

كل هذا بعيد عن عالمها، شيء لا تستطيع تصديقه، لكنه حقيقي وان فكرت بعدم جدوى ما تقرأ تعابير كريستيان اجبرتها على ابعاد الفكرة. ان الامر جدي جداً. يمكن للناس بسهولة في عالمه ان تتقايض من اجل مبلغ من المال.

قالت بسرعة:« علينا ان نحضر فيونا وتيري الى هنا على الفور.» نظر اليها بفقدان صبر واستدار.

قال:« هل تعتقدين انني لم افكر بذلك؟ هل تعلمين اين هما؟» وعندما هزت رأسها بالنفي، تابع غاضباً:« هذا دليل كاف على الثقة التي تمنحها اياك شقيقتك، آنستي. حتى انها لم تخبرك الى اين يذهبان. لقد ارسلت من يبحث عنهما لكن حتى الآن لا فكرة لدي أين هما. من المفترض ان أخي سيصبح في كندا الاسبوع المقبل. وانا بكل حماقة اعتقدت انهما سيكونان هنا عندما وصلت، لكن يبدو بوضوح انهما خططا لشهر عسل ثان وقررا ببساطة ان يختفيا.»

ليس الآن الوقت المناسب لتخبره لماذا قررت فيونا ان عليهما الاختفاء ونظرت اليه بقلق، فالذي كان يبدو كفكرة مهمة اصبح الان عملاً بمنتهى الغباء.

سألت:« لكن لماذا لم تتصل بهما قبل ان تغادر باريس؟ كان بامكانك الاتصال هاتفياً ومنعهم من السفر.»

قال بسرعة:« اتصال هاتفي لن يمنع اشخاصاً بائسين راغبين بالخطف، اما بالنسبة لأختك وتيري، كنت في المارتينيك عندما وصلتني هذه الورقة. أتيت على الفور، متمنياً ان اوقف هذا العمل الاجرامي بوجودي هنا بنفسي. ووجدتك هنا في المقابل وتصرفاتك لم تعجبني ابداً. من حسن الحظ انني وصلت بأقصى سرعة.»

سألت ستيفاني بغضب:« كيف لي أن أعرف بأي شيء من هذا؟ كنت لتصرفت بطريقة مختلفة لو علمت ان جان – بول في خطر. حتى انك لم تخبرني البارحة وانا لي كل الحق بمعرفة ذلك. كل ذلك بسببك وبسبب تصرفاتك غادرت اليوم مع جان – بول. ومن دون ان ادرك وضعته في خطر كبير.»

قال:« ووضعت نفسك ايضاً، آنستي، لا اعتقد انهم

سيأخذون جان – بول وهم يعتذرون منك ومع قدرتك ورغبتك للدفاع والقتال اظن انهم كانوا تعاملوا معك بطريقة سيئة.»

فكرت ستيفاني بالكهف المعزول والمهجور. لم يشاهدا أحداً طوال النهار واذا تعرضا لأي خطر فلم يكن هناك من وجود لمن يساعدهما. لقد تركت بتعمد اخباراً ملفقة عن مكان وجودهما ولقد نجحت بذلك كثيراً. كان الهجوم عليهما قد حدث في اي وقت من النهار، وكل الذي تعلمه، ان الاوغاد قد يلحقون بهما وربما الآن يراقبون المنزل.

قالت بسرعة:« لنخرجه من هنا، لنجمع اغراضه ونذهب!»

قال لها بحماسة:« يسعدني انك وضعتني ضمن مخطط الحماية لديك، مهما يكن، لن تعلني عن ذلك. في هذه الجزيرة نستطيع ان نسيطر على الامور. فالجميع يلاحظ وينتبه للغرباء كما واننا نملك افضل مركز. من الصعب أن يفاجئونا هنا. يمكنك الذهاب، وسيكون ذلك حكمة منك.»

قالت بغضب وهي تقفز من مكانها:« كيف تجرؤ ان تهينني هكذا؟ هل تظن انني سأهرب واختبأ، اعود الى لندن لأعيش حياتي، تاركة جان – بول في خطر؟»

نظر اليها كريستيان بقلق واضح وقال لها:« بالنسبة اليك لا اتخلى عما كنت افكر به، لم اقصد اية اهانة، فقط فكرت انه من الافضل ان لا يكون لدينا احد جديد بحاجة للحماية.»

قالت له بقسوة:« انني قادرة تماماً على حماية نفسي كذلك حماية جان – بول، او انك تتوقع هجوماً قوياً؟»

ثم قال:« لا ادري ما اتوقع.» بدا لها الامر كالجنون وكأن عليها فقط انتظار الاحداث لتحصل، لكن كريستيان يبدو ان لديه اليد الفضلى الان وعليها الاعتراف انه قادر على التعامل

مع هذه الامور اكثر منها. انه يرفض الاعتراف بأنها متورطة معه بهذا العمل. مهما يكن، ما زال لديها اسرارها الخاصة. واذا علم كريستيان ماذا تخطط له مع فيونا ولماذا يخططان ذلك، سيصبح غاضباً، واكثر غضباً مما هو الآن.

قالت بهدوء وهي تفكر عن افضل الاماكن للدفاع. اذا لم يقرر كريستيان شيئاً عليها ان تفعل ذلك بنفسها:« اذا كنا سنبقى هنا، علينا العمل على خطة ما، يمكننا...»

استدار بسرعة وقال لها مقاطعاً:« اما ان تغادري سانت لوسيان فوراً او ان تفعلي تماماً ما أقوله! انا لا اتوقع من النساء ان تتعامل مع هذا النوع من الامور وانا بالتحديد لن اسمح لك بالتخطيط لأي شيء فيما يخص هذا الأمر.»

« آه!» نظرت اليه بغضب، وقد انتهت من التفكير الهادىء. ان الطاغية مازال موجوداً وهي لن تتفاجأ ابداً، قالت بحدة:«هذه نظرية غريبة، فأنا اتذكر بالتحديد انك قلت لي ان السيدة باسكال هنا لمساعدتك بالاهتمام بجان – بول. هل لديها امكانيات خاصة؟ فهي لا تبدو لي انها تحمل الزنار الاسود في الكارتيه.»

قال لها بحدة:« دنيز اكبر منك، ولديها تجارب اكثر.»

قالت بينما كان ينظر اليها بغضب، غير مهتمة له:« اعتقد ذلك، لكن كونك اكثر شباباً، يمكنك ان تتحرك بسرعة اكثر. يمكنني ان ابعد جان – بول بينما تضع السيدة باسكال اللمسات الاخيرة على وجهها.»

رفع حاجبيه وحدق بها غاضباً.

قال موافقاً بقسوة:« انت بلا شك اصغر منها، وفي هذه اللحظة اطول واكثر نحافة ولديك عينان واسعتان

وغاضبتان. وقليل من لياقة دنيز لن تسبب لك الاذى. من الواضح انه من الضروري ان نتحدث اكثر عن هذه المشكلة لكن الى الآن، آنسة كاين، اعتقد ان لديك كلاماً هادئاً ولطيفاً مع ابن اختك قبل العشاء. اعتقد انه سمع صراخك الغاضب. وربما سمع من الشاطىء، أو حتى من البحر.»

وجدت ستيفاني نفسها تحمر من شدة الغضب والانزعاج، وذلك من نظرته الحادة، انه ينظر اليها الآن كما نظر اليها عند الصباح وهي تعلم ان تنورتها ليست مغلقة تماماً، ومما لا شك فيه ان جان – بول قلق من سماع صراخها.

شدت تنورتها حول خصرها ووقفت، لكنها لم تتمكن من السير، فهي لم تنتهي من هذا النقاش بعد.

سألت بصورة غير متوقعة:« اين هي سيارتك؟»

ادهشه سؤالها ورأت بوضوح كيف يحاول ان يتفهم رأيها بسرعة،وقال لها باعجاب:« أتيت بالقارب السريع، وقبل ان تقولي انها مسافة طويلة من فرنسا، سأخبرك بسر مهم لقد احضرت معي اليخت. وانه يقف في مكان قريب من هنا.»

شعرت بالتوتر في الحال وقالت:« لماذا؟» لا بد ان لديه خطة ما وهي مصممة ان تعرفها. معما فعل كريستيان انها متأكدة ان جان بول سيكون سعيداً معها اكثر من اي انسان آخر، وهي ستعمل على حمايته بكل ما تملكه من قوة.

« انه مكان آمن، وبما انني كنت في المارتينيك رأيت انها فكرة جيدة ان احضر اليخت الى سانت لوسيان، فاذا احتجنا لذلك، سنذهب الى القارب ونبقى هناك.»

عادت افكارها تتصوره كقرصان ثانية، حدقت به بقوة، وهي تفكر بالخلاص، لما لا يأخذ جان – بول الى هناك على

الفور؟ انه الحل المثالي، لا يستطيع احد ان يصل الى القارب من دون ان يراه احد.

قالت بسرعة:« لنذهب الى هناك الآن، لم علينا البقاء هنا؟ تريد ان تسيطر على الامور؟ واي مكان افضل من اليخت؟ لنأخذ جان – بول ونرحل، يمكننا بذلك تجنب الهجوم!»

سار كريستيان ببطء نحوها ووقف ينظر الى وجهها المرتعب قائلاً:« لن يكون هناك اي هجوم، شخص ما سيخطف جان – بول بعيداً. سيفعل ذلك بطريقة ما وأشك كثيراً ان يفعل ذلك مع فريق مسلح.»

« ما الذي يجعلك متأكداً هكذا؟» ارادت ان تعرف لم يبدو متأكداً هكذا، يزن كلماته، ترى ما الذي يعرفه؟!

قال لها بهدوء:« انني متأكد لأن هذه هي طريقتهم. عدد من الصناعيين الكبار واجهوا مثل هذه المشكلة ولم يتمكن احد منهم من الهروب في النهاية. فهناك مبلغ كبير في هذه القصة، وهي مجرد عملية تبادل، انت تأخذين شخصاً محبوباً وتطلبين فدية.»

« اذاً لما لم يخطفوك انت؟ فأنت السمكة الكبيرة؟»

« من الصعب التعامل معي مثل ولد صغير، فكل الذي يريدونه المال.»

قالت تأمره بسرعة:« ادفع لهم! لا بد ان لديك الكثير من المال، فقط ادفع لهم!»

قال ببرود:« احياناً قد يمكرون، في المرة الاخيرة، خطفت طفلة صغيرة ولم يعيدوها، اريد ان أمسك بهم ولا أريد ان أعرض جان – بول لأية مشكلة، اذا فشلوا ولم امسك بهم، سيعاودون الكرة، ولا أستطيع تعريض جان – بول للخطر.»

قالت بقلق:« لا يمكنك تجنب ذلك.» عضت على شفتها عندما ادركت معنى كلامها.

« بل يمكنني ، يمكنني تولي الامر، ثقي بي، كل الذي اطلبه هو ان تطيعينني في كل الأوقات، اتركي امر التفكير لي.»

« يمكنني ان افكر.»

« عندما تفكرين بطريقة أقل تهوراً سندمج عملنا، والآن! لقد حان وقت العشاء، هل استطيع أن أطلب منك ان تبدلي ثيابك، آنستي؟»

لم تفكر ستيفاني هذه المرة بالشجار معه، تركته وهي تفكر، وكم شعرت بالامتنان عندما رأت جان – بول في غرفته مرتاحاً، يجلس في سريره، ويتناول عشاءه.

قالت تمازحه:« الطفل المدلل، لم يقدم احد لي الطعام في السرير.» ارادت ان تضمه بقوة وتجلس بقربه على السرير في حراسة دائمة.

قال ضاحكاً:« اتوقع ان اكون الحيوان الأليف لعمي كريستيان، لكنه على حق تماماً، انني متعب، واذا نمت باكراً ربما يمكننا الذهاب في مشروع جديد غداً، ستيفي؟»

« علينا ان ننتظر ونرى.» ابتسمت له وعادت الى غرفتها. لقد انتهى زمن الخروج والتمتع، من الآن وصاعداً يمكنها ان تتبع ابن اختها وتراقبه طوال الوقت، كل الذي تأمله ان يبقى بعيداً عن هذا القلق، لو ان تيري وفيونا يعودان. لو انها فقط اصرت على معرفة مكانهما، من الافضل ان يكون هناك عدد اكبر من الناس لحراسة جان – بول ومن سيكون افضل من امه وأبيه؟

وجه ساحر، ووسيم ظهر في مخيلتها فابتسمت. ان

كريستيان افضل منهما، انه قاس، وذكي ولديه قوة في شخصيته لا يملكها تيري. كما انه يملك الملايين، اذا صدق كلام فيونا، واية مساعدة يطلبها يجدها فوراً، المشكلة انه لا يبدو انه بحاجة للمساعدة ابداً، ما عدا الطلب من الشرطة ان تبحث عنها بعد ظهر هذا اليوم، يمكنها ان تتأكد انه لم يخبرهم بأي شيء، وهو لم يخبرها لو لم يجد نفسه مجبراً على ذلك.

بينما كانت تستحم لتتخلص من الرمل عن جسمها وشعرها، اخذت ستيفاني تفكر بمشكلتهم. يبدو ان كريستيان لا يشك ابداً بأن الرسالة جدية، لقد عرف بها قبل وصولها كما وانه يعلم بأن هناك من يعد للتصرف، وكما يمكنها ان ترى، انهم يجلسون منتظرين، وفي لحظة واحدة من دون عناية واهتمام قد يخطف جان – بول.

لم تفكر يوماً ان الثراء قد يجلب كل هذا القلق. كانت حياتها بسيطة وهادئة البال، حتى الآن يمكنها ان ترى ان اي شخص مثل كريستيان ديوراند عليه ان يكون قاسياً وصلباً. يمكنها ان تفهم لماذا لم تجد فيه تلك الشخصية المرحة التي تخيلتها به عندما كانت في التاسعة عشرة من عمرها. فالسنين قد زادت من مسؤولياته.

عندما عادت الى غرفتها نظرت الى نفسها في المرآة وهزت رأسها بحزن، انه على حق تماماً، تبدو يافعة ومتهورة، ولا أثر مطلقاً للفتاة المرفهة والناعمة فيها، واذا استمرت في المضي ان تبدو هكذا لن يسمح لها كريستيان بأن تحرس جان – بول. لقد حان الوقت لتظهر فتاة سلسيتال ثانية.

تجهم وجهها، فهو بلا شك جاهز لاهانتها، لقد سخر من مظهرها، لقد تحدث هكذا لأنه يشعر بأنه اكبر منها وافضل

منها، وكأنه عمها ايضاً، لقد حان الوقت لتوقفه عند حده فأحضرت علبة المكياج لديها.

حتى مع ذلك، عندما ذهبت للعشاء، كانت متوترة جداً. كان لديها شعور مخيف ان شيئاً ما قد يحدث، وانهم لم يحترسوا بما فيه الكفاية وربما كان المنزل مراقباً.

صففت شعرها كما يطلب منها عادة ورفعته الى اعلى رأسها وتركت عدة خصلات منه حول وجهها. كانت خصلات شعرها الفضية تلمع نحو الاضواء ومكياجها رائعاً، بسبب عدة سنوات من الخبرة. لم تحضر معها اية ثياب للسهرة لأنها لم تعتقد انه سيكون هناك اي مجال لذلك لكن التنانير الحريرية مع ما يناسبها والتي احضرتها معها من جزر الكناري وقد ارتدت اجملهن، كانت ذات الألوان الاحمر الداكن واسوارتها الفضية تناسب حذاءها الفضي.

نظرة كريستيان اوقفتها في مكانها واربكتها كثيراً. وقف يحدق بها بعينيه اللامعتين حتى بدأت تفكر انها قامت بأي نوع من الاخطاء المخيفة، لا يمكنها ان تتذكر ماذا فعلت، فتنورتها منسكبة على جسمها تماماً وهي لم تنس ارتداء القميص المناسب معها.

وجدت نفسها تحمر خجلاً للمرة الثانية والاحساس بالترف والدلال قد غادرها ايضاً، انه أمر سخيف! فهي لم تنزعج يوماً من تحديق الناس بها، ولو انها تفعل ذلك، لطردت من عملها منذ سنين عدة.

مع ذلك، كريستيان يزعجها ، ويبدو انه لا يهتم انه يسبب لها الاحراج، كان ينظر اليها بدقة وكأنه يرغب في حفظ ملامحها في مخيلته، لم تشعر يوماً بهذا الاحساس من قبل

ولم تدري ما الذي ستفعله، شعرت وكأن ساقيها ترتجفان وضاقت عيناه وكأنه يعلم بما تشعر به.

نظرت دنيز باسكال اليهما بغضب لكن يبدو ان كريستيان لم يلاحظ، قالت بسرعة وكأنها مصممة على كسر هذا الموقف المفاجيء من كريستيان.

« لقد رأيتك من قبل!»

تمتمت ستيفاني متجنبة عيني كريستيان:« يسعدني انك تتذكرين، انني اقيم هنا، ولقد تناولنا العشاء معاً البارحة اذا كنت تتذكرين.»

حركت دنيز يديها بعصبية ونظرت الى ستيفاني بعينين ممتلئتين بالشك، وهي تقول:« اعني في مكان آخر، ربما هي خدعة الاضواء لكنك تذكرينني بشيء ما.»

قال كريستيان بنعومة:« اعتقد ان الخداع كان البارحة وصباح اليوم، اننا نرى الوجه الحقيقي للآنسة كاين اخيراً، اليس كذلك؟»

قالت:« انني ذات الشخص التي صعدت الدرج منذ وقت قصير.»

« على العكس،لقد تغيرت كثيراً.»

لم تكن ستيفاني بحاجة للرد عليه لأن دنيز قد تضايقت بما فيه الكفاية من هذا النقاش. وضعت ذراعها داخل ذراع كريستيان وقالت انها جاهزة لتأكل. شعرت ستيفاني براحة كبيرة ان تتمكن من الحراك بدون عينين تراقبانها بشدة لكن ما ان اصبحا في غرفة الطعام حتى وجدت وهي غاضبة جداً ان لوسيا قد غيرت ترتيب المقاعد. ويبدو انه في غياب جان – بول احساسها بالمسؤولية قد غادرها، لقد وضعت صحن

ستيفاني في مواجهة كريستيان، وبالطبع قد تقصد ان تأخذ هذا المقعد دنيز، لكن دنيز جلست بقربه وهي ترمق ستيفاني بنظرة ان هذا هو مكانها الطبيعي والاكثر ملائمة.

هذا ليس مفاجئاً، ما كان ليحضر هذه المرأة الى هنا لو لم تكن معه في اليخت ولن تكون هنا لو لم تكن امرأته، نظرت ستيفاني اليه باحتقار كبير – على الاقل، هذا ما كانت ترغب بالقيام به لكنه كان لا يزال يراقبها، عيناه مغمضتان قليلاً لكنه لا يزال ينظر اليها باعجاب. شعرت بالحاجة الى النظر بعيداً بسرعة، لن تتعامل معه بهذه الطريقة. انه يرغب في ان يقلل من شأنها ولم يتمكن احد من القيام بذلك معها طوال حياتها.

تناولت طعامها بصمت، بالكاد تلاحظ وجودهما. كانت دنيز تتكلم بنعومة مع كريستيان. مبعدة ستيفاني عن عالمها لكنها لم تكن مهتمة كل الاحوال. فهناك احساس بالامان بالصمت، فهي غير متأكدة من انها تستطيع البقاء قوية مع كريستيان، وهي تشعر بالقلق مما يحدث، وتريد ان تصعد لتتأكد من سلامة جان – بول.

اخيراً شعرت بالحاجة للقيام بعمل ما فقاطعت حديثهما بسرعة قالت وهي تنظر الى كريستيان:« ما الذي علينا القيام به؟ فهناك الليل بطوله ولم نخطط شيئاً بعد لا يمكننا ان نترك الامور على حالها. ان الامر جدي جداً.»

نظرت دنيز بغضب نحو ستيفاني وقالت بلهجة سامة جداً:«ما هو الامر الجدي هذا؟» لكن كريستيان تدخل بسرعة قبل ان يقال اي شيء جديد.

قال وهو يمسك بيد دنيز:« لا شيء، عزيزتي. سأهتم بما

يشغل بالك غداً، ستيفاني.» اضاف وهو ينظر الى ستيفاني بعينين منزعجتين:« لا تقلقي كثيراً على شقيقتك، اني متأكد من انهما رغبا في الاختفاء لتمضية شهر عسل جديد، وهذا لا يهم، فلدى جان – بول الكثير من الاشخاص بقربه وفي الاسبوع المقبل تيري سيصبح في كندا بلا شك.»

حدقت ستيفاني به مندهشة بعدما علمت ما يقصد. لا تعلم دنيز باسكال اي شيء عن الخطر المحدق بهم. وهذا ما جعلها تفهم اشياء كثيرة، احد هذه الاشياء ان هذه المرأة ليست هنا لتهتم بجان – بول. انها فقط مع كريستيان. في وسط كل هذه المشاكل، احضر صديقته معه، هذا ما جعلها تشعر بالاشمئزاز وظهر ما تشعر به على وجهها.

كما انه استعمل بمخاطبتها لهجة مسيطرة ـ وناداها ستيفاني وكأنه يتكلم مع غبية. تابعت تناول طعامها بصمت، مصممة ان تتكلم معه فيما بعد، فإذا كانت دنيز باسكال لا تعرف شيئاً فهي لن تخبرها.

قالت دنيز فجأة وبلهجة منتصرة:« سليستال! تذكرت! علمت أنني شاهدت هذا الوجه من قبل، انت الفتاة التي تعرض منتوجات سليست.»

نظرت اليها ستيفاني وقالت:« هذا صحيح.» وتابعت تناول طعامها.

قالت دنيز وكأنها شعرت بخيبة أمل:« لكنك عارضة ازياء!» لكن ستيفاني لم تنزعج من ذلك. فهناك ما يشغل بالها اكثر من اعجاب دنيز بها.

هزت كتفيها وقالت:« انهم يدفعون جيداً.» وصمتت تفكر كيف يمكن للانسان ان يقارن بين العمل كي يعيش وبين ان

تكون صديقة لشخص ما لكنها لا تهتم مطلقاً لرأي دنيز باسكال. عاد كريستيان ينظر اليها بقوة وفكرت انه يريدها ان تتصرف بطريقة عادية، يمكنه ان يرتاح، انها تريد العمل وليس الكلام.

اخيراً تمكنت ستيفاني من ان تتكلم معه.

ذهبت دنيز الى النوم باكراً، وعندما خرج الى الشرفة وضعت ستيفاني المجلة التي كانت تقرأها بين الفترة والاخرى عندما لا تصعد لترى جان – بول. سيطرت على نفسها مصممة ان نظراته القوية لن تؤثر فيها. فادراكها لاحضاره هذه المرأة معه الى هنا في وسط كل هذه المخاطر جعلها تستعيد رشدها بسرعة.

وقفت بقربه تحت الاضواء وقالت:« انها لا تعرف شيئاً، اليس كذلك؟» نظر اليها باعجاب واضح.

« اعتقدت من الافضل ان لا نخبرها.»

قالت بهدوء:« انت تضعها تماماً في ذات الوضع الذي وضعتني فيه، اذا لم تعرف عن هذا الموضوع شيئاً فلن تأخذ حذرها، لا يمكنك ان تقول انك لم تخبرها لأنك لا تثق بها.»

قال محدقاً بها:« اذا رأيت ان إعلامها أمر ضروري سأفعل، في الوقت الحالي، هذا أمر يخصنا نحن الاثنين. لا أريد ان اسبب لها الازعاج، في كل الاحوال، كيف يمكنك ان تعلمي ان كنت اثق بها؟ انها امرأة.»

قالت مصححة له بحدة:« انها صديقتك، ومهمة جداً لك لدرجة انك احضرتها معك في وسط هذا الخضم.»

نظر اليها بعينين حادتين، من الواضح انه سيفقد طبعه الهادىء.

قال لها بغضب:« لا اسمح للناس عادة بالتدخل بما افعله.»

« تغير الظروف العادات، انني في هذا العمل حتى عنقي ويبدو لي اننا غير كافيين لحماية جان – بول. والآن لدينا عقدة جديدة، السيدة باسكال. ماذا سأفعل ان حدث شيء ما، اهجم بنفسي امامها لكي احميها وانصح جان بول بالهرب؟»

قال بسرعة، وهو ينظر اليها غاضباً لكن باهتمام كبير:«سينتهي كل هذا بعد عدة ايام، انا لا أجلس هنا ببساطة كما تتخيلين، لدى عدد من الناس تعمل بجد، واي غريب قد يكون محظوظاً جداً ليتمكن من الوصول الى الجزيرة.»

قالت بسرعة:« كان عليك اخباري بذلك.» هز كتفيه وابتعد عنها.

« لم ارغب باخبارك، انت علمت فقط بهذا الموضوع، بالصدفة، والسبب الوحيد لاخبارك انه لا يمكن الوثوق بتصرفاتك. وانا لا أشك مع مظهرك كامرأة ناضجة ان تعودي الى تصرفاتك غير المسؤولة. انت تبدين كامرأة لكن أشك في انك تحسنين التصرف كذلك.»

قالت بغضب:« يبدو انك تعرف الكثير لتتمكن من الحكم، لكن الوقت سيحكم، مما لا شك فيه انك تتمنى ان ينتهي كل ذلك بسرعة، وانا اتشوق لذلك اليوم.»

قال بمرارة:« أخيراً وصلنا الى اتفاق، ربما في الوقت الحالي لا تحاولي ان تفسدي علي حياتي؟»

قالت وهي مستعدة للشجار:« ماذا تقصد بكلامك؟» استدار لينظر اليها وقال:« انت تصرين على التخطيط لي كيف سأمضي ليلتي، آنسة، علي القيام ببعض الاعمال.»

قالت بسرعة:« انت تعرف تماماً ما اقصده.»

« لكن دنيز لا تعرف.»

« هذا لا يفاجئني، ولا اعتقد انها مهتمة مطلقاً بمشاكلي.»

وقف وضحك لها، من الواضح انه مستمتع بذلك، لقد تخلى عن قلقه بسبب احراجها فاستدارت لتغادر.

قال بصوت عميق:« عمت مساء، ستيفاني.»

استدارت بغضب وقالت:« عمت مساء.»

* * *

لم يزعجها انها غاضبة، فالاحراج غير مهم بجانب المشكلة الكبيرة التي تواجهها، جهزت نفسها كي تنام وجلست في الظلام لفترة طويلة وطويلة جداً، تنظر احياناً من النافذة.

واحساس بالامتنان من كونهم في الطابق الثاني، فهذا سيصعب عليهم الامور للوصول الى هنا الا اذا تمكنوا من الوصول الى الشرفة، وعلى الرغم من كلمات كريستيان فهي لا تزال متأكدة انهم بالقرب من المنزل.

مع انها لا تعرف من هم، لقد اخبرها كريستيان القليل، ومع انها ترغب بمعرفة المزيد، لكن يمكنها ان تفهم انه معتاد على اتخاذ قراراته بنفسه لكن هذا الوضع يختلف عن عالم اعماله، هذا عالم اجرامي وسلامة جان – بول على المحك، وهي متورطة بذلك رغب بذلك ام لم يرغب.

صوت خفيف جعلها تتوتر، وتقفز على الفور، ما ان اصغت اكثر حتى تأكدت ان احداً ما في الممر، ركضت الى الباب عارية القدمين واخرجت رأسها من الباب لكنها لم تجد شيئاً اذاً، لا بد ان هناك احداً ما في غرفة جان – بول، انه بالقرب

منها وكانت قد سمعت ذات الاصوات التي سمعتها لو ان احداً دخل اليه.

لم تكن تعلم اين ينام كريستيان والا لكانت ركضت اليه واحضرته لكن في كل الاحوال قد لا تجد الوقت الكافي. الهجوم عليهم الآن أمر ضروري. لا تجد شيئاً تأخذه معها كسلاح. نظرت برعب حولها لكنها لم تجد شيئاً ثقيل الوزن او حاداً بما فيه الكفاية، مجفف شعرها قد يكون الشيء الوحيد، ان الاصابة به على رأسه قد تسبب له الأذى لتتمكن من الصراخ لكريستيان.

خرجت الى الممر واقتربت من غرفة جان بول وبدأ قلبها يضرب بقوة عندما فتح الباب قبل ان تضع يدها على المسكة. شدت بنفسها على الحائط بقوة، وهي ترفع مجفف الشعر لتبدأ بهجومها، اي شخص سيخرج سيمر من امامها.

لم تسمع صوت جان – بول، لا بد انهم قيدوه، كانت غاضبة جداً لدرجة انها كانت سعيدة انها ستضرب رأس الخاطف. دفعته بقوة كبيرة وشهقت من الصدمة عندما امسك كريستيان بيدها مبعداً رأسه من أمامها.

للحظة حدق بغضب بوجهها المرتعب وامسك بذراعها ودفعها الى غرفتها، بدا لها ان قدميها لا تلمسان الارض لكنه لم يقل شيئاً حتى اصبحت داخل غرفتها واغلق الباب جيداً.

الفصل الرابع

قال بصوت منخفض: « هل انت مجنونة؟» كان لا يزال يشد على ذراعها بقوة وهو يتابع:« ماذا كنت تفعلين هناك؟»

كانت ستيفاني لا تزال مصدومة:« لقد سمعت صوتاً ما.»

قال يذكرها وغضبه يشتد:« وانا محظوظ انني تمكنت من سماع كل شيء، ولو لم أر ظلك كنت ضربتني بما تحملينه بيدك، بلا شك.»

قالت معترضة:« علي القيام بحراسة جان – بول.» ومما لا شك فيه ان ما قالته اشعل غضبه اكثر، دفعها الى الامام وهو يغرس احد اظافره في ذراعها.

« اخرسي! ما كنت لتستطيعين حراسة احد على الاطلاق. كما يبدو، انت عديمة المسؤولية، ان وجودك خطر على ابن اخي، غداً سأعيدك الى انكلترا.»

« لن تفعل ذلك! لا يحق لك القيام بذلك وأنا لن اترك جان – بول، لنفترض ان احد الخاطفين في غرفته الآن؟»

« كان سيبقى هناك، آنستي، ولزيادة معلوماتك، كنت في غرفته ولو ان احداً حاول لكلفه ذلك غالياً، لا داعي لنضرب احداً من دون سبب!»

اعترضت ستيفاني:« لم اكن اعلم ذلك، لا استطيع ان افهم لماذا انت منزعج بينما كنت اقوم بواجبي فقط.»

« ليس من واجبك ان تفقديني الوعي، وليس من واجبك التسلل في منتصف الليل، فأنا اعلم تماماً ما اقوم به

وستكون الامور افضل واكثر أماناً لو عدت الى انكلترا والى عملك حيث لا تسببين اضراراً متعمدة.»

قالت بعناد:« لن اذهب، حتى لا تحاول ذلك، يمكنني ان أسبب لك المشاكل.»

قال بسرعة:« لم اشك بذلك مطلقاً ولو لدقيقة، فأنت تبرهنين على ذلك دائماً.»

كان وقوفهما في الظلام امر سخيف، يتكلمون بصوت منخفض، ومما لا شك فيه ان هذا ما فكر به كريستيان. تمتم بكلام ما قبل ان يتركها وسار نحو مفتاح الضوء في الغرفة.

قالت بسرعة تحذره:« لا تفعل.» فنظر اليها باهتمام وقال.

« لماذا؟»

همست:« قد يكون هناك أحد ما في الخارج.» فنظر اليها غاضباً، واستدار نحو الضوء:« ليس هناك من حاجة لنبرهن اننا ضعفاء. لقد تقبلت الواقع فوراً!»

اكملت حديثها وكأنه لم يقاطعها:« كما وانني ارتدي ثوب نوم قصير.»

نصحها بصوت غاضب:« إذاً اقترح عليك الذهاب الى النوم، فسوف يكون يوماً حافلاً لديك. فاما ستطاردين المهاجمين او انك ستذهبين بالطائرة الى بلادك. وفي كلتا الحالتين تحتاجين للراحة.» استدار نحو الباب بينما بقيت ستيفاني مكانها.

«كيف يمكنني ان انام؟ وجان – بول مستلقياً ببراءة، وهو لا يعلم انه في خطر.»

قال يحذرها بقسوة:« وانا لا أرغب مطلقاً بأن يكتشف ذلك.» استراح فجأة وعاد يسير نحوها قائلاً:« اذهبي الى

النوم. انا سأعمل على حراسة جان – بول. لن يحدث له شيء طوال الليل.»

تمتمت ستيفاني:« ستصبح مرهقاً، اذاً، ولن تكون بحالة جيدة لأي شيء غداً.»

« انت لا تفكرين؟ وهذا يفاجئني. انت تعرفين ان الاشرار لا تنام؟ اذهبي الى سريرك، آنستي. فنحن محظوظان بعد كل شيء. انا لم افقد الوعي ولم اجبر على ضربك، فأنت بأمان.»

ذهب قبل ان تتمكن من الرد عليه، مع انها قد حضرت اجابتها. لكنها ليست معتادة على التعامل مع رجال مثل كريستيان ديوراند. انه صاحب حضور قوي لتتمكن من ابعاده عنها بسرعة. عليها في المستقبل ان تراقب خطواتها. شيء ما مفيد من كل ما حصل – لم يقل لها انه سيجبرها على الرحيل في الغد، ليس في آخر لحظة. لكنها لن تذهب مهما فعل. انه بحاجة لأكثر من شخص لحماية جان – بول وفيما يعنيها انهما معاً في هذا العمل، كشريكين. فعليه ان يعتاد على هذه الفكرة.

جلست في سريرها، تراقب ضوء القمر من نافذتها للحظة، شعرت بثقل في عينيها وعلمت انها تستطيع النوم اخيراً. ذلك بسبب ان كريستيان مستيقظ. احساسها بالامان وبسلامة جان – بول سيطرا عليها.

تذكرت نظرات كريستيان لها وابتسمت لكنها ابعدت الفكرة على الفور عندما تذكرت دنيز باسكال. ما الذي تفعله الآن؟

انها على حق. لا جدوى من وجود هذه المرأة هنا. بكل الاحوال، انها متزوجة، او ربما مطلقة؟ مهما تكن. فإن كريستيان يهتم حقاً لابن أخيه – لتتركهما معاً!

نامت وهي تبتسم. لن يبعدها احد عن جان بول. ستحرسه في كل دقيقة وعندما تنتهي من هذه المشكلة ستتعامل مع مشكلة تدريسه في باريس. سيعود تيري رجلاً مختلفاً. فيونا تعمل على ذلك.

في صباح اليوم التالي، كانت ستيفاني متعبة. نزلت الى الطابق الارضي لتتناول الفطور وهي تبدو شاحبة وقلقة ودهشت عندما وجدت كريستيان وحده هناك.

سألت على الفور:« أين جان – بول؟» فأشار كريستيان نحو الشرفة. وقال:« انه هناك. لا تقلقي. استطيع رؤيته طوال الوقت.» نهض وازاح كرسياً لها وهو يتابع:« كان مصراً على ايقاظك وقلت له انك قد تكونين مرهقة.» جلس ينظر اليها وكأنه يتفحص وجهها، قال بنعومة:« تبدين شاحبة، انا نادم لأنني أخبرتك عن مشكلتنا. كان من الافضل ان تبقي غاضبة واعيدك الى منزلك على الفور.»

تمتمت ستيفاني:« ما كنت لرحلت في كل الاحوال، هل اتصلت بفيونا وتيري؟»

هز رأسه وقال:« عندما يجدونهم سيخبرونني على الفور.»

قالت بجدية:« انه أمر مرعب ان تملك الكثير من المال. لو ان لدي مال بهذا المقدار لوزعته كله وعشت بسلام.»

نظر اليها متسائلاً وهو يقول:« وتتركين المئات من دون عمل؟ لا اعتقد انك تفعلين. في كل الاحوال، هذه الامور تنمو معك. وقبل ان تدركي تصبحين مسؤولة عن اشياء كثيرة يصبح من المستحيل عليك التراجع.»

«لم افكر بذلك.» وعندما لم تقل المزيد نظر اليها بارتياح

واضح وقال:« انت لا ترغبين بالشجار في هذا الموضوع، آنسة؟ اعتقد انك متعبة جداً للقيام بأي عراك الآن.»

تنهدت وقالت:« لن اتعارك ابدا، فقط دعني اساعدك. اعترف انني معك في هذا. ستحصل على معركة فقط ان اصريت ان اترك جان – بول.»

« حسناً، سنجمع جهودنا.» ولم يقل شيئاً اضافياً وهذا ليس كافياً لستيفاني. تريد العمل ومن الافضل منذ الآن.

قالت باصرار:« اذاً اخبرني ما الذي ستفعله. انا لا اصدق انك لن تفعل شيئاً. لا بد ان لديك خطة ما.»

« اريد ان امسك بهم. لقد اخبرتك بذلك.»

« لقد اخبرتني اقل ما يمكنك اخباري به. اذا كنا شريكين اعتقد ان علي ان اعرف كل شيء.»

« شريكان؟ بعد معرفتي بك اعتقد انك تريدين ذات المنزلة؟»

قالت بصراحة:« انت لا تعرفني. سأتخلى عن الموضوع الان لكن تذكر فقط انني في هذه المشكلة حتى النهاية.»

قال:« قد تكون خطرة، ولا استطيع ان أضمن لك السلامة.»

قالت تخاطبه:« انا لا أهتم الا بسلامة جان – بول. استطيع الاعتناء بنفسي كل الذي اطلبه ان اعرف ما هي مخططاتك.»

« لقد اخبرتني للتو انني لا أعرفك، آنسة، وأنت على حق. لو كنت اعرفك اكثر لكنت اعطيتك ثقتي.»

ركض جان – بول اليهما، واقترب من ستيفاني يقبلها قبلة الصباح، فأجبرت على التخلي عما كانا يتكلمان به.

وقف جان – بول بقربها وقال بشوق:« ماذا سنفعل اليوم؟» متوقعاً رد فعل سريع، تابع موجهاً كلامه لكريستيان:« ستيفي ذكية جداً في التخطيط للأمور.»

قالت ستيفاني بسرعة:« لكن ليس اليوم. انني متعبة. فأنا لم اتناول عشائي في السرير اذا كنت تتذكر. اليوم سنبقى في الحديقة وربما قد نسبح في البركة.»

سأل باصرار:« لكن ماذا عن مشاريعنا في زيارات كل الاماكن؟» وقفت، تاركة فطورها واسرعت به للخروج تحت اشعة الشمس.

قالت له:« الغيت كل الاحتفالات بصورة موقتة. وكل شخص بحاجة الى الراحة.»

ارادت ان يتأكد كريستيان انها تقوم بدورها فابتسم لها وهي تخرج. كانت ابتسامة ساخرة فادركت على الفور انه لا يثق بها.

قال جان – بول ما ان اصبحا في الحديقة:« لن يمر وقت طويل قبل ان يناديك عمي كريستيان، ستيفي، انه يتكلم معك كثيراً.»

قالت بسرعة:« انه يتصرف بلطافة معي، بعد قليل سأسبح معك.» راغبة في ابعاد افكاره عن العم كريستيان. ان لديها ما يكفي من المراقبة والانتظار. اسماء محببة من شخص مثل كريستيان ديوراند فكرة مخيفة، ولا مجال للتفاوض. مجرد التفكير به يقلقها وهي متأكدة تماما ان المعاهدة بينهما لن تستمر لوقت طويل. سيفعل شيئاً ما يثير غضبها.

شعر جان – بول بالملل بعد وقت قصير، وقال ذلك لستيفاني. كان من الواضح ان الاحتفاظ به داخل المنزل سيكون أمراً صعباً من دون تفسير اهمية او سبب ذلك، انه صبي ذكي جداً ولن يمر وقت طويل قبل ان يشك في الأمر.

كانوا يجلسون بجانب البركة وكانت دنيز ملتصقة

بكريستيان قدر ما يمكنها، ترمق ستيفاني بنظرات حادة كلما حاولت ان تجذب انتباه كريستيان اليها.

قالت بحزم:« اسمع، لا يمكننا الاستمرار هكذا. فقد جان – بول صبره ونحن مازلنا في صباح اليوم الاول من هذه القوانين الجديدة. الاستمرار هكذا بمراقبتنا له معاً ستجعله يشك في الامر.»

قال لها مؤكداً بهدوء:« اعلم ذلك ولقد لاحظت مله.»

« حسناً، ما الذي سنفعله؟ على الاقل يمكنك اخبار السيدة باسكال وعندها نستطيع الكلام بحرية.»

قال بسرعة:« لا رغبة لي مطلقاً باخبارها. ليس من داع لتشعر بالقلق. لقد قلت لك ذلك من قبل.»

نهض وسار حتى حافة الحديقة الكبيرة، محدقا بشدة نحو الشاطىء. لم يجد احداً. انه ليس بشاطىء خاص لهم لكن القليل من الناس يأتي الى هذا المكان. واليوم لم يشاهد احداً.

قال كريستيان وهو يتابع تحديقه:« ربما يستطيع جان – بول الذهاب الى الشاطىء لفترة ما. سنذهب جميعاً.»

لم تحاول ستيفاني مجادلته. فهي متوترة حقاً. فهناك خطر حتى في الصمت على الشاطىء فنظرت الى الصخور المحيطة باحثة عن مكان للاختباء. لم تستطع رؤية احد مهما نظرت بقوة كما وان كريستيان سيذهب معهما، حتى ولو ذهبت ايضاً دنيز.

قال لها وهو يضع يده على كتفها برفق:« ارتاحي، لا يمكن ان يحدث شيء ونحن جميعاً هناك.»

لم تكن متأكدة من ذلك، فلديها افكار مخيفة في رأسها، اعلنت دنيز انها لن ترافقهم. فغادر الثلاثة الى الشاطىء بعد

تناول الغداء، واختارت دنيز الجلوس بقرب البركة، فشعرت ستيفاني بالفرح، فمع وجود امرأة مثلها هناك، اي انتباه سيكون لها وستجبر على حماية جان – بول بمفردها.

سألت بهدوء بينما كانا يسيران على الرمال وجان – بول يسبقهما: « هل حقاً كنت تنوي ان تساعدك السيدة باسكال في حماية جان – بول؟ لا استطيع ان ارى فيها اي اهتمام بالاطفال؟»

قال كريستيان متضايقاً: «كانت معي، وبدلاً من ان اقدم لها قارباً ومرافقاً احضرتها معي. كان علي الحضور على الفور الى سانت لوسيان وهذا ما فعلته.»

« الا تفكر انك ربما تعرضها للخطر؟ يبدو انها لا تدرك ابداً ما يجري في الخفاء. وعندما سيهاجمونها قد تفقد رشدها.»

تمتم بجفاف: « اهتمامك مؤثر حقاً. لن يفعلوا، ومهما يكن، لن يهاجموها. وفي الحقيقة، لقد خططت لابعادها عندما ترحلين.»

قالت وكأنها اكتشفت ما يخطط له: « ليس هذا ما قلته سابقاً، قلت انها ستهتم بجان – بول بعد طردي. بدأت اتساءل ان كنت تقول الحقيقة يوماً.»

قال لها بوضوح: « رأيتها طريقة جيدة لأتخلص منك. وقد فكرت في اللحظة الأخيرة ان ارسلكما معاً.»

قالت: « انك تدهشني، فأنت تقوم بهذه القرارات وكأنك تلعب الشطرنج. انت تشعر بأنك قادر على مواجهة كل القادمين بمفردك؟»

قال: « عادة افعل ذلك.» والتقت عيناه الزرقاوان بعينيها الحائرتين وهي تنظر اليه بانزعاج من كبريائه الواضح.

قالت تذكره: « عادة ... ليست كلمة كافية. عندما تكون سلامة جان – بول على المحك. ويبدو لي انه كلما كثر العدد كلما كان ذلك أفضل، مع ان السيدة باسكال لا نراها كثيراً وكلما طال الوقت كلما قصرت فترة التقائنا بها.»

قال بوقاحة: « لم يحدث شيء بعد.»

فنظرت اليه وقالت بسرعة: « علينا ان نأمل بصعوبة ان يستمر هذا الوضع.»

قال بلهجة متعالية: « هل تتحدثين دائماً هكذا؟» لم تنزعج كي تنظر اليه وهي تقول: « فقط عندما اصادف أموراً مبالغاً فيها.» وسارت لتقترب من جان – بول، تاركة كريستيان يفعل ما يريده، وعادا معاً الى ماضيهما الجميل، يتراشقان بالماء ويسبحان في البرك القريبة ويجمعان الصدف.

اذا استمرت بالتعامل مع كريستيان ستشتعل غضباً ثانية. لم يحدث لها مطلقاً في حياتها ان اثار احد غضبها هكذا. انه الرجل الوحيد الذي تعرفه بهذا الكبرياء! ان لديه تأثير غريب عليها لكن هذا التأثير يضايقها.

ما ان نظرت اليه بعد فترة حتى وجدته يجلس على احدى الصخور العالية. لم يكن يراقبهما لكنه يبدو كحارس مرتاح جداً. انه متأكد جداً من نفسه حتى انه لا يراقب باهتمام.

بعد قليل، تسلق جان – بول الصخور وصعد ليجلس بالقرب من كريستيان فأجبرت ستيفاني على القيام بالمثل.

في كل الاحوال، لا ترغب ابداً بخسارة اي شيء. مما يقوله كريستيان، انها تشعر بالمسؤولية نحو سلامة ابن اختها وهي تريد التأكد من ان لا يتقرب كثيراً من عمه. فهناك مسألة اخرى عالقة وهي سيطرته عليه وتأمين مدرسة له.

صعدت اليهما وتمددت على الرمال. اذا ارادت ان تأخذ حمام شمس فستجد العذر المناسب لتبقي عينيها مغمضتين، وهكذا لن تجبر على التكلم معه. انه أمر سيء كونه موجوداً هنا. لو ان تلك المرأة المزعجة أتت معهم، كانت بقيت بقربه تشغله عنهما. لكن أليست هي هنا فقط لتسلي كريستيان ديوراند؟ ابقت ستيفاني عينيها مغمضتين، لكن تجهم وجهها وضاقت شفتيها بوضوح.

« هل لديك الكثير من الاعمال؟» سؤاله المفاجيء جعلها تنظر اليه بدهشة ورأت انه ينظر اليها باعجاب واضح. لقد ازدادت بشرتها اسمراراً، واشعة الشمس تزيد من لمعان شعرها والان توهج وجهها من وجوده.

قال جان – بول بفخر بينما كانت لا تزال تجلس صامتة:«انها في كل المجلات وعلى الصفحات الاولى من معظمهم. تقول أمي ان ستيفي هي المرأة الاولى في العالم. وان الناس يحاولون دائماً تقليدها. وابي يرى انها رائعة.»

قفز الى الامام واخذ يرمي بالحجارة الى البحر، متقدماً اكثر من الشاطيء. وهذا ما دعاها الى الانتباه فجلست بسرعة واضعة ساقيها تحتها، مع انها كانت قد فعلت ذلك من دون كل هذا الحب والاعجاب منه..

قال بخشونة:« يبدو ان لديك معجباً دائماً هنا. لقد اعتقدت انه صغير جداً ليقدر جمالك. ربما انه يفعل ذلك لأنه فرنسي.» كان لا يزال يراقبها وينظر باعجاب الى لمعان شعرها ولون بشرتها.

قالت بحدة:« انا صديقته، بكل الاحوال. انا لا اتحدث مطلقاً عن عملي. ربما من الافضل ان نغير الموضوع.»

« من الصعب ان نفعل ذلك. فأنت دائماً تحت انظاري – وتثيرين انتباهي.»

قالت بسرعة:« انني في عطلة في جزيرة مشمسة! نسيت ان احضر معي عباءة لأرتديها لكنني متأكدة من خياطة واحدة اذا أمنت لي القماش المطلوب.» نظرت اليه غاضبة لتجده يبتسم لها بطريقة ساخرة، وهو سعيد باحراجها.

توسل بلهجة جادة:« ارجوك لا تفعلي، استطيع ان اراقبك طوال النهار. فأنت جميلة بشكل مدهش كما وأراك مسلية.»

جعلها تشعر وكأنها فقمة تقدم عرضاً ما فاستدارت مبتعدة عنه بسرعة. انه يفعل ذلك متعمداً ليحرجها. يمكنه ان يوفر ملاحظاته. فهي تعلم تماماً كيف هو.

قالت ببرود:« على عكس صديقتك تماماً، اني اعمل كي اعيش، وسيكون من الافضل ان تتذكر ذلك، انت عم جان – بول وليس عمي!»

« انا لا أشعر مطلقاً انني عمك، آنسة. واذا كنت اشعر بأي شيء تجاهك، فربما الضيق الذي يشعره شخص يراقب سجيناً خارجاً بكفالة.»

فتحت ستيفاني فمها لكنها لم تجد ما تقوله. وقبل ان ترد عليه بغضب اكبر، صرخت لوسيا من على درج المنزل.

« سيد ديوراند، اتصال هاتفي لك!» وقفز كريستيان على الفور، وقد اختفت سخريته.

قال بجد:« قد يكون تيري. هذا ما اتمناه.» اقترب منها بصورة اوتوماتيكية وشدها من يدها كي تقف، ونظر سريعاً نحو جان – بول:« مع انني اعتقد انه بأمان هنا سأكون اكثر اطمئناناً اذا عدت معه الى الحديقة.»

هزت ستيفاني رأسها موافقة. انها مستعدة جداً لطاعته في ظروف كهذه.

لن تسمح لأي شجار مع كريستيان ان يعرض ابن اختها للخطر.

قالت:« سأدعوه الآن.» بينما كان كريستيان يتوجه نحو المنزل، وطباعه مختلفة تماماً عما كان عليه منذ بضع دقائق.

نظرت اليه وهي تشعر بالاحباط. انه غير معقول وبلا اي شك مليء بالثقة بالنفس. كلما انتهت من هذه المهمة كلما كان هذا افضل لها، لأنها ستقدم على عمل درامي اذا بقيت بقربه لفترة اطول. لقد ازعجها منذ اول لقاء لهما. والآن يفعل ذلك متعمداً مستغلاً كونها فتاة ليقلل من ثقتها بنفسها.

نادت جان – بول، ووضعت قبعتها الكبيرة من القش على رأسها وسارت نحو الشاطىء باتجاهه، مستعدة للعودة الى المنزل على الفور. فمع غياب كريستيان عاودها الشعور بالخطر والاحساس بالمقاومة لأي خطر يواجههما.

كان الشاطىء هادئاً، ولا شيء يعكر الصمت الكامل الا صوت الامواج والرياح الناعمة التي تتلاعب باشجار النخيل، ومع ذلك، كانت تشعر بالقلق. لا تستطيع التخلي عن الاحساس بانهما مراقبان وان غياب كريستيان جعلها تدرك انها لا ترى المنزل من مكان انحدار الصخور.

قالت بسرعة:« لنذهب» فنظر اليها جان – بول مندهشاً.

« بالطبع، ستيفي. اريد فقط ان اغسل قدمي انها مليئة بالرمال.»

« يمكنك ان تفعل ذلك بالمنزل...» لكنه كان قد ركض الى

الشاطىء ولم يتمكن من سماعها. وهذا ما زاد قلقها. اذا صرخت ستثير انتباهه لما يحدث.

فهو ليس بغبي وسيعلم بسرعة انها قلقة. فهي لا تريد اخافته كما يفعل كريستيان.

اقتربت منه، متمنية ان تدفعه ليسرع بالعودة. استطاعت رؤية المنزل عندما وصلت الى الماء وتأكدت ان المكان يثير الخطر. ركضت وراء جان – بول لتخرجه من الماء، متمنية ان ضحكتها لا تبدو وكأنها تجبره لأنها لا تزال تحدق بالصخور وبالشاطىء بأكمله.

قال جان – بول:« اننا نضيع الوقت. لقد اصبحت قدماي مليئتان بالرمل اكثر. لكن ذلك مسل، اليس كذلك؟»

قالت تؤكد له:« بالطبع.» وتزيدَ من سرعة اللحاق به كي يخرج من الماء . بدا لها وكأن زمناً طويلاً انقضى منذ ان ذهب كريستيان الى المنزل مع ان الوقت لم يتعد عدة دقائق. اكتشفت بانزعاج كم تعتمد على ذلك الفرنسي الوقح وهي الآن بخطر مع كل ما تغنت به من ثقتها بنفسها وعدم اعتمادها عليه، لكنها تعلم انها بحاجة الى كريستيان اذا حدث شيء ما ...

في تلك اللحظة بالذات رأت حركة خفيفة من وراء ثلة من الرمال وشعرت بانذار حقيقي. حدقت اكثر بالمكان، وهي تقول لنفسها انها تبالغ في خيالها او ان هناك أحداً من سكان الجزيرة يسير على الشاطىء.

من النظرة الثانية عرفت انها مخطئة. فهناك رجلان وهما لا يشبهان مطلقاً سكان الجزيرة. واكثر من ذلك، انهما يختبئان، وليس بطريقة واضحة والا لما تمكنت من رؤيتهما

لكنهما يتحركان بحذر ويحاولان متعمدين ان لا يراهما احد. ولو لم تكن قلقة جداً لما تمكنت من رؤيتهما مطلقاً.

اول فكرة خطرت في بالها هي الركض لكنها علمت انهما اقرب الى درج المنزل منهما. عليها ان تركض مع جان – بول على الشاطىء المكشوف وقد يمسكان به قبل ان يصلا الى بر الامان. تستطيع ان تصرخ لكريستيان لكنها لا تضمن سماعه لها. فربما لم ينتبه وهو يتحدث على الهاتف.

قالت بفرح الى جان – بول:« سأسابقك الى الدرج والى داخل المنزل. كما وانني سأعطيك مسافة ما منذ البداية.»

قال:« لك ذلك.» وانطلق سريعاً وهذا ما ارادته. وما ان ركض جان – بول نحو المنزل حتى ركضت هي نحو الصخور. وهي امامها مباشرة، وعلى الرجلين ان يمرا امامها قبل ان يصلا الى جان – بول. لا تستطيع رؤيتهما الآن وهذا ما ساعدها على الركض بسرعة اكثر. اذا وصلت الى الصخور قبلهما فستتمكن من ايقافهما بطريقة ما.

كان جان – بول قد قطع نصف المسافة ليصل الى الدرج ولم ينظر الى الوراء كي يتمكن من الفوز. علمت انها قامت بالخيار الصحيح لأنها تسمع الان أصواتاً خفيفة. كانا يتحدثان باللغة الفرنسية وهي لم تدرك ما معنى كلامهما لكن ما ان ذكر اسم جان – بول حتى علمت انها قامت بما عليها بحكمة. انهما هنا ليخطفاه، تماماً كما قلقت وخافت. فاحساسها لم يخنها.

هكذا هي الامور. ولن تجد من يساعدها الآن. كما وانها ستواجه الرجلين اللذين يعملان على خطف ابن اختها. ظهر الضيق على وجهها مع تصميم قوي بالمواجهة.

عندما وصلا بانتباه وحذر شديدين نحو الصخور ركعت على الارض وملأت قبعتها بالرمال ورمت بها على الفور في وجهيهما، وركضت باسرع ما يمكنها. توقعت ان يمسكا بها لكن لن يتمكنا من امساك جان – بول. كان قد وصل الى اعلى الدرج وما ان نظرت اليه حتى تمكنت من رؤية كريستيان يقترب من نهاية الحديقة وينظر اليها.

صرخت بأعلى صوتها:« انهما هنا!» سقطت على الارض لكنها نهضت وركضت بسرعة اكثر. رأته يقترب منها فصرخت به وهي تلوح بيديها:« عد الى الوراء! سيقتلانك!»

تجاهل صراخها وتابع المسير حتى وصل اليها وامسك بها.

قالت وهي تلهث:« اركض!» لكن كريستيان امسك بها بقوة من كتفيها، وهو ينظر الى المسافة التي قطعتها وبدلاً من ان يتحرك ويساعدها على الابتعاد، نظر اليها بنظرات قاتلة.

عندما ادارت رأسها خائفة تمكنت من رؤية الرجلين يتعثران. يبدو انها حققت هدفها بنجاح كامل لأنهما لا يستطيعان الرؤية، فالرمال قد دخلت عينيهما.

قالت واحساس بالنصر يملؤها:« لقد تمكنت منهما، اسرع! لندخل الى المنزل.»

قال بغضب:« ليس قبل ان اساعدهما.» كان ينظر اليها وكأنها تصرفت بغباء، فحدقت به مستفهمة.

« تساعدهما؟ سيقتلانك! هل انت مجنون؟»

قال يؤكد لها ببرود:« حسب معرفتي لا اعتقد ذلك، لكنني على العكس، اصبح لدي افكار واضحة بشأنك.»

صرخت به:« اي جنون بانقاذ جان – بول من الخاطفين؟» وعادت تنظر بقلق الى الوراء.

« لا شيء على الاطلاق. لكن يبدو ان الرجلين اللذين حاولت متعمدة ان تسببي لهما فقدان البصر هما رجلاي ومن المؤكد انهما بحاجة للمساعدة لأنه لا بد من سبب لتعثرهما هكذا.»

توقفت عن الشجار ونظرت اليه بغموض.

« رجالك؟»

« نعم. لقد احضرت رجلين معي منذ وصولي. ولقد اعتقدت اننا بذلك نكون اكثر اماناً بدلاً من الخوف والاسف لكنني لم افكر ابداً بالجنون للشعب الانكليزي. والآن انا آسف لأنني لم اخبرهما بذلك قبل ان اعرف اي ضرر سببت لهما.»

ابتعدت ستيفاني عنه ونظرت الى عينيه الغاضبتين. كانت ترتجف من الخوف ومن الركض وها هو الآن يجعلها تبدو كحمقاء كبيرة، حتى انها قلقت من انهما قد يقتلانه. لقد عملت على البقاء قوية وشجاعة لدرجة انها لم تكن تعرف انها تملك مثل هذه الشجاعة وكل هذا من اجل لا شيء. انفجرت بدموع غاضبة وركضت الى الدرج.

ناداها كريستيان:« ستيفاني!» لكنها تجاهلته. انه يعتقد انه ذكي! من المؤكد انه لا يثق بها. انها فقط خالة جان بول، امرأة وبلا شك مغفلة. ركضت داخل المنزل لتصل الى غرفتها لكنها رأت جان – بول.

سألها بقلق:« هل انت تبكين، ستيفي؟» لكنها تابعت سيرها على الدرج، ولم تنظر اليه.

قالت ببساطة:« بالطبع لا، انني مغطاة بالرمال. سأستحم. اراك فيما بعد.»

لن تقلق بشأن سلامته. فالعم كريستيان هنا مع رجاله. من يحتاج اليها؟ بقيت تحت الماء وهي تمسح دموعها. لم يقلل

احد من احترامها هكذا. لقد جعلها تشعر وكأنها طفلة تقوم بلعبة ما. واتهمها بالعمل على فقدان بصر رجليه. ماذا اذا كانا هما الخاطفين؟ ماذا كان سيحدث؟ لن يشعر بكل هذا التفاخر!

كان في غرفتها، يقف بجانب النافذة. توقفت وكأنها اصيبت بطلق ناري. انها القشة الاخيرة. حتى انه يجرؤ على الدخول الى غرفتها. ليس هناك حدود لوقاحته.

صرخت وهي تشير الى الباب:« اخرج حالاً! حالاً! حالاً!»

قال بشدة:« اهدئي، ستيفاني، انت تصرخين ثانية.»

« لا تقل ما علي القيام به، ايها الفرنسي المغرور...»

لم تتحرك، لأنه بخطوة واحدة اصبح قربها وامسك بها، ونظر اليها بغضب.

قال مهدداً:« كلمة اخرى بعد وسأرغمك على الصمت، مرة أخرى فقدت السيطرة على نفسك بسبب طبعك الغريب. انت تصرخين ولا تفكرين بجان – بول. كوني منطقية وسأشرح الامور لك.»

صرخت:« لقد فات الأوان لتشرح اي شيء. لقد تماديت لتبرهن لي من انت. من الآن وصاعداً سأتجاهل كل ما تقوله!»

سأل بغضب:« حقاً؟ سنرى يا آنسة، لقد قلت لك ان تصمتي.»

بدأت بالقول:« يمكنك ... !» اسكتها بأن شدها اليه وقبلها.

الفصل الخامس

رفع رأسه وقال:« والآن ستسمعين؟»

هزت رأسها وحدقت به:« لا.» كانت ترتجف فلم يحدث ان تصرف معها أحد هكذا.

قال محذراً:« ستيفاني!»

رفعت رأسها بكبرياء وقالت له بصوت مرتجف:« ارفض التحدث معك. لا يحق لك الدخول الى غرفتي. عندما يعود تيري سأخبره.»

قال مهدداً وهو ينظر اليها بقوة:« اذا حاول ازعاجي سأبعده الى الاطلنطيك.»

قالت بدهشة:« لن تفعل ذلك!»

حدق بها وهزها قليلاً وهو يقول:« بالطبع لن افعل، ايتها المزعجة الصغيرة. فأنا لست وغداً.»

قالت له بتأكيد:« بالطبع انت كذلك، علمت ذلك منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها ولن اسامحك ابداً على ما فعلته معي.»

ابتسم لها وقال:« وماذا فعلت؟ هل ضربتك؟ لابد من وجود وسيلة لجعلك تصمتين وربما وجدت هذه الوسيلة. مع انني جاهز لتقبيلك بطريقة افضل.»

قالت بكبرياء:« فقط دعني واخرج من الغرفة، لم يتصرف معي احد هكذا من قبل.»

« ربما لم تضايقيه كما تضايقيني، على الاقل ما عدت تصرخين الآن. اسمعي، لدي رجلان في المطبخ الآن، وهما لن

يتمكنا من الرؤية بوضوح قبل ساعات. وفي الوقت الحالي، دعيني اذكرك اننا لوحدنا لحماية جان – بول.»

سألت بغضب:« أنت تلقي اللوم علي؟ كان لديك رجلان لحماية جان – بول ولأنني تخيلت انهما الخاطفان وهاجمتهما تلقي باللوم علي؟ لمَ لم تخبرني ان لديك حراساً؟»

قال معترفاً:« لأنني لا اثق بك، وما زلت كذلك، انت لا تستطيعين الصمت وعلينا القيام بعملنا بحكمة وحذر والا خسرنا.» رفع كتفيه متأسفاً عندما نظرت اليه بنظرات اتهام وتابع:« انا لا اشك بمحبتك لجان – بول، ربما كان علي اخبارك، والا لما وصلنا الى هنا. مهما يكن، لم اتوقع ان يشاهدهما احد. كما وانني اقدر شجاعتك وقدرتك على المواجهة. اتخيل لو ان امرأة اخرى علمت بكل هذا لارتعبت.»

سألت ستيفاني بمرارة:« الا تعتقد ان الامر اكثر رعباً ونحن نعلم انه لا يوجد غير رجل واحد لحمايتنا؟ اعتقدت انه يوجد فقط نحن وانه لا يوجد احد للمساعدة غيرك. لا عجب انك كنت تجلس براحة وسعيد. أمر مؤسف انني لم اعرف بمساعديك.»

« انت لا تعتقدين انني قادر على حمايتكما؟»

قالت تؤكد له وهي تبتعد عنه:« اعتقد ان باستطاعتك ذلك، وفي الحقيقة، انني اعرفك جيداً. اريدك الآن ان تخرج من غرفتي وان لا تدخلها ثانية من فضلك. ولو لم يكن جان – بول في خطر لكنت غادرت سانت لوسيان على الفور.»

قال وهو يتجه نحو الباب:« استطيع ابعادك في خلال ساعة.» عندها نظرت اليه وقد ضاقت عيناها.

سألته بفخر:« آه، حقاً! تحب ان تفعل ذلك، اليس كذلك؟

استطيع ان افهم الآن تصرفك هذا. انت تعتقد انه باستطاعتك اخافتي. حسناً، لن يمكنك ذلك.»

قال بصوت ناعم كالحرير:« لم افعل ذلك لأخيفك، صدقيني، انا الخائف. استطيع، مع قليل من التمرين، ان اصبح مولعاً بضمك.»

قالت:« احتفظ بدنيز، فأنتما تناسبان بعضكما جيداً.»

قال بلهجة آمرة:« انزلي الى الطابق الارضي، فعليك القيام ببعض التفسيرات لابن اختك. مما لا شك فيه انه قلق بسبب صراخك بأن الرجلين سيقتلانني وانا متأكد انك كنت جاهزة لرمي نفسك امامي لتحضنيني ايضاً. شكراً لك، آنسة.»

« لكن ليس من داع لذلك.»

اغلق الباب وراءه فازدادت غضباً. ليس هناك من حيلة لا يعرفها، ومن الآن وصاعداً ستتجاهله وعندما تتمكن ستغادر سانت لوسيان على الفور. لو انها تستطيع لكانت رحلت واخذت جان – بول معها.

هزت رأسها مفكرة. فلدى كريستيان القدرة على الاهتمام به. كما تقع عليه المسؤولية فالمشكلة كلها متعلقة به. ولو لم يكن مغروراً ومتعالياً هكذا لكانت تعاونت معه بقوة. وفي الحقيقة لقد حاولت ذلك. لكن الآن يبدو ان ذلك مستحيلا وعليها ان تهتم بمراقبة ابن اختها بمفردها، لانه لن يخبرها بشيء. عليها الاعتماد على نكائها، مع انها تشعر بالاسف للرجلين البريئين، لكن كيف يمكن ان تصفهما هكذا وهما يعملان لحساب كريستيان ديوراند؟كل الذي كانت تتمناه ان يكون هو مكانهما لأن بلا شك لوسيا هي من تهتم بهما وهي لطيفة كالدب في تعاملها.

اخذت تصفف شعرها وتنظر الى نفسها في المرآة. كم تبدو غريبة وهي تشعر وكأن قدميها لا يحملانها. قالت لنفسها ان ذلك بسبب الركض المتواصل على الشاطىء واخذت تحضر نفسها للعشاء.

انها ليلة تذكر، ستحافظ على برودة اعصابها بشكل مذهل.كانت تفكر انها تكرهه كما لم تكره احداً في حياتها.

مجرد التفكير فيه يجعلها تشعر بالقلق، قبل ان تتعرف على كريستيان، لم تفقد اعصابها يوماً، او حتى تكره. لقد بدا لها انها امضت حياتها تضحك. فأين ذهب كل هذا؟

كان جان – بول يجلس على المقعد الكبير، ومن الواضح انه ينتظرها وهو يشعر بالقلق. قفز عندما رآها وقال بتوتر:« لقد سمعتك تصرخين، ستيفي. هل أنت غاضبة؟»

قالت له وهي تضمه اليها:« ليس الآن، انه أمر بسيط وقد انتهى الآن. في كل الأحوال، لم اكن اصرخ عليك فلماذا تقلق؟»

سألها:« كنت تصرخين على عمي كريستيان؟» واخذ ينظر اليها باهتمام واعجاب.

دخل كريستيان الغرفة على الفور، وقال له:« كانت تصرخ بي بصوت عال جداً. لكن انتهى الامر الآن، لقد سامحتني.»

لن تتكلم بحضور ابن اختها، وشعرت على الفور ان جان – بول قد ارتاح.

قال بصوت مليء بالفرح:« آه، احياناً أمي وابي يصرخان في وجه بعضهما وبعدها يعودان سعيدين. انه خصام المحبين، اليس كذلك؟ هذا ما يقوله ابي.»

قال له كريستيان بنعومة:« انه على حق، فستيفاني سعيدة جداً.»

خرج جان – بول الى الحديقة وتنهدت ستيفاني بعمق، مستعدة لتواجه كريستيان، لكن جان – بول استدار وعاد يسألها مستفهماً.

« من هذان الرجلان على الشاطىء، ستيفي؟»

« آه، انهما رجلان يعملان لدى عمك كريستيان.»

« اذاً لماذا ركضت بسرعة نحو عمي ولماذا امسك بك بقوة؟»

اعترف كريستيان: « كنت اضمها الي.» فنظر جان – بول الى ستيفاني مندهشاً.

« اذاً لماذا كنت تصرخين به؟» اراد ان يعرف. ولكنها لم تجد عذراً واحداً تستطيع تقديمه له لكن تدخل كريستيان انقذها.

وقال بحزن: « انها صاحبة طبع سيء جداً.»

استدارت ستيفاني اليه عندما ابتعد جان – بول.

قالت بسرعة: « ارى انك تملك موهبة الكذب، مع كل قدراتك الباقية.»

نظر اليها بسخرية قائلاً: «تريدين ان يدرك جان بول الامر؟»

قالت بغضب: «كان من الممكن ان تقول الاشياء ببساطة من دون كل تلك الكلمات المنمقة. وليس من حاجة ان تدعه يفكر...»

« آه! فهمت! شجار المحبين يقلقك. لكن لا داعي لذلك؟ لقد اسعد ذلك الصبي الصغير، وانت تعرفين تماماً، انني اغلقت كتاباً مزعجاً. فأنت في أمان تام. آنستي.»

نظر اليها بغضب قاتل وخرج لينضم الى ابن اخيه ولم تمنعه. حتى الآن، لقد تمكن من السيطرة عليها وهي بحاجة

للوقت لتستعيد هدوءها. شعرت وكأنها ترتجف. كيف بها وهي تتناول العشاء مع دنيز.

قررت ان لا تتحدث مع كريستيان الا اذا أجبرت. وهو ايضاً لم يتحدث معها. بدا عليها انه يفكر في بعض الامور وافترضت ستيفاني انه يفكر كيف يتخلص منها. كان عشاء مزعجاً وهي تحاول مع كريستيان ان يبدوان طبيعيين من اجل جان – بول. فلقد امضى المساء كله وهو ينظر اليهما.

بدا على دنيز انها تتبع خطة ما في الاختفاء كل ليلة. وكانت تبدو مهتمة لتجنب كريستيان وستيفاني النظر الى بعضهما. لقد شعرت بالقلق لكن كريستيان تولى الاهتمام بالامر عندما ارادت ستيفاني المغادرة.

قال باهتمام مبالغ: «اريد التحدث معك، ستيفاني. ربما يمكنك ان تعذرينا، دنيز؟ سنذهب الى المكتب.»

ابتسمت له ابتسامة كبيرة وقالت: « بالطبع! استطيع ان املأ وقتي بسهولة، كريستيان.» فتساءلت ستيفاني ان كانت ستتسمع على كلامهما من ثقب المفتاح. لا داعي لذلك، فكل نقاش لها مع كريستيان حام جداً. والمهتم لسماعه يستطيع الاستماع من الحديقة.

قال بقسوة عندما اصبحا بمفردهما في المكتب: « لا يمكننا الاستمرار هكذا . انا لا اشك أبداً بدوافعك لكنني لا استطيع التركيز على سلامة جان – بول وانت هنا.»

جلست ستيفاني، وهي تحدق فيه ببرود. ها قد عاد ثانية. واذا لم ينجح في احد خططه سيحاول خطة اخرى.

قالت باصرار: « ارفض تماماً المغادرة، ولو ان وضعنا معكوس كنت سترفض ايضاً.»

قال بغضب:« لا مجال للمقارنة. فأنا رجل. وهذا ما يعطيني صلاحية أكثر.»

« لقد اكتشفت ذلك. فأنت تملك قوة اكبر لاهانة الناس. الصلاحية الاكثر التي مارستها علي كانت قدراتك. والصلاحية الأخرى هي الغنى ولو لم تكن فاحش الثراء هكذا لما تعرض جان – بول لأي خطر. اعتقد عوضاً عن الاحساس بالقوة والتعاظم عليه الاحساس بالذنب.»

نظر اليها باحباط وقال:« انا اشعر الآن باحساس عارم من الغضب. فالمنطق معك يقود اي انسان الى الجنون. انت تبتعدين عن الموضوع بمهارة مدهشة. واعتقد انك تتعمدين ذلك، الا اذا كنت غبية بالفعل.»

قالت متضايقة ووقفت مستعدة للمغادرة:« اذا دعوتني لمكتب تيري لتهينني، فأعتقد اننا نستطيع انهاء اجتماعنا على الفور. فعلي مراقبة جان – بول، وهذا ما عليك فعله.»

قال بضيق:« حسناً، في الوقت الحالي، سندع الامور على حالها. لكنني اريد ان اعرفك على رجالي.»

ذهب الى الباب ونادى الرجلين اللذين عانا هجومها المفاجيء عليهما ورأت ستيفاني علامات الرضى في عينيه عندما أجبرت على شرح ما فعلت واعتذرت عن الاساءة اليهما. علمت انه اراد ان يقلل من شأنها لكنها رفضت ان تشعر بالاحراج. كانت تقوم بافضل ما يمكنها والضرر ناجم عن خطأ كريستيان في أنه لم يوضح لها الأمر.

لحسن الحظ انهما تفهما ذلك، حتى انهما وجدا ذلك طبيعياً، وكانا يبدوان قويين ولولا قليل من الاحمرار حول عيني كل منهما لرأت انهما بألف خير.

سألت ستيفاني بحدة بعدما غادر الرجلان:« هل هذا كل شيء؟» بينما وقف كريستيان يحدق بها.

« حتى الآن. غداً سنعمل على خطة ما.»

« حسناً.» لكنها لم تشعر بالارتياح فهي لا تثق به مطلقاً.

قال وكأنه يتحدث مع نفسه:« علي ان آخذ دنيز بالاعتبار.» فنظرت اليه غاضبة. انه لا يزال يفكر بتلك المرأة مع كل هذا الخطر المحدق بهم.

« لحسن الحظ، انها مشكلتك وحدك. فسأذهب واهتم بمشاكلي.»

ارادت ان تتخطاه لكنه امسك بذراعها وقال يذكرها:«سأراقب انا أيضاً جان – بول. لذلك تأكدي من هويتي، قبل مهاجمتي.»

خرجت وقد تجاهلته تماماً، لكنها كانت تعلم انه وقف في القاعة يراقبها.

لم تهتم للامر فلقد اعتادت على ان تراقب دائماً وصعدت على الدرج بكياسة معتادة، ولم تنظر ابداً الى الوراء.

بطريقة ما ربحت لأنه اعترف انهما شريكان في هذه المشكلة. ولو انه فعل ذلك من قبل لشعرت بالارتياح لكنها الآن قلقة وحزينة. لقد عمل على اغضابها واقلاقها حتى شعرت وكأنها انسانة أخرى. لقد ابعدها عن الفرح في هذا المكان واعادها الى الواقع بسرعة عجيبة. ارادت العودة الى منزلها، لكن ليس من دون جان – بول.

« آه! هل انتهى الاجتماع، آنسة كاين؟»

عندما استيقظت ستيفاني من افكارها وجدت دنيز تحدق بها.

أكدت ستيفاني لها بانزعاج: «نهائياً، وهو بمفرده اذا كنت تريدين الانضمام اليه.»

« آه، لا افكر بذلك. لقد حضرت نفسي للنوم كما ترين.»

بالطبع يمكنها ان ترى. فلقد كانت ترتدي قميصاً حريرياً زهري اللون يعكس جمالاً اضافياً على شعرها الداكن. ولم يكن مهماً ان كانت خارجة من الغرفة او تهم بالدخول اليها.

سألت ستيفاني بمكر: « ولم لا تنزلين لتتناولي شراباً ما.»

قالت دنيز وهي تبتسم: « لا تخشي علي آنسة.»

سارت ستيفاني الى غرفتها واغلقت بابها بقوة. حضرت نفسها كي تنام، محاولة التخلص من اليأس الذي شعرت به لرؤيتها دنيز. وهذا ما اغضبها ايضاً.

فما الذي يعنيها اين ستمضي ليلتها دنيز؟ ومع من؟ في كل الاحوال هي تكره كريستيان.

ارتدت روباً فوق ثياب النوم وخرجت تتفقد جان – بول. كادت ان تصطدم بكريستيان عندما كان يصعد الى غرفته.

قال: « يمكنك الذهاب الى النوم، سأراقب جان – بول بنفسي.»

قالت بصوت منخفض: « لا اعتقد، فهناك من ينتظرك في غرفتك.»

ادارها بقوة حتى تواجهه وقال: « عما تتحدثين؟»

قالت بسخرية: « لقد تمنيت ليلة سعيدة لدنيز وهي تدخل الى غرفتك وبما انك لا تستطيع التواجد في مكانين في وقت واحد، سأراقب جان – بول. اما اذا اردت فنستطيع ان نتقاسم سأسهر عليه من العاشرة حتى الثالثة وانت ستأخذ مكاني حتى السادسة.»

استدار كريستيان ودخل الى غرفته، تاركاً الباب مفتوحاً وهو ينظر الى الداخل. عاد اليها وهو يرمقها بكره وشك معاً.

قال: « كم هو غريب ان الغرفة فارغة. اذهبي الى سريرك، آنسة. وتأكدي انك قمت بما يكفي من المشاكل هذا اليوم. يمكنك البدء غداً. فأنت بحاجة الى الراحة.»

قالت وهي تشعر بأن خديها يحترقان من نظراته المستنكرة: « اذا لم تكن في الداخل فهذا يعني انها كانت تخرج من غرفتك. لقد تحدثت معها.»

قال: « اذاً يؤسفني ذلك، ربما تبحث عن مكان للاختباء.»

عاد الى غرفته واغلق الباب وكادت ان تركض ستيفاني لترجع الى غرفتها.

شعرت وكأنها شريرة ومسببة للمشاكل مع انها متأكدة من رؤية يد دنيز على باب غرفة كريستيان. لا بد انها في الداخل الآن، تضحك عالياً. فهي ليست متأكدة من انه قال الحقيقة. ربما كانت فرصة له ليجعلها تشعر بالغباء. انه لا يترك فرصة لها وقد صدقته.

في صباح اليوم التالي، كان كريستيان قد اعد مفاجأة لها. عندما نزلت الى الفطور كانت دنيز هناك وهذا ما أكد لها أن شيئاً ما سيحدث. كان جان – بول على الشرفة وبدا لها ان كريستيان تعمد ايقاظه ليبقى معه على انفراد.

كانت ليلة الامس تمر في مخيلتها بشكل دائم لكنها تستطيع ان ترى اختلاف الامور هذا الصباح. فمثلاً، الرجلان يجلسان على الشرفة بقرب جان – بول وهذا واضح ان هذه هي الاوامر الجديدة. نظرت مندهشة باتجاه كريستيان وقد كان ينتظرها.

قال ببرود:« تغيرت الامور الآن، وسنعتمد الآن الحراسة المكشوفة.»

قالت بحماسة:« اوافقك الرأي، فهذا الامر سيخيفهم.»

نظرت بسرعة نحو دنيز فقال كريستيان عندما رآها تحدق بها. « لقد شرحت الأمر لدنيز، وقد وافقت ان تغادر اليوم. هذا تصرف حكيم من قبلها. فمع وجود ثلاثة رجال لحماية جان – بول لن تحدث اية مشكلة. ومجرد وجود امرأة قد يعرقل الامور. اريد ان ترحلي مع دنيز، آنستي.»

نظرت اليه ببرود. مسرحية ثانية للتخلص منها! انه لن يتوقف ابداً.

« هل تصدر الأوامر لي، سيدي؟» ارادت ان تعرف. نظرت اليه وهي تفكر، ان كان يعتقد ان ما حدث البارحة قد غير رأيها فهو مخطىء. لن تنسى ابداً ما فعل وعليه ان يخجل من نفسه، لا ان يجلس هكذا ويصدر الاوامر.

قال بتوتر:« انني اقترح انه من الحكمة ان تغادري، ما ان علمت دنيز بالمشكلة حتى قررت المغادرة على الفور. انها راحلة الى المارتينيك وليس هناك من سبب كي لا ترافقينها ايضاً. ويمكنك العودة عندما ينتهي الامر. وفي الوقت الحالي، سأدفع فاتورة الفندق، بالطبع.»

هذا ما ازعجها اكثر، مع وجود دنيز كي يحرجها لأنها تصغي لكلامهما وهي تنظر اليها بكبرياء وتفاخر، وتهز رأسها بين الحين والآخر.

قالت بحدة:« ليست السيدة باسكال متورطة في المشكلة. فوجودها هنا منذ البداية مختلف جداً عن سبب وجودي. انها ضيفتك ومشكلتك. أما انا فلقد طلب مني، من والدته

ووالده، القدوم الى هنا والاهتمام بجان – بول. ولن اغادر قبل عودتهما.»

قال وهو يحدثها محذراً:« اذا واجهتنا المشاكل ستصبحين عثرة في طريقنا.»

لم تتأثر بغضبه. انها تصر على نقطة مهمة وهي لا ترغب مطلقاً في الرحيل.

قالت بحزم:« لن اترك جان – بول، قد تستطيع تشبيهي بفراشة في زجاجة او بعصا في الدواليب لكنني هنا وسأبقى.»

« انا لا افهم تعابيرك الغريبة، لكن كل الذي اراه، انه عندما تواجهنا المشاكل سأبقي عيناً على ابن أخي والعين الاخرى عليك.»

وقفت ستيفاني تاركة فطورها راغبة في المغادرة وهي تقول:« سأكون منشغلة بالاهتمام بابن اختي! وفي الوقت الحالي، أقترح عليك الاهتمام بالسيدة باسكال والابتعاد عن كل ما يخصني!» وغادرت غاضبة لكن كريستيان لحق بها، ممسكاً بذراعها وهو يشدها نحو الحديقة بعيداً عن الانظار.

قال وهو يديرها كي تنظر اليه:« اريدك بعيداً من هنا، واذا لم تعودي الى رشدك سأضطر الى ربطك ووضعك في كيس لابعادك. المرأة عادة لا تستطيع التصرف في وضع كهذا. ولقد برهنت ذلك البارحة عندما هاجمت رجلين بريئين.»

قالت تذكره بغضب:« ولقد تمكنت منهما.» تمكنت من الابتعاد عنه، تابعت وهي تشير بأصابعها اليه:« كل ما قمت به من تصرف خاطىء منذ وصولك يعود اليك لو لم تتصرف كالطاغية لما حاولت عدم اطاعتك. كل ما كان عليك القيام به

هو اخباري بالحقيقة. وانت لم تفعل ذلك لانك ستنفجر من هالة العظمة المحيطة بك. لدي حقوق متساوية معك وواجبات متساوية. اهتم بصديقتك ودعني وشأني.»

امسك وجهها بيديه الاثنتين، رافعاً عينيها اليه، رفضت ان تشعر بالخوف. انه يحاول قتلها بعينيه الزرقاوين المشعتين لكنها حدقت به بالمقابل. كان من الصعب عليها ان تتكلم لكنها لن تصمت.

قالت وهي بالكاد تستطيع فتح فمها: «لن اذهب. والعنف لن يوصلك الى اية نتيجة. نحن هنا معاً. تقبل الأمر.»

قالت بصوت منخفض وهو ينظر اليها بتجهم: «عندما ينتهي كل هذا، سأضعك على ركبتي واضربك لأعيدك الى رشدك.»

أجابت: «انت تقصد ستدين لي بالاحترام. على الناس ان تفرض احترامها. أكرهك، سيد ديوراند. انت تصبح عنيفاً بسهولة تجعلني متأكدة أنه أمر طبيعي لديك.»

استدار مبتعداً ليقول وهو متوتر: «انني اهتم بسلامتك. فحالات كهذه بعيدة جداً عن عالمك. واذا حصل لك أي شيء لن أ سامح نفسي مطلقاً.»

قالت: «تستطيع الخراف الطيران، ممن كان الاتصال البارحة؟»

استدار لينظر اليها وقد فقد صبره: «انه من مكتبي في كندا ليعلمونني أنهم لم يتمكنوا من ايجاد تيري بعد، وهل توقفت عن قول هذه الملاحظات السخيفة؟ بدأت أفكر أنك محدودة التفكير.»

قالت ستيفاني: «هراء وسخافات.» وسارت الى البيت وهي ترفع رأسها بكبرياء .

لقد حاول ثانية التخلص منها وقد فشل أيضاً. انها تعلم تماماً ما الذي سيفعله. سيأخذ جان – بول في قاربه الكبير ويقول انه سيجتاز الحدود.

مع ذلك، من الممكن انه يحتفظ بحيل جديدة وعندما تقدم على خطأ ما ستقع المسؤولية عليها بالكامل.

« اذا تخيلت ان عرض عضلاتك أمام رجل مثل كريستيان ستجعله يراك جذابة، فأنت مخطئة جداً.»

نظرت ستيفاني عالياً لتجد دنيز واقفة في منتصف الدرج، تنظر اليها بغضب وهي تتابع: « يحب كريستيان الانوثة وليس المعارضة. وانت تتهجمين عليه بصورة دائمة وهو يراك كريهة. بقاؤك هنا بعد رحيلي هو تضييع للوقت، آنسة كاين. لن يسمح لك القيام بما تشائين. كريستيان سيتجاهلك.»

قالت بسرعة: « اذاً ستستجاب صلواتي! انني باقية هنا لأن جان بول يحتاجني، وليس لأي سبب آخر. فأنت مرحب بك دائماً عند السيد ديوراند، فلا تقلقي.»

« لست قلقة. لكنني أعرفه جيداً لأعرف ان هناك خطراً ما. عندما ينتهي كل شيء سيعود الي في المارتينيك.»

قالت ستيفاني: « لا أشك بذلك! ولا بد أن هذه المشكلة الصغيرة بخصوص سلامة ابن اختي قد سببت لكما الازعاج.»

قالت دنيز بخبث: « لم انزعج كثيراً. فأنا هنا وكريستيان معي. وأنا لا أريد أكثر من ذلك.»

ذهبت ستيفاني غاضبة الى غرفتها وجلست تحدق من النافذة. كان جان – بول برفقة الرجلين، وكان كريستيان يراقبهم كلهم. لا شيء نستطيع القيام به الآن. شعرت بعدم

الراحة والقلق بعد حديثها مع دنيز وشعرت وكأنها لم تبتسم ثانية في حياتها. لقد غير كريستيان شخصيتها.

غادرت دنيز على الفور بعد تناول الغداء. كانت هناك عدة رحلات على متن طائرة صغيرة الى جزر الكاريبيان وقرر كريستيان قيادة الجيب لينتقل الى المطار.

سأل جان – بول بفرح:« هل استطيع الذهاب، عمي كريستيان؟» وتجهمت ستيفاني على الفور.

من دون ان تعرف، كان جان – بول يتصرف لصالح كريستيان. وهو يعلم أنها تود الذهاب أيضاً، لتبقى بقرب ابن اختها، لكنه يستطيع بسهولة ان يمنعها لأنه سيمضي آخر دقائق مع دنيز. وفي كل الظروف لم تستطع ان تعترض او تصر.

قال كريستيان مؤكداً له وهو يبتسم:« بالطبع يمكنك المجيء. يمكنك مراقبة الطائرات، أليس كذلك؟» نظر الى ستيفاني نظرات متفهمة واضاف بنعومة:« بالطبع، خالتك ستيفاني ستذهب أيضاً. نحن معاً مسؤولين عنك وانا لا ارغب في تركها هنا.»

قال جان – بول:« شكراً لك. انها نزهة في كل الاحوال، ستيفي، ولقد نظمتها بنفسي.» واسرع بالعودة الى غرفته وبقيت ستيفاني واقفة أمام كريستيان من غير أن تتفوه بكلمة. الآن يجعلها تشعر بأنها شريرة لأنها فكرت بأنه مخادع.

سألها كريستيان ببرود:« أفترض أنك لن تكوني راضية إن بقيت هنا؟»

أكدت له بهدوء:« لن أكون كذلك، في كل الأحوال، لا

أستطيع المراقبة إذا أردت الحقيقة. فهناك الكثير من الناس. كما وأن هناك العديد من المباني. كيف لنا أن نعرف...؟»

ابتعد عنها وقد فقد صبره:«لن نعرف. كما وأننا لن نعرف إذا كانوا على الشاطىء وأتوا بالقارب أو سباحة. علينا القيام ببعض المخاطرة.»

حدقت به مرتعبة:« يأتون بالمراكب ؟ لم أفكر بذلك أبداً.»

سألها ببرود:« لم لا، آنسة؟ هناك طريقتان فقط للوصول الى سانت لوسيان – بالجو أو بالبحر. لقد أمنت مراقبة كاملة في المطار لكنني لا أستطيع حراسة الشاطىء كله. علي الإعتماد على حدسي وعلى إتصالاتي. الذهاب الى المطار يتضمن بعض المخاطر. والبقاء هنا مخاطرة أيضاً. لا أرغب في حصول شيء ما في غيابي. ولهذا اتيت منذ اللحظة الأولى، لأتجنب المشاكل.»

بدأت ستيفاني بالقول:« لو لم تكن مجبراً على أخذ السيدة باسكال...» لم تكمل لأنه نظر اليها بغضب واضح.

قال ببرود:« ان لم أرسل دنيز بعيداً، ستجدين نفسك في وضع قلق محاولة الدفاع عنه. اعتقد أنك ذكرت كيف رميت بنفسك أمامي؟ فإن لم تكن موجودة ستستعملين مهارتك في الدفاع عن جان بول. إنه هدفك الحقيقي، آنسة. طالما أستطيع تخيل ما تفكرين به، فأنا مجرد عضلات قوية. عندما ترحل دنيز سأصبح تحت تصرفك. لا شك أنك ستعلميني ما علي القيام به.

جعلها تشعر وكأنها غبية فاصطبغ وجهها من الخجل.

قالت:« هذا ليس عدلاً...» لكنه قاطعها ببرود.

« أمر طبيعي! هذا هو تصرف الوحوش. هل تتوقعين

تصرفاً آخر؟لنذهب، آنسة كاين. سنسهر على حماية جان – بول واتمنى ان نعود سالمين.»

لم تستطع قول أي شيء. شعرت وكأنها محبطة لكن احساساً خفياً بأنها تستحق ما سمعته زاد من اضطرابها. لم تدري من اين اتاها هذا الاحساس لكن ذلك لم يخفف ما تشعر به.

جلست دنيز على المقعد الامامي بجانب كريستيان بينما جلست ستيفاني وجان – بول على المقعد الخلفي. ولم تكن الطريق مريحة كذلك الجيب ليس عربة مريحة على اية حال. وعلى المقعد الخلفي، كان الوضع كمعاناة العذاب. لكن جان – بول لم يتذمر. فلقد كان سعيداً. بالنسبة اليه هذه النزهة مع اكثر من يحب من الناس مع ربح اضافي ان السيدة باسكال ستغادر. نظر بعينيه المشعتين بفرح الى ستيفاني.

وقال هامساً:«ماذا قلت لك؟ انها ذاهبة والآن صلواتي قد استجيبت. فأنا الآن معك ومع عمي كريستيان.»

تمكنت ستيفاني من الابتسامة مع كل ما تشعر به من الضيق. لو ان صلواتها تستجاب لكانت الطريق مليئة برجال الشرطة وان تفتش جزيرة سانت لوسيان كل دقيقة، حتى ولو تحت الصخور. انها تشعر بالخطر يطير مع الهواء بينما يبدو كريستيان كالصخرة، هادئاً وبارداً.

نظر اليها عبر المرآة والتقت عيناهما. كان يبدو اكثر اسمراراً تحت أشعة الشمس المنسكبة عليه، واكثر ثقة بنفسه، كما ان عينيه صافيتان، كالسماء الزرقاء. حدقت به، من دون ان تفكر، غير مدركة انه يستطيع رؤيتها.

ارتفع حاجباه متسائلاً فعادت على الفور الى رشدها،

مبعدة نظرها بسرعة وقد احمر وجهها خجلاً. يبدو انها تفقد رشدها. وتعابير وجهه تقول ذلك.

ابتعدت الطريق عن البحر، وبدأوا يتسلقون تلة عالية لينحدروا بعدها الى مستوى البحر بسرعة كبيرة. ومع التحدث بخفة مع جان – بول، كانت تسيطر على نفسها كي لا تنظر الى الوراء. انها لا تستطيع التصديق انه بعد مرور أيام قليلة سيصبح في أمان. فالذي سيأتي لا بد انه آت.

ما ان وصلا الى تلة جديدة، حتى نظرت الى الوراء وشعرت وكأن قلبها سيقف لمجرد رؤية سيارة وراءهم. بالطبع، قد تكون سيارة ذاهبة بذات الاتجاه ووجودها محض صدفة لكن ستيفاني لم تفكر هكذا، فبعيداً عن احساسها المرهف بهذا الأمر، هذه الطريق مهجورة. والسيارة بعيدة عنهم وكأنها تريد التأكد من انهم توقفوا في مكان ما.

استدارت ونظرت الى كريستيان، وهي تنظر اليه بعينين واسعتين وكأنها تحذره. رأته يراقبها مرة ثانية من خلال المرآة وببساطة هز رأسه ببطء.

علمت ان عليها عدم ذكر الامر. وهي لا تستطيع في كل الاحوال. فهذا سيثير انتباه جان بول عن الخطر المحدق به. بدأت تتحرك لتنظر الى الوراء ثانية لكن كريستيان هز رأسه ففهمت انه لا يريد تقديم اية ايضاحات. فلقد رأى السيارة وهو يراقبها. ومن المحتمل انه قد لاحظ وجود السيارة قبلها وادراكها هذا اعطاها احساساً غريباً بالامان.

الفصل السادس

كان المطار مكاناً غريباً. بالنسبة الى السكان المحليين انه مطار لكن من الممكن ان يطلق عليه اي اسم آخر. كانت هناك عدة ابنية وتصلح لتكون محطاً للطائرات لكنها مجهزة لاستقبال طائرات صغيرة. وحتى قدوم الطائرات الكبيرة التي لا تحضر الا عدد قليل من المسافرين لأن المطار صغير – وهذا يخدم هدفاً واحداً – ان يقلل عدد الاشخاص القادمين ليتمكنوا من الذهاب الى جزر أخرى حيث وسائل الانتقال اكثر رفاهية وراحة.

كانت هناك عدة محال، وابنية خشبية منتشرة حوله، وهم يعملون بصورة دائمة لأن رحلات الطيران منتظمة والسياح يصلون دائماً الى اقرب مكان ليتناولوا شراباً بارداً. كان التجار المحليون ينتظرونهم بفرح وسعادة. فانها بداية جيدة لرحلتهم الى سانت لوسيان واذا فقد السائح شيئاً من المؤكد انه اضاعه في تلك المحال المكتظة.

نظر جان – بول الى تلك المحال بتصميم واشار الى محفظته وهو يكلم ستيفاني عندما اوقف كريستيان الجيب.

قال بهدوء:« لقد احضرت معي المال. أولاً سأراقب الطائرة. بعدها سأذهب الى هذه المحال. هل تعتقدين ان عمي كريستيان سيعارض؟»

قالت ستيفاني:« لا اعتقد ذلك.» فهو دائماً يعامل ابن اخيه

بلطف ومحبة، تابعت:« سنذهب جميعنا بعدما تغادر السيدة باسكال.»

بدا على جان– بول الضيق لكنه استدار ليراقب دنيز باسكال وهي تتفحص حقائبها الكثيرة، بدا وكأنه بارد كعمه الفرنسي بالنسبة الى ستيفاني.

قال بحزم:« سأراقبها حتى تطير.» وادركت انه غير مهتم حتى ولو طارت على مكنسة.

فهو يريد التخلص منها تماماً مثلها. لم تكن دنيز من النوع الذي يتقرب من اي طفل حتى انها لم تتقرب من ستيفاني ايضاً. راقبت كريستيان وحاولت ان تجد سببا ولو صغيراً لما هو مهتم بامرأة تتصرف وكأنها ملكة الثلج.

ذهبوا جميعاً لمراقبة اقلاع الطائرة وحاولت ستيفاني ان لا تنظر عندما كان كريستيان ودنيز يتودعان. من حسن الحظ ان جان بول كان يراقب طائرة صغيرة تهبط وهذا ما اسعد ستيفاني. كان من الصعب عليها ان تشرح له هذا الوداع العاطفي بعدما قال كريستيان عن ضمه لستيفاني. وهذا سيجعل جان – بول يفكر مجدداً بسبب صراخها وغضبها.

كان الطقس حاراً جداً في المطار وبعد دقيقة او اكثر استدارت ستيفاني نحو جان – بول لتسأله ان كان يرغب في اعتمار قبعته البيضاء بدلاً من الامساك بها. يا للرعب، لم يكن بقربها. منذ لحظات، كان يقف بجانبها، يراقب الطائرة الفضية وهي تقلع بالمسافرين. والآن هو غير موجود في اي مكان تستطيع رؤيته.

صرخت باسمه بصوت مرتعب:« جان – بول» لكن صوت الطائرة كان عالياً وعالياً جداً كذلك الغبار كان يملأ المطار

ويحجب الرؤية. صرخت ثانية واخذت تركض. لم يكن لديها اية فكرة الى اين تركض لكنها كانت تعلم انه ليس بعيداً. مهما يكن لا بد انه مازال تحت الانظار ولو اخذوه الى المحال.

يدان قويتان امسكتا بذراعيها واجبرتاها على الوقوف بسرعة.

قال وهو ينظر اليها غاضباً:« اين جان – بول. كل ما كان عليك القيام به هو مراقبته لعدة دقائق! اين هو؟»

« لا ... لا اعلم. كان يقف بجانبي وعندما... وعندما نظرت اليه ثانية...»

قال بسرعة:« لنذهب.» واخذ يدفعها الى الامام، اخذت تركض عبر المحال، مصممة على البحث في كل واحد بسرعة قصوى. لم يتبعها، كريستيان وعندما خرجت من المحل الاول كان يسير باتجاهها، وجان بول يسير برفقته وهو مندهش.

شعرت براحة كبرى وهي واقفة تراقبهما، لكنها كانت ترتجف من الرعب الذي عاشته. بعدها جلست على اقرب شيء رأته، لم تشعر انها تستطيع الوقوف لحظة اخرى. وشعرت ان اسوأ كابوس رأته في حياتها قد تحقق، لكنه هنا، يسير بالقرب من كريستيان، ويحمل كيسين بيده، وكريستيان يراقبها وكأنها غبية او كأنه ينوي قتلها على الارجح.

ما ان جلست ترتجف، حتى ترك جان – بول كريستيان وركض نحوها:« ستيفي! ما الأمر؟ هل ستبكين؟»

قال كريستيان بنعومة:« لا، لن تفعل. لكن اعتقد، انها تخيلت انك حشرت بنفسك داخل الطائرة.» وشد ستيفاني كي تقف وهو ينظر اليها محذراً.

« مع السيدة باسكال؟ وكانني...» وتوقف عن الكلام لينظر الى عمه بقلق لكن كريستيان تجاهل ملاحظته. وأمسك ستيفي من ذراعها بيد وحمل جان – بول باليد الأخرى.

قال لهما معاً:« سنعود الآن الى المنزل. هيا.»

كانت ستيفاني تحاول جاهدة ان لا تبكي وان تسيطر على ارتجاف جسمها واحمر وجه جان – بول على الفور.

قال وهو يشعر بالحرج:« انني كبير جداً كي احمل، عمي كريستيان.» وعلى الفور وضعه كريستيان ارضاً.

وقال بهدوء:« عذراً حبيبي. مع رغبتي باعادة ستيفاني الى الجيب نسيت عمرك كلياً. لقد كانت قلقة جداً عليك. ربما يساعدها لو مسكت بيدها.»

لم يمانع جان بول مطلقاً واسرع بامساك يد ستيفاني، وهو ينظر اليها بقلق.

قال:« لقد ذهبت الى المحال، ستيفي. كان ذلك سراً واردت الذهاب الى هناك قبل ان تأتين مع عمي كريستيان.»

قالت بصوت مرتجف:« لو انك اخبرتني فقط، بدلاً من ان تختفي ببساطة لكنت ذهبت معك وانتظرتك خارجاً وانا مغمضة العينين.»

قال بهدوء وبمنطق:« انني آسف. لكنني هنا الآن، وفي كل الاحوال لقد أفسدت المفاجأة لأن عمي كريستيان رآني.»

قال كريستيان مؤكداً له ما ان وصلوا الى الجيب:« لم أر شيئاً على الاطلاق . واذا كانت هذه لخالتك، اتمنى ان تكون مفاجأة حقاً وليست صدمة أخرى.»

قال جان – بول:« هناك هدية لكل منكما.» بينما رفعه كريستيان ووضعه في المقعد الخلفي.

« اذاً اجلس هنا بمفردك وانظر الى الكيسين الورقيين معك. ستجلس خالتك بالقرب مني لترتاح اكثر.»

انطلقوا معاً وشعرت ستيفاني انها عادت الى طبيعتها.

همست:« كان علي الانتباه كي لا يحدث ذلك.» لكن كريستيان فاجأها وهو ينظر اليها بفرح.

قال بهدوء:« بينما كنت تراقبين الوداع، هرب من تحرسين بمهارة على ساقيه الصغيرتين. انسي الامر. انه بأمان.»

شعرت ستيفاني بالامتنان لأنه لا يوبخها وفكرة الأمان جعلتها تتذكر تلك السيارة التي كانت تتبعهم.

قالت:« تلك السيارة...» ونظرت الى كريستيان بقلق.

قال لها بهدوء:« انهما رجلاي.»

« لكنني اعتقدت... انك قلت انك لا تملك سيارة هنا!»

« لقد استأجرت واحدة البارحة. علمت ان علينا القدوم للمطار اليوم وفكرت من الافضل ان نحصن بحراسة.»

قالت بغضب:« وبالطبع لم تفكر باخباري.»

« هل حظيت بفرصة، آنستي؟ لقد امضيت كل الوقت، اما تصرخين علي او انك ملتصقة تقريباً بجان – بول فهل كان علي ان ارسل اليك ملاحظة سرية!»

« عندما اومأت برأسك اعتقدت ...»

« لم استطع ان أخبرك بالحقيقة، سيلاحظ جان – بول الامر، كما وانني، لا اريد ان تعلم دنيز بذلك.»

سألت ستيفاني:« لماذا؟» نظر اليها ليراقب وجهها وعينيها اللتين تلمعان من اثر الدموع فيهما.

قال:« انها تنزعج بسرعة – رقيقة ، ومن ناحية اخرى، أنا احتفظ باسراري عن الجميع. اختاري اي تفسير يناسبك.»

قالت بسرعة:« بتعبير آخر، اهتمي بشؤونك!»

قال موافقاً بنعومة:« هذه طريقة اخرى للنظر الى الامور.»

نظرت ستيفاني الى الامام وقد اغلقت شفتيها بقوة. للحظات قليلة شعرت بالامتنان نحوه لكن اي نوع من التعاطف مع كريستيان ديوراند هو نذير للازدراء. انه مسيطر بشكل واضح ولا تزال تشعر بضغط اصابعه على ذراعها عندما امسك بها في المطار.

نظرت الى العلامات الحمراء التي لا تزال واضحة في ذراعها، واخفتها بصمت.

اعترف بنعومة:« انني آسف، لم اقصد ان اسبب لك الاذى. اعرف انك مستعدة لحماية جان – بول واعترف ايضاً انني كنت قاسياً عليك. مما لا شك فيه انكَ في حياتك العادية ، جميلة، هادئة وكفؤ. والظروف هنا رمتنا في وضع حرج للغاية.»

سألت ستيفاني:« لكن ليس انت، بالطبع؟» حاولت ان تتأقلم مع الارباك الجديد الذي يضعها فيه.

« انا لست شخصاً لا يقهر؟»

تنهدت بحزن وقالت وهي تنظر اليه بعينين غامضتين:« اتمنى ان تكون كذلك، فعدم قهرك هو الشيء الوحيد الذي يبعد جان – بول عن المصيبة.»

قال كريستيان محذراً:« ليست فكرة جيدة ان تضعي ايمانك بشخص آخر. فعندما تظهر حقيقة الامور، لن تجدي معيلاً لك غير نفسك.»

« وماذا عن جان – بول؟»

« انه طفل. الامر مختلف هنا. ولحسن الحظ. نحن نحبه معاً.»

رفعت ستيفاني شعرها الى الوراء ونظرت الى كريستيان عن كثب، غير متأكدة مما قاله. من المؤكد انه يحب جان – بول. فهذا أمر واضح. لكن، هذا ليس عذراً ان يأخذ ولداً صغيراً من والديه.

رأته ينظر في المرآة فشعرت بالخوف والحذر على الفور.

قال بهدوء مخففاً عنها: «كل شيء على ما يرام. تلحق بنا سيارتنا الثانية.»

سألت بقلق: «أين كانا عندما اختفى جان – بول؟»

قال متضايقاً: «كانا مختبئين، ينفذان الأوامر. لم ارد ان يراهما أحد. والآن لم يعد هناك ما يقلق.»

تساءلت ستيفاني لماذا. فالفرق الوحيد في هذا الوضع هو رحيل دنيز. هل حقاً كان يقصد ما قاله عندما اخبرها انه لا يريد لدنيز ان تعرف بالامر؟

نظرت اليه لكن نظرة واحدة الى وجهه اعلمتها انها لن تعرف المزيد ولو بقيت تسأله لمدة ساعات.

اقترب جان – بول منهما وقال: «عم تتحدثان؟»

قال كريستيان بصورة غير متوقعة: «نحن نحضر أمراً مفرحاً، هل انتهيت من النظر الى مشترياتك؟»

قال جان بول وهو يشعر بالفرح: «نعم، انني راض جداً.» وظهرت ابتسامة واضحة على وجه كريستيان وهذا ما جعل ستيفاني تشعر بالازعاج. وكأن الامر لعبة. فجان – بول لا يعرف شيئاً عن الخطر المحدق به وحتى لو علم بذلك فهو صغير جداً ليدرك مخاطره. وكريستيان يتحول من الغضب الى السخرية المملة. هل هي الوحيدة التي تشعر بالرعب؟

كان هناك الكثير من الامور التي تحدث معها للمرة الاولى

منذ لقائها كريستيان ديوراند. فهي دائماً غاضبة، وهي تمر بحالات رعب متتالية وها هي الآن ترتجف من الخوف. وهناك الكثير من الامور عليه الاجابة عليها لأنها تلقي اللوم عليه. ولو انه شرح لها الوضع لما كانت تتعرض لكل هذا الرعب. وكما لو انه لم يكن ثرياً الى هذا الحد لما حدث كل هذا.

رمته بنظرة غاضبة بينما حدق بها متعجباً، رفع حاجبيه، ففهمت على الفور ما يرمي اليه – احساسها بالحزن والغضب واضح جداً! لم تكن ستيفاني متفاجئة. عندما ينتهي كل هذا ستصبح صاحبة شخصية مختلفة وهذا ما يزيد من انزعاجها. فحتى اليوم الذي قابلت فيه كريستيان كانت راضية بحياتها وبشخصيتها المرحة. وعليها ان تعاني لتتمكن من العودة الى حياتها السابقة لأنها تعرف تماماً ان هذا الوجه الفرنسي المغرور سيبقى في مخيلتها طوال حياتها.

* * *

في وقت متأخر من الليل، استيقظت ستيفاني بسبب صوت ما لكنها لا تتذكر من ذلك الصوت الا شيئاً ما في مخيلتها. انها لا تستطيع النوم جيداً منذ وصول كريستيان الى سانت لوران والآن مع هذا القلق الاضافي على سلامة جان – بول، وهذا ما يزيد في قلقها.

جلست في سريرها مصغية، متسائلة ان كانت ما سمعته وقع اقدام او رنين الهاتف. كان هناك هاتف واحد في المنزل وهو في مكتب تيري، وذلك بعيد جداً من هنا. بالطبع، قد يكون كريستيان يتفقد جان بول لكنه عادة هادىء جداً، مهما يكن كانت تشعر بالقلق لتتجاهل الامر وتعود الى النوم.

نهضت وارتدت روباً طويلاً وسارت بهدوء نحو الباب.

عندما دخلت غرفة جان – بول، كان ينام بهدوء وهذا ما اعطاها الاحساس ان هناك احداً ما في الطابق الارضي.

قد يكون ذلك كريستيان او شخص آخر. مهما يكن عليها النزول والتأكد والا ستمضي الليل كله تراقب وتحرس. نزلت بنعومة وبحذر على الدرج وعندما وصلت الى منتصف الطريق، كان كريستيان يهم بالصعود.

نظر الى الاعلى عندما سمع صوت تنهداتها ووقف ينظر اليها من غير ان يتكلم، صمته اربكها. فهاتان العينان تستطيعان السيطرة عليها بقوة.

اخيراً قال:« ما الأمر؟»

« شيء ما ازعجني. فكان علي النهوض والتأكد مما هو.»

هز رأسه متفهماً واشار اليها ان تتابع نزول الدرج.

« ربما كان ذلك الهاتف. لكن لا بأس لأنني كنت سأخبرك في الغد. وبما انك مستيقظة نستطيع التحدث الآن. تعالي لنتناول القهوة.»

بامكانها ان ترى ان الاتصال الهاتفي قد غير من مزاجه وجعله حسن الاخلاق وهذا ما زاد من توترها.

« هل كان عن فيونا وتيري؟»

ما ان وصلت الى اسفل الدرج، حتى توقفت ونظرت اليه، ولم يحاول كريستيان ان يبدد رأيها.

« نعم. لقد وجدوهما. تعالي الى المطبخ سأعد القهوة. وعندها نتحدث.»

« هل سيعودان الآن؟» وجدت نفسها تسحب المعلومات منه ثانية. لقد قرر تماماً ماذا سيقول ولن يفعل ذلك في القاعة قالت باصرار:« هل هما عائدان؟»

« لا.» وما ان وصلا الى المطبخ، حتى اغلق الباب بانتباه واستدار لينظر اليها.

« لا يستطيعان القدوم. فيونا في المستشفى. لقد تحدثت مع تيري.»

جلست ستيفاني على اقرب كرسي، مصدومة من الاخبار. لم تستطع التفكير بأي شيء لتقوله. لقد فكرت في كثير من الامور ولكن لم يخطر في بالها ابداً ان فيونا مريضة. كل ما تتذكره في حياتها، ان فيونا لم تمرض يوماً. ووجودها في السرير يعني انها لا تسيطر على الامور وهذا لم يحدث قط في السابق.

همست ستيفاني:« ما بها؟» وهي تعلم انها بلا شك في حالة خطرة.

نظر اليها وهو يعطيها فنجان القهوة الساخن ويقول:«تعرضت لحادث. اشربي هذا. تبدين مضطربة لكن ليس هناك من طريقة سهلة لاخبارك بالامر.»

هزت رأسها وحدقت به، متجاهلة الشراب بيدها، فبدأ يسير في المطبخ، ووجهه متجهم.

تمتم بضيق:« اختك معتادة على الحصول على كل ما تريده. لقد علمت ذلك من قبل لكن علي الاعتراف انني تفاجأت من تطور الامور. لم تبد مطلقاً كعادتها.»

« لماذا؟ انا لا اعرف عما تتحدث عنه...»

« من الواضح، ان شقيقتك لديها رغبة كبيرة في التعرف ورؤية القطب الشمالي، هذه هي الحقيقة الغريبة.» قال لها ذلك وهو يرمقها بنظرة وكأن لها دخل في هذا السيناريو غير المتوقع. « وكالعادة، وافق تيري معها، يبدو انه لا يستطيع ان يرفض لها طلباً.»

تمتمت ستيفاني من دون اهتمام:« هذا هو الحب.»

« حقاً؟ اعتقدت دائماً ان الحب حماية. والا لما عرضها للخطر. نوع غريب من الحب، آنستي. بالنسبة الي انه ببساطة عدم الرفض بجدية.»

توسلت اليه قائلة:« هل يمكنك اخباري بما حدث؟ اذا اردت ان نتشاجر سأفعل ذلك فيمابعد لكنني اريد ان اعلم ماذا حدث لفيونا.»

سحب كريستيان كرسياً وجلس عليها واضعاً يديه على ظهرها وحدق بستيفاني قائلاً:« لا رغبة لي في الشجار معك. انت تحبين فيونا، اليس كذلك؟»

« بالطبع! انها شقيقتي. اخبرني ما الذي حدث، من فضلك!»

« يبدو انهما ذهبا في رحلة منظمة، مع دليل سياحي لمساعدتهما وكانت الامور على ما يرام. بعدها، قررا ان يذهبا بمفردهما، مستسلمة فيونا لرغباتها في العيش في الثلوج على هواها. ولعدة ايام لم يعرف احد اين هما. ولم يفكر احد في البحث عنهما لأن هذا ما طلباه. فلديهما خرائط وخطط واضحة.» اضاف باشمئزاز:« لسوء الحظ، سقطت شقيقتك وجرحت ساقها. عندها عانى المشاكل. لم يستطع تيري تركها ولم يأت احد للبحث عنهما.

وعندما وجدهما احد ما، كانت فيونا تعاني اكثرمن ساق مكسورة. كانا في الخارج في خيمة، غير مجهزة. انها في المستشفى الآن، تعاني من مضاعفات لوضعها. وبالنسبة لتيري، سيبقى هناك على الاقل اسبوعين بعد.»

نسيت ستيفاني مع من تتكلم فأمسكت بيده بقوة وقالت:«هل هي بخير؟»

شد بيده على يدها وقال:« ستكون كذلك، تيري معها ويبدو انه راض عن علاجها. كان يتصل بك. ولم يتوقع ان يجدني هنا.»

نظرت ستيفاني اليه والتقت عيناها بعينيه الزرقاوين المشعتين:« آه! ماذا عن... ماذا...؟»

قال بجدية:« هذا ما ارغب في التحدث معك عنه. هل نخبرهما بشأن جان – بول؟ هل ندعهما يعلمان ان ولدهما في خطر؟ وان فعلنا، ما هي خيارات تيري؟»

علمت ستيفاني تماماً ما يقصد. اذا علم تيري، سيرغب بالعودة على الفور ولن تستطيع فيونا القدوم. ستكون مريضة ويزداد مرضها بالقلق، وهذا آخر ما تحتاج اليه في مرضها. وسيجد تيري نفسه ممزّقاً بين العودة بسرعة او البقاء مع زوجته. انهما بعيدان الاف الاميال عنهم الآن، ولن يتمكن تيري من القيام بأي شيء لحماية ابنه بصورة جيدة الآن. اذا عملت على وزن الامور جيداً، فكريستيان هو من سيحمي جان – بول.

بصورة لا ارادية، شدت بأصبعها على يد كريستيان وهي تنظر اليه. ليس هناك غير تحمل المسؤولية من ابقاء الامر مخفياً عن فيونا وتيري.

قالت بهدوء:« علينا التعامل مع هذه المشكلة بأنفسنا، لا يستطيع تيري التواجد في مكانين في وقت واحد واذا اجبر على ترك فيونا فعليه تقديم عذر جيد لذلك. واخبارها الحقيقة سيدعها تصر على القدوم الى هنا وهذه فكرة سيئة، وحتى ولو تمكنت من الحضور. قد يكون عملاً خاطئاً، لكنني لا اعتقد ان علينا اخبارهما.»

«موافق! لقد وصلت الى هذا الاستنتاج ايضاً.»

نظر اليها عن قرب وابتسم وهو يتابع:« انني متفاجئ من موافقتك، مهما يكن، هل استطيع معرفة التحليل الدقيق الذي اوصلك الى هذه النتيجة؟»

قالت بحزن:« لا يستطيع تيري ترك فيونا من دون تقديم التفسير المناسب، وهذا ما سيزيد حالتها سوءاً. وان اتى، ما الذي سيفعله؟ قد يسبب المشاكل ويعرقل طريقنا.»

« يعرقل الطريق؟ انه والد جان – بول.»

قالت بصدق:« لكنه لا يشبهك. لقد تمنيت ان يعودا عندما عرفت بالأمر لكنني غيرت رأيي بعد ذلك على الفور.»

نظر اليها مستفهماً وهو يقول:« لماذا؟» بينما كانت ستيفاني تنظر الى يديهما المتشابكتين. قالت له بجدية:« لأنه اذا كان هناك من سيحمي جان – بول، فهو انت. انت ذكي وقاس كما وانك ... مختلف.»

سأل بنعومة:« هل هذا مريح، آنستي؟» فنظرت اليه ستيفاني. وقالت:« اعتقد ذلك. لكن هذا لا يلغي اخطاءك.»

« وهي كثيرة جداً، كما تعلم.» ضحك ضحكة صغيرة ورفع يدها الى فمه، وقبل راحة يدها قبل ان يتركها، تفاجأت ستيفاني من الاحساس الغريب الذي شعرت به لكن قبل ان تتمكن من القيام بأي شيء نهض مبعداً كرسيه وذهب ليسكب لنفسه المزيد من القهوة.

حدقت بالقامة الطويلة والغامضة وكيف يلمع شعره تحت الضوء، احساس غريب سيطر عليها. فشعرت وكأن حياتها قد ارتبطت بقوة مع هذا الشخص الرائع. وكأنه دور للقدر، قلق غريب ازاد من احساسها بحرارة شفتيه على يدها.

استدار فابعدت نظرها بسرعة لكنها لم تكن بحاجة لتفعل ذلك، فلقد عاد كريستيان الى طبيعته العادية، هادىء ومنظم.

قال:« والآن، غداً سنذهب الى القارب. لم يعد هناك من حاجة للبقاء هنا. فالحراس في الخارج ودنيز قد غادرت.»

سألت ستيفاني ببطء والدهشة واضحة على وجهها:« انت تقصد اننا كنا ذهبنا عى الفور الى القارب لو لم تكن هنا؟»

« كما قلت من قبل، انه مكان رائع للرؤية.»

« اذاً لماذا لم نذهب الى هناك من قبل؟» واختفت الدهشة من وجهها ليحل محلها الانزعاج، وهذا ما لاحظه على الفور.

قال لها بسخرية ناعمة:« لا تشعر دنيز بالارتياح على ظهر السفن المترنحة، ولقد قلت لك ذلك من قبل، انها ناعمة جداً.»

نهضت ستيفاني، وهي تنظرَ اليه بكره. مرة ثانية يبرهن لها انه يفكر في راحة تلك المرأة قبل سلامة ابن اخيه.

قالت بسرعة:« عمت مساء، وانا اسحب ما قلته عنك.»

سارت نحو الباب، ولم تنظر وراءها، لكن صوت المرح تبعها. « لقد توقعت ذلك، لذلك لم يخب أملي. الى اللقاء.»

لم تزعج نفسها بالاجابة. فهذا كثير على ثقتها به وعلى ايمانها برباط قدري معه.

لقد كانت نظرتها فيه صائبة منذ البداية فلماذا تشعر بخيبة أمل. لا شيء من هذا يفاجئها. لقد فهمته تماماً ما ان رأته مع دنيز باسكال.

فكرت بوداعه لدنيز في المطار، فذهبت الى سريرها واغمضت عينيها بقوة. وعندما ظهر وجهه في مخيلتها ابعدته على الفور.

في اليوم التالي كان كريستيان على اتم استعداد. فما ان

نزلت ستيفاني الى الطابق الاسفل، حتى كان الامر بأكمله قد نظم ولم يكن هناك من شيء تستطيع القيام به او التدخل بشأنه، مع انها لم تفكر بذلك.

قال كريستيان ما ان جلست ستيفاني لتتناول الفطور: «لقد اخبرت جان – بول عن انتقالنا الى المركب ومن الطبيعي انه سعيد جداً بذلك، كما وانني اتصلت بتيري.»

نظرت اليه بسرعة. شعرت بالرهبة كما تشعر بالذنب لاخفاء الامر عن تيري وفيونا.

ما الذي قاله؟ هل اخبرته الامر؟»

«قلت له اننا سننتقل الى اليخت. كما اخبرته اننا سنذهب في رحلة في البحر. ولقد ارتاح اننا معاً نهتم بجان – بول.» عقد حاجبيه وهو ينظر اليها قبل ان يتابع: «اذا كنت تقصدين، ان كنت اخبرته عن الخطر المحدق بنا، فلا، لم اخبره بالتأكيد. لقد فهمت اننا توافقنا على هذا الموضوع، آنستي.»

تنهدت ستيفاني: «اعرف، مع انني هذا الصباح اشعر بالذنب حيال ذلك.»

«خففي عن ضميرك. سأتحمل كامل المسؤولية.»

قالت بغضب: «ليس هذا ما عنيته، وكنت ستشعر بذلك لو كنت تؤمن بالروابط. وتوقف عن معاملتي كعدوة. وكل هذا الحديث عن ضميري هو جواب لسؤال واحد هل لنا الحق بذلك ـ مع انني اعلم ان لا خيار آخر لدينا.»

اضافت بهدوء واضح: «بأي حال، اذا عادت فيونا، حتى ولو بصحة جيدة، ستتدخل بكل شيء وتثير الفوضى اينما وجدت، فمن الافضل ان تكون بعيدة.»

عندما رفعت نظرها، وجدت كريستيان واضعاً كوعيه على

الطاولة، ورافعاً ذقنه على يده وهو يتأملها. كما رأت نظرة خبيثة في عينيه.

تمتم وهو يحدق بها بسخرية: «طريقة تفكيرك تدهشني. لقد استمعت اليك وانت تنتقلين من الشك والاحساس بالذنب الى الرضى والثقة بالنفس. يمكنك القيام بمهمة ضابط مسؤول.»

ضحك وعاد ليجلس براحة وهو يقول: «اما بالنسبة الى فيونا، فأوافقك الرأي. يكفينا ما لدينا من مشاكل ومن الافضل ان تكون فيونا بعيدة الاف الكيلومترات. عندما ينتهي الامر، يمكنها القدوم والبدء بمشاكلها المعتادة.»

قالت له بثقة: «انها لا تثير المشاكل في الحقيقة. كل ما تقوم به هو تحقيق ما تريده فقط. لقد كانت دائماً هكذا، حتى عندما كانت طفلة.»

سألها بنعومة: «هل كانت تسبب لك المشاكل، صغيرتي؟»

هزت ستيفاني رأسها وقالت: «لا. كانت تصرفاتها تسبب الضحك لي. اعرف كيف اتعامل معها، اعتقد انه من الافضل ان تناديني آنسة. انها تناسب وضعنا أكثر. نحن شريكان موقتاً لكنني لا اتوقع ان يدوم هذا.»

وقف كريستيان ونظر اليها بسخرية قائلاً: «اعتذر، آنستي. هناك فترات تلمسين بها قلبي وانسى تماماً كرهنا لبعضنا البعض. سأنتبه للامر في المستقبل.»

خرج على الفور وادركت ستيفاني انه لم يخبرها شيئاً لتفعله. حسناً، لن تسأله. عليها ان توضب الحقائب كبداية، كما عليها اخذ بعض الالعاب لجان – بول. اعترفت بينها وبين نفسها انها متحمسة في الحقيقة. ففي هذا الصباح المشمس، ومع وجود رجلين خارج المنزل وكل هذا الهدوء،

فهي لا تشعر بأي خطر. كما وأن رحلة في البحر تلوح في الافق، ومع انها تعلم ان كل ذلك حدث بسرعة، توجهت نحوه وقالت:« سأذهب لأوضب حقائب جان – بول وحقائبي. هل سنعود الى هنا ثانية؟»

رفع كتفيه وقال:« من يعلم؟» ولم يضف اي شيء آخر.

قالت:« حسناً... اتساءل ان كنت سآخذ جميع اغراضي معي. في الواقع، عندما ننتهي من هذا الخطر، سأعود الى لندن. كان من المفترض ان آخذ عطلة لبضعة اسابيع وبعدها لدي تعاقد مع اعمال جديدة.» رفعت رأسها عالياً وتابعت:«ولا تبدأ بالمحاولة للتخلص مني ثانية!»

قال بسخرية:« كيف يمكن لانسانة بهذا الجمال ان تكون سيئة الطباع هكذا؟ لم افكر للحظة واحدة بالتخلص منك. سآخذك الآن لرؤية قاربي ولا ندري ما سيحدث لاحقاً لكن خذي معك كل اغراضك في كل الاحوال.»

قالت معترفة:« لقد رأيت اليخت سابقاً، لقد كنت هنا عندما كنت في التاسعة عشرة من عمري ولقد كنت ترسو في الخليج. لقد بدا جميلاً ورومنطيقياً. كنت اراقب من منظار تيري وفي الحقيقة لقد رأيتك ايضاً ما ان صعدت على ظهر الباخرة.»

سألها وهو ينظر اليها بعينين ضيقتين:« اذاً لقد كنت تعرفينني عندما وصلت الى هنا هذه المرة؟»

« لا. في الواقع. عندما رأيتك في المرة السابقة بدوت مختلفاً ـ لطيفاً، مسلياً ومرحاً. بالطبع كان ذلك واضحاً عن بعد. اما الشخصيات فتبدو اكثر حقيقة من مسافة أقرب.» كانت مسرورة بانتقادها حتى اقترب منها كريستيان بسرعة وامسك بها من خصرها بيديه القويتين.

تمتم بسخرية:« كلما كانت المسافة اقرب، كلما كان الرأي أوضح. لا تتعمدي الاهانة معي، آنسة. عندما افقد طريقة التعبير بواسطة الكلام، اعتمد على التصرف. بكل الاحوال، لم يكن لدي كل هذه المسؤوليات ولقد دهشت ان اجد نفسي تحت المراقبة من منزلي. ربما بسبب مظهري اللطيف. وعندما انتهيت من مراقبتي، قمت انا بالمراقبة. فهناك ايضاً منظار على اليخت ونظرت باهتمام الى صاحبة الشعر الفضي التي بدت مهتمة بي. لقد اعتقدت انك مرحة ولطيفة.»

غادر وقد تركها تشعر بالخجل. من الافضل لها ان تتجنبه لكن هذا سيصبح مستحيلاً الآن. تساءلت كم من الوقت ستبقى على القارب. من المؤكد انه اصبح لديهم معلومات عن هوية الخاطفين؟ من الصعب ان تصدق انه لم يتمكن من القبض عليهم وارسالهم الى السجن.

عضت ستيفاني على شفتها وهي تدرك انها تعطيه صفات خيالية. انه تماماً مثل أي رجل غني. انه مالك للقوة وهي لم تلتق في حياتها بمثله ولو انه لطيف قليلاً لكان رائعاً.

يدعى قارب كريستيان « ملكة البحر» وهو من المؤكد اكبر بكثير مما تخيلت ستيفاني. وصلا الى الشاطىء حيث كان بانتظارهم القارب السريع ليقلهم الى اليخت. ادركت ان لديه طريقة ما للاتصال بطاقمه. ومن المؤكد ان شخصاً ككريستيان لن يبعد نفسه عن مسؤولياته ان كان في قاربه الكبير او في اعماله الكثيرة. فلقد اخبرها انه ارسل شخصاً ليحل مكان تيري في كندا ويتسلم الاعمال عنه.

تفاجأت انها لم تر اليخت عندما ذهبت مع جان – بول الى الكهف في اليوم الثاني لوصول كريستيان الى الجزيرة،

لكنها علمت الان لماذا. لقد كان مبعداً عن الانظار لكن ما ان وصل القارب السريع ليقلهم حتى رأت القارب الابيض الكبير في وسط البحر وحدقت فيه بدهشة واضحة.

لاحظ كريستيان ذلك فسألها:« انه جميل، اليس كذلك؟»

شعرت ستيفاني بالامتنان لتصرفه.

قالت هامسة:« انه يبدو وكأنه قادم من الغيم.»

قال لها مؤكداً وهو يضحك بخفة:« ما ان تصبحين على متنه حتى تغيرين رأيك. كل شيء حديث. وعندما ننزل الاشرعة، ستختفي الرؤية.»

كانت سعيدة بذلك لأن فكرها قد طار ثانية للقراصنة وقصص الخيال فنهرت نفسها بضيق. وكان امر مرهق الصعود الى القارب وهي وجان – بول لم يتفوها بأية كلمة. فقد كانا قلقين. كان الطاقم يراقب اقترابهم ونظرت ستيفاني بسرعة نحو كريستيان عندما رأت الرجال ينتظرون.

قال بسرعة قبل ان يستدير:« انهم متمرسون.» فهو ليس بحاجة ليستمع الى رأيها وعلمت في كل الاحوال انه بلا شك يملك طاقماً جديراً بالثقة. تساءلت بما يفكرون في حالتهم هذه، امرأة واحدة على متن هذا القارب في رحلة خطرة. عاد تفكيرها لدنيز باسكال وانتهى كل الحماس والشوق في عينيها. في الوقت الذي وصلت فيه الى القارب، كانت ستيفاني مسيطرة تماماً على افكارها ووجهها خال من اي تعبير وان لاحظ كريستيان ذلك فلم يقل شيئاً كعادته.

الفصل السابع

لم يكن من السهل السيطرة على جان – بول. فلا شيء استطاع ان يخفف من حماسته واراد ان يمضي الليل كله يراقب النجوم او البحر. أخيراً، سيطر عليه النعاس ونام فاعتنت ستيفاني بنفسها لتتناول العشاء بمفردها مع كريستيان.

قالت وهي تأخذ منه كوباً من العصير في الصالون وهما ينتظران العشاء:« كم عدد الطاقم هنا؟»

قال وهو يبتسم:« خمسة، فاليخت كبير ويحتاج الى الكثير من العناية. كما يوجد فيه قبطان.»

لم تفكر ستيفاني كثيراً بالأمر لأن القبطان انضم اليهما لتناول العشاء. كان رجلاً فرنسياً قاسي الملامح يناسب تماماً السيناريو الذي وضعته للقراصنة. كان مسلياً حقاً، وقبل ان تنهي وجبة الطعام كانت ستيفاني سعيدة لوجوده.

كان مايكل ارلود في الثلاثين من عمره. ومن الواضح انه معتاد على الحياة في البحر وهو اشقر تماماً.

قال لستيفاني عندما عرفه عليها كريستيان:« انه لأمر ممتع رفقتك، آنسة. اتمنى ان تطول هذه الرحلة كثيراً.»

سألت ستيفاني:« هل تمضي كل وقتك على متن اليخت؟»

ابتسم لها ابتسامة كبيرة وقال:« هذا ما أتمناه، لكن كريستيان ديوراند لا يمضي الكثير من الوقت عليها. وعندما لا أكون هنا، اصدر الأوامر او اتناول العشاء على طاولة الشرف ، انا صياد سمك فقير.»

بدا كلامه غير صادق فنظر اليها كريستيان نظرة ضاحكة بينما كانت تفكر بما سمعته.

قال لها مصححاً:« يملك مايك مجموعة من السفن الصغيرة للصيد. وهو يتحدث هكذا ليؤثر فيك. انني اعرفه منذ زمن طويل فنحن نتعامل معاً كأصدقاء. وهو يقود اليخت لأنه البحار ولا يستطيع شراء قارب بهذا الحجم لوحده. كما وانه يحب المشاكل.»

صدقت ستيفاني ذلك. فنظرة واحدة الى ابتسامة مايكل ارلود القلقة اكدت لها انه يحب المشاكل. قالت لكريستيان بعد ان غادر القبطان ليتولى مهامه:«يسعدني انه بجانبنا، هل...؟ هل يعمل الطاقم معه...؟»

« نعم. انهم يعملون لدي منذ زمن طويل كما وان مايكل صديقي منذ ايام الدراسة. انه اصغر مني لكن مع ذلك نحن اصدقاء فهو ليس بحاجة للعمل ، لكنه يحب التحدي الذي يعيشه في الابحار. ونحن لسنا في خطر كبير هنا.»

من الطبيعي ان ترغب ستيفاني بالسؤال، لما لم يحضروا الى هنا منذ اللحظة الأولى ، لكنها تذكرت ملاحظته عن نعومة دنيز وقررت ان لا تذكر الموضوع.

« ماذا عن الرجلين اللذين كانا في المنزل؟»

« انهما ليسا من طاقم الباخرة. سيسافران الى باريس عندما اعلم ان المشاكل قد انتهت. تركتهما يحرسان المنزل الآن، وسيتمكنان من معاونتنا على اليابسة كما وانه لا مكان لديهما هنا. عندما ينتهي كل شيء، سيعودان الى بلدهما..»

تنهدت ستيفاني وقالت:« متى سينتهي كل هذا الكابوس؟» وجلست براحة على المقعد المريح.

نظر اليها كريستيان ولاحظ لمعان شعرها الفضي المدهش تحت الضوء، كيف ينسدل على كتفيها، راقبها لفترة قبل ان يقول:« ربما في فترة أقصر مما تعتقدين. لقد قلت لتيري انني سآخذ جان – بول معي الى باريس. هكذا سيتمكن من اللهو قليلاً قبل ان يتعرف الى مدرسته الجديدة.»

سألته ستيفاني:« ماذا كانت اجابته عن ذلك؟» لاحظت انه قال لتيري ولم يسأله اذا كان هذا التصرف صحيحاً. عندما يدخل جان بول المدرسة في باريس، لم يبق امام فيونا وتيري الا توديع ولديهما لأن عمه سيهتم بأمره من الآن وصاعداً . كانت فيونا على حق بشكل واضح.

« قال انها فكرة رائعة. تستطيع فيونا ان تتماثل للشفاء بهدوء واطمئنان. فهما يعلمان أين هو جان – بول بالتحديد ومع من.»

نعم، بإمكان ستيفاني رؤية ذلك بوضوح.سيصبح مع عمه في باريس وبالتحديد ليس مع خالته لأنها لن تتمكن من فرض نفسها والمطالبة بإصرار بدورها وحقوقها المتساوية معه. مما لا شك فيه أن كريستيان فكر جيداً بذلك.

سألت بمرارة:« إذاً متى سنتوقف عن الإبحار؟»

قال:« عندما ينتهي الخطر. عندما نلقي القبض على الأوغاد. حتى ذلك الوقت، سنبقى هنا، بعيداً عن الشاطىء حيث الأمان الكامل. سننتظر ونراقب.»

قالت بخشونة:« أتوقع أنهم سيفعلون تماماً مثلنا.» ضاقت عيناه أكثر وهو يرمقها باهتمام.

« لا أعتقد ذلك. فالمصيدة قد وضعت . وسيسيرون اليها بدون شك وفي وقت قصير جداً.»

اقتربت ستيفاني الى الأمام وقالت:« كيف تعرف؟»

« لأنني ادرس وسائلهم منذ وقت. مهما يكن إنها مسألة وقت قبل أن يدركوا ما أخطط لهم. لاأصدق أنني سأستسلم ، ماهو رأيك بذلك؟ فأنا اعلم تماماً كيف يعملون. كما أن لدي فكرة صائبة كيف يخططون. عندما تكونين في مشكلة من السهل الوقوع في الفخ. ولقد وضع الفخ، عزيزتي. والآن سنستمع الى صدى خلافهم.»

قالت بهدوء:« لابد أنك مخيف.» بدا الإنزعاج على وجهه فنهض وشدها لتقف على قدميها.

« ربما لأعدائي أنا كذلك. لدي قليل من الأعداء، مع أنك، لا توافقينني الرأي. أي شخص يرغب في إيذاء من هم ينتمون الي، هو عدوي ومن المؤكد سينال عقاباً مناسباً.» نظر الى وجهها وابتسم فجأة.« أنت لست من اعدائي، ستيفاني، فكوني مطمئنة، ليس هناك من حاجة لتسيري في القارب وأنت تحملين مجفف الشعر.»

اعترضت وقد احمر وجهها خجلاً:« لم اكن لأفعل ذلك.»

قاطعها كعادته:« حسناً، يسعدني سماع ذلك. كما واريد ان لا تنتقلي في الليل وانت مرتدية قمصاناً حريرية. فالطاقم رجال جديون واريدهم ان يبقوا كذلك. سلامتنا تعتمد على ذلك.»

استدارت بسرعة كي تغادر. فلا يمكنها ان تقول شيئاً لقد رآها في اكثر من مناسبة بثياب النوم. لكنه لا يفكر في ان ذلك مجرد صدفة.

قبل ان تتمكن من الهرب، امسك كريستيان بكتفيها وادارها اليه وهو يقول:« عمت مساء، صغيرتي.» بعدها قبلها

بنعومة فائقة. وعندما رفع رأسه كانت هادئة، وتنظر اليه بعينين حائرتين وفيهما احساس بالندم.

سألته:« لماذا فعلت ذلك؟» ما كانت لتسأل لولم تفكر بدنيز باسكال وبأنها كانت هنا وكان يحبها كثيراً.

اجاب بنعومة:« لانني رغبت بذلك. انني منغمس بالاساليب الوضيعة للاثرياء، كما تدركين من دون ادنى شك. وعادة القيام بما اريده لا تقاوم. اردت ان اقبلك ولا اجد اي سبب يمنعني عن عدم اتباع ميولي.»

« وكيف ستشعر اذا تبعت ميولي وصفعتك بقوة على وجهك؟»

ادار وجهه وقال:« لن اكون سعيداً ومن المحتمل ان انتقم بسرعة لكن يمكنك ان تفعلي ذلك اذا كان هذا افضل ما تفكرين به.»

غادرت ستيفاني. وهي تعلم ان ليس هذا افضل ما تفكر به وظنت انه ربما يعرف ذلك.

لم تقابل يوماً رجلاً مثله وكريستيان حقاً خطر. انه يتحكم بالمال وبالقوة لكن حتى من دونهما لكان صاحب شخصية مميزة. شعرت انها مسرورة بالعودة الى غرفتها واغلقت الباب جيداً. شعرت بالقلق اكثر عندما علمت انها ليست بحاجة لتقفل غرفتها بالمفتاح. فهو شخص جدير بالثقة، بالاضافة الى صفاته الاخرى.

بدلت ثيابها وامضت وقتاً طويلاً تراقب البحر، كما فعل جان – بول. كان القمر بدراً والضوء يعكس بياض الامواج المتكسرة على الكهف عند الشاطىء. كان من المستحيل ان تتخيل الخطر في كل هذا السلام والجمال لكنها لم تشك

مطلقاً في وجوده. ولم تشك أيضاً في ان كريستيان جاهز لمواجهته وسيقتص ممن أثار هذا الخطر.

شعرت بالبرد مع حرارة الطقس فصعدت الى سريرها. واخذت تفكر بما سيجلبه الغد واليوم الذي يليه؟ كم سيمضي عليهم هنا؟ وكيف ستتمكن من رؤية جان – بول عندما يصبح بين يدي عمه، يعيش في باريس ويتغير الى شخصية أخرى لن تعرفها؟

على كريستيان ان يكون له اطفال، ولم لا يكون لديه اطفال؟ لا بد ان اولاده سيكونون وسيمين، شعرهم داكن اللون وسيحبهم كثيراً. حبه لابن أخيه يثبت انه سيحب اطفاله بقوة. ان لدنيز اطفال. هل يراهم؟ هل يشعر بالحب نحوهم كما يحب جان – بول؟

تقلبت ستيفاني في سريرها قلقة، منزعجة من نفسها على هذا الخيال الواسع الذي سيوصلها الى حدود البكاء. فهذا لا يعنيها ، ولا دخل لها في كل ما تفكر به. ولو لم تكن سلامة جان – بول مهددة، لما كان كريستيان أتى الى سانت لوسيان وكان من المحتمل ان لا تراه طوال عمرها.

لم تكن هذه فكرة جيدة بالنسبة لستيفاني ، اجبرت نفسها على النوم كي تتمكن من التخلص من هذه الافكار.

• • •

نامت متأخرة. تأرجح المركب والاحلام الغريبة ابقتها نائمة حتى ساعة متأخرة عن العادة وعندما استيقظت كان كريستيان وجان بول قد تناولا الفطور واصبحا على ظهر الباخرة. كان جان – بول يقرأ بينما كان كريستيان يراقب الشاطىء من خلال منظار يحمله.

وقف كريستيان ليعد لها كرسياً لتجلس امام الطاولة وهو يقول :« نمت لساعة متأخرة اليوم. هل عليهم ايقاظك عندما تقومين بأعمالك؟»

قالت تؤكد له :« عادة أستيقظ في ساعة مبكرة.» وظهر على وجهها ارتباك من استمتاعها بابتسامته المرحة.

قال كريستيان:« يمكنك تناول الفطور هنا. وهكذا لا تشعرين بانك تخسرين شيئاً. يتساءل جان – بول ماالذي سيفعله اليوم، فمن المستحيل التنزه في هذا المكان.»

اعترفت ستيفاني، غير مهتمة أنها تتدخل في كل شيء:«لقد احضرت معي عدة العاب من المنزل، وكذلك طائرة ورقية.»

قالت جان – بول بحماسة:« طائرة! آه ، رائع! ستيفي أنت أفضل شخص في العالم كله.»

تمتم كريستيان:« قد لا أسمح لذلك، لكن إذا لم تسقطا عن متن الباخرة أو أن تشتبك الطائرة بالحبال.»

بدا على ستيفاني الإحباط:« لم أفكر بذلك مطلقاً.» لكن كريستيان ضحك.

وأضاف بلهجة ساخرة:« مادمتما تراقبان اتجاه الرياح وتتصرفان على هذا الأساس، لا أرى أي خطر بذلك. على أي حال، سيتشرف مايكل بلا شك أن يتسلق ساري المركب ليحضر الطائرة إذا نظرت اليه وأنت قلقة. كان مكتئباً لأنك لم تشاركينا الفطور ...»

قاطعهما جان – بول بمرح:« هذا صحيح ستيفي، لقد سأل عنك وكان كئيباً ! سأحضر الألعاب إن سمحت لي؟»

كانت ستيفاني سعيدة بإخباره أين هو مكان الألعاب بالتحديد في غرفتها. لقد ضاقت من سخرية كريستيان

من دون أن يساعده جان – بول بهذه الطريقة الواضحة.

قالت بحزم عندما غادر جان – بول:« هذا ليس بحديث مناسب أمام ولد صغير.»

قال كريستيان :« إنه فرنسي ومن الطبيعي أنه حان الوقت ليميز الفرق بين الرجال والنساء.»

قالت بسرعة:« انك تتعمد التحدث بطريقة شائنة!»

امسك بيدها، ولم يتركها مهما حاولت ان تنتزعها منه.

« ربما، وربما احاول أيضاً أن اخفف من الجو الحار الذي يلفنا منذ عدة ايام.»

قالت وقد نزعت يده عنها واخذت تسكب الشاي لنفسها:« ليس هناك من حاجة لتمسك بيدي.»

قال بنعومة:« ثانية، ربما ارغب في أن اوضح للجميع هنا انك تحت جناحي، واذا كنت تعترضين، بالطبع، فأنا أعرف مايكل عن كثب. استطيع ان المح له انك حرة. لكن حقيقة، اعتقد انك ستكونين بأمان اكثر معي. فأنا أستطيع الاهتمام بك.»

قالت بسرعة، وهي منزعجة من هذا الحديث:« استطيع الاعتناء بنفسي. ما زلت احتفظ بمجفف الشعر وفقط تذكر ذلك. كما يمكنك ان تمرر هذه الاخبار لقبطانك.»

جلس كريستيان وهو يضحك، ويبدو عليه التمتع بصورة واضحة.

قال مؤكداً لها:« انه شخص جدير بالثقة. كنت اجامل، ستيفاني، واستطيع ان اوضح لك انك لا تأخذين بمثل هذه الامور بطريقة عفوية. سأصبح جاداً من الآن وصاعداً.»

كان صادقاً مما جعلها تتمنى بعد فترة لو استمر بالتحدث

معها. لقد تجاهلها كلياً، تاركاً جان – بول تحت رعايتها وتمضياً وقته مع مايكل ارلود. كان هناك الكثير من الامور المهمة وقد طلب للاجابة على الهاتف عدة مرات. ولم تمر ولا لحظة لم يراقب بها الشاطىء لأنه ان لم يكن كريستيان يفعل ذلك، كان احد رجال الطاقم يتولى الامر.

لم تشعر فقط انها تركت بعيدة عن تطور الامور ، بل ايضاً شعرت كأنها حاضنة اطفال.

لعبت مع جان – بول حتى وقت الغداء وبعد ذلك لم تتمكن من إلهائه عن اللعب بالطائرة.

بعد ملاحظة كريستيان، لم ترغب في اللعب بها في حال حصل اي خطأ من جانبها قد يحدث المشاكل. لكن، الآن لم يعد لها خيار ما ان ازداد هبوب الريح ومع اصرار جان – بول. لامت ستيفاني نفسها على الاقتراح السعيد الذي قدمته باحضار طائرة الى المركب لكنها اصبحت عالقة بذلك الآن واذا اعتقد كريستيان ان تصرفها هذا احمق، فهي توافقه الرأي.

لم يكن هناك اية مشكلة على الاطلاق. كان الهواء ناعماً وطارت الطائرة فوق البحر الازرق، حتى انها شدت انتباه الطاقم من فترة الى اخرى. لم تدرك ستيفاني حتى الآن كم يعلو القارب عن سطح البحر. من المؤكد انه كبير ورائع جداً واية فكرة بالسباحة على احدى جوانبه قد ابعدتها على الفور خوفاً من الغطس في قاع البحر.

« انتبهي هناك!»

أتت صرخة جان – بول المحذرة بعد فوات الاوان. يبدو ان دفعة من الهواء قد اتت من البحر وضربت الطائرة صوب

القارب. كان من الصعب عليها ان تسيطر على الوضع وبعد مرور لحظة وقفت ستيفاني مع جان بول يراقبان بضيق طائرتهما كيف التصقت بالحبال و علقت هناك.»

تمتم جان – بول:« آه، لا! هذا ما حذرنا منه عمي كريستيان.»استدارا معاً لينظرا حولهما حتى الآن لم يلاحظ مشكلتهما احد، تابع بحزن:« علي اخباره، اتوقع انه لن يسمح لنا بالاستمرار باللعب بها بعد الآن.»

قالت تشجعه:« انها ليست عالية جداً، انتبه الى ما يدور حولك وسأحضرها بنفسي. فالذي لا يعرفه العم كريستيان لا يزعجه.»

خلعت حذاءها وبدأت بالتسلق على الفور لكن جان – بول كان قلقاً جداً في مراقبته ما يحدث.

صرخ بسرعة:« لا، ستيفي! انه خطر جداً.»

قالت تؤكد له:« انه كالسلم.» لكنه كان خائفاً جداً . اسرع بالركض على ظهر الباخرة وفي تلك الاثناء كانت ستيفاني تكمل ما بدأت به واخذت تتسلق الحبال التي تشكل الاشرعة للقارب.

لم يكن الامر مطلقاً كما اعتقدت. فمن ناحية اولى، هي لم تتسلق سلماً في حياتها، على الرغم من كلامها المشجع لابن اختها. حتى وان فعلت، فلم يكن السلم يتأرجح في الهواء ويبرم مع حركة الماء، كما وانه لن يحف بقدمها بطريقة مؤلمة كما يفعل هذا.

حتى قبل ان تصل الى الطائرة، علمت انها اوقعت نفسها في مشكلة. ونظرة واحدة الى الاسفل اكدت لها ذلك. على متن السفينة، لم تلاحظ العلو الشاهق، لكن من هنا كان عليها

التفكير اكثر بالامر. كانت الاشرعة عالية تماماً لتسقط منها الى البحر وعندما ادركت ستيفاني العلو الذي وصلت اليه شعرت وكأنها قد تجمدت مكانها.

في تلك اللحظة علمت انها لن تستطيع ان تتابع الصعود او حتى ان تنزل. كل الذي تستطيع القيام به هو التمسك بقوة ومحاولة ان لا تشعر بالدوار لأنها عالياً عند الشراع حركة القارب اكثر بكثير مما هي على ظهر السفينة. انها تبدو وكأنها تحاول ان تسقطها ارضاً.

« لا تتحركي!»

سمعت صوت كريستيان من على ظهر السفينة فنظرت اليه خائفة لتجده يقف هناك وبقربه جان – بول خائفاً. لم يكن امره ضرورياً لانها لا تستطيع التحرك.

كانت يداها تمسكان بشدة الحبال مما جعل اصابعها بيضاء وكأن الدماء قد غادرتها.

شعرت بخوف اكبر عندما احست بأن احداً ما تسلق الشراع. لقد سبب ذلك المزيد من التأرجح وشعرت بجفاف في فمها من الخوف. يمكنها مهاجمة اللصوص اكثر بكثير مما تفعله الآن. انها بحاجة الى نوع آخر من الشجاعة وفي تلك اللحظة شعرت انها لن تتمكن من الخلاص.

شعرت ستيفاني بيد كريستيان عل كتفها وهو يقول لها:«استديري لمواجهتي.»

لكنها هزت رأسها وعضت على شفتها. لم تكن تستطيع الاستدارة. توقعت ان يأمرها بقوة لكن يبدو ان كريستيان قد شعر بثقل مشكلتها فتكلم بنعومة، وكأنه يهمس في اذنها.

قال:« لن ادعك تسقطين. وهناك طريقة واحدة لانزالك ان

لم تفعلي ذلك بنفسك. فقط استديري قليلاً وسينتهي الامر بعد دقيقة.»

اعطاها هدوء صوته القدرة على التحرك، مهما يكن، اغمضت عينيها وهي تشعر بالخوف انه وراءها تماماً، وقدميهما غير مستقرتين.

قال عندما واجهته:« الآن، اتركي نفسك على كتفي.»

تمسكت بالحبال بقوة اكثر وقالت:« سنقع.»

هز رأسه وقال:« لا، لن نفعل. هناك الكثير من الاعمال علي القيام بها، والسقوط عن متن الباخرة ليس في جدول اعمالي. كلما اسرعنا بالنزول كلما كان افضل لنا. فالهواء يشتد. اتكئي على كتفي وسنصبح على ظهر السفينة بأمان بعد عدة لحظات.»

احتاجت الى قوة كبيرة في اعصابها كي تتمكن من ترك الحبال والاتكاء على كريستيان وشعرت بالدهشة كيف حملها وكأنه لا يحمل شيئاً، شدت بيدها على الحزام لتتركه يستعمل يديه الاثنتين في النزول ولم تنزعج مع شدة اضطرابها.

تمتم بعدما اصبحا قريبان من ظهر السفينة:« يسعدني انك ترتدين بنطالاً قصيراً، هكذا سأتمكن من ضربك. لقد تركت الامر لفترة طويلة على ما اعتقد. تبدو عاداتك الغريبة جزءاً من شخصيتك.»

حتى ولو كان لديها القدرة على الاجابة، لكنها لم تفعل. كانت مدركة تماماً من اساليبها الحمقاء وهذا العمل الاخير هو آخر ما ستقوم به. اقسمت ذلك بصمت وحزن. لو فكرت بالامر ملياً، لكانت علمت ان ليس هناك من مشكلة لو تركت

الطائرة مكانها او انها سمحت لجان – بول كي ينادي عمه. حقيقة المشكلة انها مصممة ان تبرهن انها تملك القدرة مثل الرجل الآخر.

والرجل الذي تتكلم عنه لديه مقدرة اكثر من اي رجل تعرفه والتفاخر عليه امر سخيف حقاً. بل انه طفولي. رغبت بالاعتراف بذلك على الفور لكن ما ان وضعها على الارض حتى شعرت بالدوار وكانت ضعيفة جداً لتتمكن من الكلام.

يبدو ان طاقم السفينة بأجمعه قد تجمع ليراقب عملية النزول وترنحت بضعف بينما كانت ترفع رأسها لتتخلص من خوفها. احاطها كريستيان بذراعه على الفور، ونظر الى احد الرجال، مشيراً باصبعه نحو الطائرة.

قال امراً:« احضرها، جاني، واعطها لابن اخي كي يخبئها.» انتهى من الكلام لينظر بجدية نحو جان – بول الذي احنى رأسه موافقاً.

لم يكن هناك المزيد لاضافته. اخذ كريستيان ستيفاني الى الصالون، وهو ممسك بها طوال الوقت، وعندما اصبحت بأمان على احد المقاعد قدم لها شراباً وهو يقول:« اشربي هذا على مهل. ستعودين الى طبيعتك بعد فترة قصيرة جداً.»

اعترفت ستيفاني، من دون ان تنظر اليه:« انني آسفة، كان عملاً غبياً، خطراً، وطفولياً.»

قال بسخرية وهو يقف امامها:« علي الاعتراف، آنستي، عندما تريدين ان تهزمي تتفوقين على نفسك. لم اجرؤ مطلقاً على وصفك بهذه الصفات المحطمة.»

تمتمت ستيفاني:« يمكنك ان تفعل ان رغبت بذلك، فأنا استحق ذلك بالتأكيد.»

قال مؤكداً لها وهو يضحك: «لم احاول مطلقاً ان احطمك.» جلس بقربها وامسك بذقنها قبل ان يسألها: «لم صعدت ما دمت تخافين من الأماكن العالية؟»

«انا لا اخاف من الاماكن العالية. لقد توقعت ان اصعد وانزل مستعيدة الطائرة من غير ان يلاحظني احد. لكنني لم آخذ بعين الاعتبار الارتفاع عن سطح البحر ولا تأرجح القارب. أنا لا اعتقد انني شعرت بخوف مماثل في حياتي كلها.»

«حتى عندما اعتقدت ان الرجلين هما الخاطفان؟»

«كان الامر مختلفاً. كان ذلك على جان – بول. هذه المرة خفت على نفسي. لقد تجمدت ولم اقدر على الحراك.»

«لاحظت ذلك.» واشار اليها لتكمل شرابها وتابع: «من حسن حظك انني كنت قريباً والا لبقيت معلقة هناك الى الابد، تسافرين معنا كلما قررنا الابحار.»

تمتمت ستيفاني: «مثل اعلان القراصنة.» مع انها ما زالت غير مدركة لما قامت بكل ذلك من دون تفكير.

قال كريستيان بجدية: «ربما، كنت افكر انك تصلحين كشراع جالب للحظ الجميل. لن اتحدث عن الامر بعد الآن. قد تتعرضين للصدمة بصورة غير متوقعة. ابقي هنا وبامكان جان – بول الاعتناء بنفسه. بكل الاحوال، لن يكون مفعماً بالحيوية، فلقد كان يشعر بالرعب على محبوبته ستيفي.»

لم تكن ستيفاني تشعر بالرغبة بالحراك. تمددت بطريقة اكثر راحة بعد ان غادر كريستيان وحاولت جاهداً ان لا تنام. كانت لا تزال تجلس هناك بعد مضي وقت طويل عندما اقترب منها جان – بول ونظر اليها حزيناً.

سأل بقلق: «كيف حالك، ستيفي؟» ابتسمت له، وجلست على الفور.

قالت: «جيدة. انني باقية هنا كي اختبىء من عمك. فأنا اشعر وكأنني غبية. لا بد ان الطاقم كله يسخر مني لذلك بقيت هنا بعيدة عن الانظار كي ينشغلوا بأعمالهم وينسوا ذلك الحدث المجنون كله.»

كان جان بول لا يزال يبدو قلقاً: «كان علي مناداة عمي كريستيان.» فهزت ستيفاني رأسها موافقة. وقالت: «شكراً لانك فعلت. كنت بحاجة لمن ينقذني.»

قال: «انه كالفارس المغوار، اليس كذلك؟ احياناً يثير القلق لكنك تعلمين دائماً انه بقربك عندما تحدث اية مشكلة.»

«أعلم.» قالت ذلك وهي متأكدة انها لا تجاري ابن اختها. فكريستيان يبدو دائماً حاضراً عندما تحدث المشاكل ولقد حدث ذلك عدة مرات منذ قدومها الى سانت لوسيان. حياتها المستقلة والعيش بسلام قد انتهت. علمت انها بحاجة لقضاء وقت طويل بالعمل المتواصل كي تتمكن من العودة الى حياتها السابقة لكن هذا الاحساس بالكاد اصبح جزءاً منها.

سأل جان – بول جدية: «هل يزعجك ان جلست على ركبتيك؟» فنظرت اليه ستيفاني بحدة. كان الامر غير عادي. فهو ايضاً صاحب شخصية مستقلة وقد اعلن عن ذلك بسرعة ووضوح عندما حاول عمه ان يحمله.

قالت: «بالطبع! فأنا بحاجة لقليل من التشجيع والمواساة.»

قال بصوت منخفض وهو يدني رأسه من كتفها: «ليس الامر كذلك، ستيفي. اريد التحدث اليك بسرية.» ادار برأسه ونظر اليها وهو يتابع: «هناك أمر غريب يجري هنا.»

علمت ستيفاني أن الوقت قد حان. لم تتفاجأ بالامر. فالاطفال شديدو الحساسية كما وان جان بول ولد ذكي جداً.

سألت، محاولة ان تخفف من اهمية الامر: « انت تقصد أمراً عظيماً؟»

« ماذا؟» نظر اليها مستفهماً، فلامست ستيفاني شعره.

وقالت متذمرة: « انت كعمك، انه لا يفهم الالفاظ التي اقولها. حسناً، سأحاول ثانية. هل تعتقد ان شيئاً غريباً يحدث؟»

قال مؤكداً لها: « نعم، عمي كريستيان ليس كعادته في هذه الرحلة الى سانت لوسيان. انت لا تعرفينه، ستيفي. انه يضحك كثيراً ومسل جداً لكنه هذه المرة دائماً غاضب وهو ـ وهو دائماً يراقبني. والآن ونحن جميعاً هنا، الرجال ايضاً يراقبونني. لكن هذا غريب ـ عظيم؟»

هزت ستيفاني رأسها بغموض. والآن ماذا ستفعل؟ هل تؤكد له انه مخطىء او تشرح له حقيقة الامر؟ وان فعلت، ماذا سيقول كريستيان؟ وهي تعلم ايضاً ان نقاشهما الحاد لم يذهب سدى. لقد صرخت في وجهه عدة مرات قبل ان تدرك الوضع الخطر وربما سمع جان – بول ما يكفي ليصبح قلقاً.

قالت باهتمام: « ليس هناك شيء غريب يحدث. انه فقط، اننا جميعاً نقوم بالحراسة. ولهذا اتينا الى القارب، وهكذا سنتمكن من القيام بالحراسة اكثر من ذي قبل.»

استرعت انتباه جان – بول بالكامل لكنها لم تدرك بعد ما الذي ستقوله له.

تابعت: « عمك كريستيان غني جداً، اعتقد انك تعلم ذلك؟»

« يقول ابي انه واحد من اغنى الرجال في فرنسا.»

« ربما، حسناً. الرجال الاغنياء يتعرضون للخطر هناك

اناس أشرار ترغب بالحصول على مالهم.» وتوقفت عن الكلام لكن جان – بول ساعدها بطريقة غير متوقعة.

قال بحماسة: « هناك رجل في اميركا قد اختطف، قرأت ذلك في الجريدة. ولقد طلبوا مبلغاً كبيراً من المال. فدية؟ هل يريدون فدية عن عمي كريستيان؟»

« اعتقد ان هذه هي خطتهم لكنهم لم يقبضوا عليه. اليس كذلك؟ لهذا نحن نراقب.»

« آه! فهمت الآن! سأراقب أنا أيضاً.» ضحك فجأة، وقد ادهشها تماماً. تابع قائلاً: « امي وابي تحدثا عن ذلك عندما كانت تقرأ الجريدة. قالت كم سيكون الامر مخيفاً اذا حاول احد القيام بذلك لعمي كريستيان. قال ابي اذا احد ما سرق عمي كريستيان سيعيده على الفور، فقط ليتخلص منه، لأنه فاسد وشرس. قال ابي سيسبب لهم المشاكل اكثر من قيمة المال.»

قالت موافقة: « اعتقد ذلك ايضاً. مهما يكن، لن ندعهم يحصلون عليه، اليس كذلك؟ لهذا نحن نراقب. وسنقبض عليهم مكانه.»

قال جان – بول بتصميم: « سأذهب واساعدهم!» نزل عن المقعد وسار نحو الخارج وهو يقول: « ستيفي، هل لديك منظار؟»

قالت: « لا، اسأل احد افراد الطاقم لكن لا تدع احد يعلم انك علمت بمراقبتهم، ستكون مساعداً اضافياً. وانا وانت سنعمل بمفردنا.»

قال بحماسة: « جيد! دائماً هناك حماسة عندما تكونين بقربي، ستيفي. والآن لدينا مغامرة.»

تمتمت وهي تفكر: «معك حق.» اذا اكتشف كريستيان الامر فلن يعارض.

قال وهو يفكر: «اتمنى لو تعيشين معنا دائماً.»

فظهر القلق على وجهها وقالت: «صدقني، لا استطيع تحمل ذلك.» لا تعلم ان فهم ذلك ام لا لكنه غادر ليبدأ مراقبته السرية وبقيت ستيفاني وحيدة مع احساسها بالذنب.

اثارت انتباهها ضجة صغيرة فأدارت رأسها لتجد كريستيان متكئاً على احدى النوافذ من على سطح القارب. علمت من تعابير وجهه انه سمع بعض النقاش الذي كان دائراً ولم تشعر بالتوتر بسبب الرضى الواضح في لمعان عينيه.

قالت معترفة: «انه يعلم.» معتقدة انه من الافضل لها ان تبدأ بالكلام طالما كلامه سيكون تقريعاً.

اعترف قائلاً: «سمعت القليل من تحليلك الذكي. فأنا لا انكر انني استرق السمع عندما يلزمني ذلك.»

قالت بسرعة: «كان علي اخباره اي شيء لأنه كان قلقاً. وكان يشعر ان الجميع يراقبه وهذا ما ازعجه كثيراً حتى انه فكر بالجلوس على ركبتي.»

تمتم كريستيان بسخرية: «انه محظوظ كونه صغيراً هكذا.» استدار واقترب منها: «أوافقك الرأي، كان عليك اخباره اي شيء ولقد تأثرت كثيراً بما اخترعته، كذبة مثالية في الواقع ـ وكأنها الحقيقة.»

قالت وقد بدأت تشعر بالغضب مما اعتقدته نقداً لها: «لم يكن من الصواب اخباره انه المستهدف بالخطف.»

«اوافقك الرأي! ألم أقل لك انني تأثرت كثيراً؟ فتفسيرك سيغطي كل شيء قد يواجهه.»

« كنت مترددة بما سأقوله. لكن جان - بول ساعدني بقصته عن الفدية.»

قال بضيق: «نعم، لقد سمعت ذلك. انه أمر مشوق ان اسمع رأي أخي بي.» لم تستطع ستيفاني ان تخفي ابتسامة ظهرت على وجهها فرماها بنظرة عدائية وهو يقول: «ارى انك توافقينه الرأي، آنسة.»

قالت: «حسناً، هناك الكثير من الادلة تدعم رأيه. لا استطيع الجدال بذلك.»

« اذاً انت تعتقدين انني قاس وصعب؟»

تمتمت ستيفاني: «لم تعطني اي سبب لاتخيل العكس. نحن لم نتقبل بعضنا بصورة عادية.»

قال واعداً: «سأغير اسلوبي عندما ننتهي من كل هذا. في الوقت الحالي، سأذهب لأرى شريكك. ربما المحاولة الثانية للانقاذ ستكون لجان - بول وهو يقفز من فوق حافة القارب من شدة حماسته بالمراقبة.»

خرج فتنفست ستيفاني تنهيدة ارتياح. لأول مرة، وافق على تصرفاتها. ذهبت لتغير ثيابها. لقد اصبحت الامور اكثر وضوحاً الآن وهي بحاجة لتقوم ببعض المراقبة بنفسها ولن تفعل ذلك لتحمي العم كريستيان الذي لا يقهر، بل لقد حان الوقت لحدوث شيء ما، وهي تريد ان تكون حاضرة وجاهزة عند حدوث اي شيء.

الفصل الثامن

في المساء، تلقى كريستيان اتصالاً من الشاطىء مما جعله يطلب القارب السريع فوراً. لم يذكر ذلك لستيفاني لكن كان من المستحيل ان يغادر بالقارب من دون ان يلاحظه الجميع كما وانها كانت تشعر بالتوتر المحيط به.

قالت:« ما الامر؟»

وصلت الى ظهر القارب بينما كان يستعد للمغادرة فنظر اليها وكأنه فقد صبره.

« لقد تم القبض على رجلين. ولقد امسكت بهما الشرطة لذلك علي الذهاب لرؤيتهما. ستبقين هنا مع جان – بول.»

قالت ستيفاني، متجاهلة لهجته:« لم اتوقع مطلقاً الذهاب برفقتك. كيف ستعرف اذا كان هذان الرجلان هما المطلوبان...؟»

قال بحزم:« سأعرف، لم يتم القاء القبض عليها بالصدفة. ألم اقل لك انني كنت ادرس وسائلهم منذ فترة طويلة؟ في كل الاحوال، هذان سيتكلمان.»

كان قلقاً وراغباً بالمغادرة، ومن الواضح انه لا يرغب باخبارها المزيد فوقفت ستيفاني تراقبه وهو ينزل الى القارب السريع ويتجه نحو البر. لقد اختار ان يرتدي ثياباً سوداء، جينز اسود وقميصاً قصير الاكمام. كان الانطباع العام عنه انه مسيطر وتساءلت ان فعل ذلك متعمداً. وربما لا. فقد يبدو مسيطراً مما اختار من ثياب.

وقف جان – بول بقربها وقال:« الى اين يذهب؟» وهو يراقب اندفاع القارب السريع فقالت ستيفاني بصدق.

« يعتقد انه تم القبض على اللصوص.»

لم يجب جان – بول وعندما نظرت اليه تفاجأت عندما رأت خيبة الامل واضحة على وجهه. لقد انتهت المغامرة ولم يكن له اي دور فيها. لكن القلق انتقل اليها. فقد ينتهي الامر بعد فترة قصيرة بالنسبة لها ايضاً. ولقد حان الوقت لتعود الى سابق عهدها وهذا الامر بعيد عنها.

لقد حان الوقت ايضاً كي لا ترى كريستيان ثانية لانه بدأ يكسر الحواجز التي كانت قد انشأتها من انزعاجها منه من خلال كلامه المرح وتصرفه السريع الذي ينم على لطف وكياسة. انها لا تريد ان تكون في اي مكان بالقرب منه. لقد أثر بما فيه الكفاية بحياتها وهي ستكون سعيدة جداً بالرحيل الى لندن.

بعد ان ذهب جان – بول لينام، جلست ستيفاني تتحدث مع مايكل. لم يكن هناك اي اثر لكريستيان وهذا ما زاد من قلقها، فلقد كانت تصغي من دون اهتمام لحديث مايكل. لقد حل الظلام تماماً ومع كل تصميمها ان تبقى غير مهتمة وعادية كانت قلقة جداً.

وعندما سمعا أخيراً صوت محرك القارب السريع، وقف مايكل وسار نحو الباب قال ليخفف التوتر عن وجه ستيفاني:« سأذهب لملاقاته. ليس هناك من داعي للقلق. لم اعرف يوماً ان كريستيان قد أخفق في شيء ما.»

تمتمت قائلة:« قد لا يكون الرجال المقبوض عليهم هم المطلوبون.»

« انه لا يضيع وقته سدى. سيكونوا الرجال المطلوبون. ولا بد انه انتهى من التعامل معهم. سأتناول عشائي في مقصورتي الخاصة الليلة. لا بد انكما ترغبان بالحديث على انفراد.»

خرج قبل ان تعترض وبقيت ستيفاني تتساءل من اين حصل على هذا الاستنتاج. اعتقدت ان كريستيان قد اخبره عن الوضع اكثر مما اخبرها. وكريستيان لا يعني لها شيئاً. تمنت من كل قلبها ان يدرك مايكل ارلود ذلك والطاقم كله.

مهما يكن، شعرت براحة كبرى عندما دخل كريستيان المقصورة واعترفت لنفسها انها كانت قلقة طوال فترة غيابه. وعندما حدقت به، ابتسم لها وكأنه يسخر من نفسه.

تمتم قائلاً: « لقد عدت سالماً، كما ترين.»

قالت بصوت مضطرب: « هل كانوا هم؟» اومأ برأسه ايجاباً وهو ينظر اليها.

« نعم، وعند الصباح سيعودون الى فرنسا في صندوق حديدي.»

«لكن هل اعترفوا؟ اقصد، اذا كنت مخطئاً فقد لا يزال هناك خطر، وكيف تعرف انك قبضت عليهم كلهم؟»

قال وهو يستدير، ليسكب لنفسه شراباً: « لم نقبض عليهم كلهم. لقد بقي هناك ثلاثة لكن الشرطة تعرف مكان اثنين منهم والشخص الثالث تقع مسؤوليته علي.»

اقتربت ستيفاني منه وقالت: « انا لا افهم.» نظرت في حيرة، فهو لا يزال غامضاً ويبدو اكثر سيطرة، خاصة مع هذه التعابير الجدية على وجهه.

قال بهدوء وحزم: « لا داعي لتفهمي، لقد بدأت هذه المسرحية منذ وقت طويل، قبل ان تظهري على المسرح.

اصبح جان – بول بأمان الآن ولقد انتهى دورك. يمكنك العودة الى عالم الازياء المميز ونسيان كل الامر.»

شعرت بالالم من لهجته وطريقة كلامه المتعالية، فقالت: « اني متأكدة ان ذلك سيسعدني جداً.» لقد بدأت تشعر انها تهتم فعلاً كيف يتحدث معها، على الرغم من كل ما تعرفه عنه. وهذا ما زاد من مرارتها، تابعت قائلة: « ستحصل على ما تتمناه في النهاية. سأصبح قريباً في الطائرة وبعيداً جداً عنك.»

« أنت متأثرة جداً هذه الليلة، آنسة. هل يعلم ابن اختك انك ستهجرينه؟»

قالت: « كم انت مثالي! انت تحاول بكل الوسائل لتتخلص مني وعندما اصبح جاهزة للرحيل تتهمني بالهجران.»

« وماذا يمكن ان اصفك بغير هذا؟ لقد اتفقنا ان نأخذ جان – بول الى باريس ليرى مدرسته الجديدة. ولقد خططنا معاً ان نبعد الخطر عن والديه. ولقد حاولت جاهداً ان نأخذ القرارات مشتركة منذ ان رأيتك. والآن ، عندما اقتربنا من النهاية، انت ترغبين في هجراننا.»

« لكن... لكنك قلت انه يمكنني العودة الى عالم الازياء المميز وان انسى كل ما حصل هنا.»

« يمكنك ذلك. فلقد كاد الامر أن ينتهي. لكن لم اقل، انه يمكنك الرحيل على الفور ولم اقترح عليك ان تنسي كل ما يتعلق بنا.»

قالت بلهجة آمرة ومحبطة معاً: « هل يمكنك التوقف عن التحدث بصفة الجمع هنا؟ لم يكن لك دخل بكل ما عانيته. كل افكاري كانت تتعلق بسلامة جان – بول.»

سألها بسخرية: « ألم ترمي بنفسك امامي عندما هاجمت

الرجلين على الشاطىء؟ الم تكوني خائفة على سلامتي؟»
وفجأة امسك وجهها بيده ونظر في عينيها وهو يتابع: «وألم تكوني قلقة طوال الوقت الذي كنت فيه على الشاطىء؟»

قالت بصوت مرتجف: «ولا لحظة. شعرت بأن جان – بول اصبح بأمان اخيراً. انه الوقت الوحيد الذي شعرت فيه بالراحة منذ دهور.»

«اذاً لماذا كنت متضايقة وشاحبة جداً عندما دخلت الى هنا؟ ولماذا قال مايكل انك بالكاد كنت تستمعين لحديثه.»

قالت معتمدة التهرب: «انه ممل.»

قال باصرار، متجاهلاً كلامها عن مايكل: «انت تتخيلين ان هناك عصابة بانتظاري لتنقض علي. كنت قلقة علي.»

«كنت قلقة فقط انهم قد يأتون الى هنا اذا... اذا...»

«اذاً اصبحت شخصاً يقهر؟ هل تعتقدين ان الطاقم سيستسلم ببساطة؟ هل بدأت تفكرين ان مايكل سيجلس مكتوف الايدي ويترك الامور تفلت من يده، مهما يكن مملاً؟»

لم تستطع الاجابة على كل هذه الاسئلة، استدارت لتخرج لكنه امسك بها وادارها لمواجهته وعندما رفعت عينيها اليه كان يبتسم لها بطريقته المتكبرة المعهودة.

قال بحزم: «كنت قلقة على سلامتي. لقد اصبحت متعلقة بشريكك.»

قالت بسرعة: «قد تستطيع الفيلة الطيران.»

ضحك وهو يقول لها: «قررت انني في المستقبل سأتجاهل جملك الغريبة. من الواضح انها شيفرة تستعملينها غير معروفة للشعوب الاكثر حضارة. لا استطيع التنافس معك في هذا المجال.» نظر الى وجهها واصبح اكثر حزماً وهو

يقول: «والآن، لنكن منطقيين. غداً سنغادر سانت لوسيان وسترحلين معنا. لدي اعمال لأقوم بها وانا محتاج اليك. كما وان جان – بول بحاجة اليك ايضاً.»

«اذا لم يعد في خطر، عندها...»

قال بتجهم: «لم نتمكن بعد من القبض على كل افراد العصابة. الخطر خفيف جداً لكن لن اشعر بالرضى الكامل حتى اجدهم جميعاً في السجن، ومن الافضل في فرنسا. وحتى ذلك الوقت ساكون اكثر سعادة اذا كنت مع جان – بول.»

«لماذا؟ لقد حاولت بكل جهد التخلص مني؟»

«جان – بول يحبك، اعلم ذلك، كما وانك تشجعينه دائماً.» هز كتفيه قبل ان يتابع: «واعلم ايضاً ان لم اكن اراقب ابن اخي فأنت ستفعلين – وبطريقة افضل مني.»

قالت موافقة: «حسناً. لكن ليس هناك من حاجة لتمسك بي ان اقفز عن ظهر القارب واهرب.»

«لا امسك بك لهذا السبب. لا استطيع العودة ورؤيتك قلقة وشاحبة. افضل ان اراك غاضبة بدلاً من حزينة.»

قالت من دون ادراك: «لن اكون غاضبة. فأنا سعيدة الآن انك عدت سالماً.»

ازدادت عيناه غموضاً وهو يقول: «اذا كنت حقاً قلقة. لا تقلقي، جميلتي. انني قادر على الاهتمام بنفسي جيداً.» ثم قال وهو يقترب منها اكثر: «انت جميلة حقاً، لا استطيع التفكير لماذا لم يتعلق بك احد بعد. لا بد ان رجال بلدك لا يتأثرون بالجمال.»

لم تعترض على ضمه لها وتقبيلها، لكنها قالت بعد قليل: «اشعر وكأنني غبية.»

قال وهو يبتسم:« لا يبدو عليك ذلك. اظن انك اكثر نضجاً منذ رأيتك في المرة الاولى. ومن الافضل للطاقم ان يعرفوا انك لست بعاشقة. فمازال علينا الابحار الى المارتينيك.»

صمتت ستيفاني. لم يعد لديها الرغبة في التحدث معه. وكأنها سقطت في برميل ماء. فهي تعلم تماماً سبب ذهابهم الى المارتينيك. فدنيز باسكال هناك. وهو يريد اصطحابها معه. واذا كان يعتقد انها ستبقى برفقة تلك المرأة فعليه التخلي عن هذه الفكرة.

قالت ببرود:« سأعود الى بلادي من المارتينيك.»

قال مصححاً لها وبدا صوته اكثر برود:« سنعود جميعاً الى بلادنا من المارتينيك.»

مهما يكن ما يفكر به، كانت متأكدة انه امر مؤسف، فنظرت اليه قلقة. لم ينته شيء بعد. لديه خططه وها هو ثانية لا يشاركها بها.

ابحروا الى المارتينيك في اليوم التالي وعلى الرغم من كل شيء كانت مغامرة جميلة وبينما كانوا يبتعدون عن الكهف الهادىء، كان القارب يسير بهدوء وشعرت ستيفاني بالسعادة انها لم تعاني من دوار البحر على الرغم من استدارة القارب اكثر من مرة. كان احساس يصعب شرحه. حتى الطاقم كله كان يعج بالحركة، مبتعدين عن مراقبة الشاطىء ليتسلموا مهامهم التي يحبونها.

وقفت ستيفاني قرب الحواجز وتمتعت بكل ذلك، لقد غابت خيبة املها من الحماسة التي شعرت بها في هذا القارب الكبير. بعد مراقبتها لكريستيان لفترة علمت انه يتمكن من الابحار بهذا القارب مع او بلا قبطان.

قاد المركب الى عرض البحر وكان يتمتع بكل دقيقة في عمله، غير مهتم بكل مشاكله الباقية.

سألته عندما وقف بقربها وقد ترك أمر قيادة المركب لمايكل:« الا يمكنك الابحار بواسطة المحرك؟»

قال بسهولة:« لكن ليس الامر ذاته، مهما يكن، انه عمل اكثر تحد وحماسة. افضل الابحار بواسطة الشراع والرياح واعتقدت انك قد تهتمين.»

نظرت اليه وعيناها تلمعان وقالت:« آه، انه كذلك، شكراً لك. لم أبحر الا في قوارب نقل من قبل.»

سأل والاهتمام واضح في عينيه:« ماذا؟ الا يأخذونك في قوارب جميلة عندما تقومين بعملك؟»

قالت بجدية:« اعمل بجد، وليس مجرد السير بخطوات متمهلة وانا ارتدي ثياباً جميلة. انه عمل صعب واحياناً غير مريح على الاطلاق.»

استدار واخذ يراقب وجهها باهتمام وهو يقول:« ألم تفكري في التخلي عن عملك؟»

« هذا هو العمل الذي اتقنه، وعملت به منذ فترة طويلة حتى الآن. بالطبع، يوماً ما قريباً، سأصبح كبيرة جداً وعجوزاً على ما اتوقع للقيام به.»

« لا اتخيل ذلك، ستيفاني.» ضحك قبل ان يتابع:« مع ان الامر لا يهم. ستتزوجين وتكونين زوجة رائعة لشخص ما.»

« لا اعتقد ذلك. فأنا احب ان ابقى حرة. في كل الاحوال، لن يكون هذا خياري الوحيد.»

نظرت اليه لكنها ابعدت نظرها بسرعة. انه يبدو رائعاً جداً. يتطاير شعره الداكن على جبهته وعيناه تبدوان اكثر

غموضاً وهو ينظر الى البعيد. يبدو انه مرتاح جداً على هذا القارب، لكن قد يبدو مرتاحاً هكذا في اي مكان آخر.

قالت بصوت عال:« اذا تزوجت، لن تجبر ان تمضي وقتك بحماية اطفال غيرك وتهيئة المدرسة المناسبة لهم. سيكون لك اطفال منك تحبهم وترعاهم.»

شعرت انه حان الوقت للتحدث عن جان – بول وباريس وقد رأت ان هذه هي الفرصة المناسبة.

نظر اليها بروية مما جعلها تحمر خجلاً وهو يقول:« هل تعرضين علي فكرة الزواج بك؟»

لقد اوقعت نفسها بهذا المأزق من دون تفكير.

« لا مجال لذلك! فقط احاول ان انظم لك مستقبلك. انني حيادية جداً.»

سأل بنعومة وهو يحدق بها:« انت لا تقصدين ان تتدخلي بشؤوني الخاصة؟ لقد قلت لنفسك، انه في الخامسة والثلاثين من عمره. وأتساءل لماذا لم يتزوج بعد وينشىء عائلة خاصة به؟ بكل أسف، لا استطيع اخبارك بقصة حياتي.»

« اني متأكدة انني سأشعر بالملل. لا بد انها كانت فكرة سخيفة.»

تمتم بسخرية:« بالطبع كذلك. وانا أيضاً افكر أحياناً بطريقة سخيفة. فأنا لن امانع ابداً من انشاء عائلة، ففكرة اطفال جميلين، لديهم شعر فضي وعيون واسعة أمر مغر جداً. لكن المشكلة ستكون انني سأجبر على البقاء مع والدتهم، اليس كذلك؟ فهي ستحتاج الى انتباه دائم والى تعنيف مستمر لتبقى بعيدة عن المشاكل. وليس لدي الوقت لمثل هذه الامور.»

قالت تؤكد له وقد لاحظت كلامه الساحر:«كنت افكر بدنيز.»

« حقاً؟ لا تزعجي نفسك. فأنا افكر بها طوال الوقت.» نظر اليها بمرح وشعرت برغبة كبيرة في ان تصفعه. كانت تشعر بالرعب من قدرته على جعلها تشعر بالالم من كلامه.

قالت بغضب:« ولا امرأة في كامل عقلها ترغب بالارتباط بشخص مغرور ومسيطر مثلك.»

قال وهو يبتسم برضى:« أوافقك الرأي. لكنك لست في كامل عقلك بالتحديد، اليس كذلك، حلوتي؟» واستدار مبتعداً.

حدقت ستيفاني به بغضب. لم يكن هناك من حاجة للمحاولة ان تسخر منه. انه يتمكن من الدفاع عن نفسه بصلابة جارحة. عليها ان تترك موضوع مستقبل جان – بول لفيونا. ليس من الحكمة ان تتدخل وقد تجعل الامر اكثر سوءاً.

• • •

لم تكن ستيفاني يوماً في المارتينيك من قبل فنظرت عبر البحر اليها باهتمام كبير، على الرغم من المرارة التي تشعر بها. فكريستيان اتى الى هنا ليأخذ معه دنيز. تساءلت ان كان يخطط للحصول على عائلته الرائعة ويبقى على علاقة مع دنيز في ذات الوقت. من المحتمل ان هذه هي العادة في عالمه الثري.

ما ان اصبحت الجزيرة تحت انظارهم حتى بدا عليه الضيق ولم يصبح بطريقة افضل عندما استدعيوا لتناول الطعام.

قال بضيق:« اذا تناولنا الطعام الآن، سنكون اكثر حرية عندما نرسو. لدي عدد من الاعمال وسأدبر امر نقل الامتعة الى المطار. مع قليل من الحظ سنتمكن من الرحيل بعد ظهر هذا اليوم او في صباح الغد.»

سألت بهدوء: « الى اين سنستقل الطائرة؟» مع انها لم تنس اصراره على ان تبقى مع جان – بول حتى نهاية المسألة.

قال باختصار: « باريس، من السهل علينا الانتقال من هناك الى لندن.»

قالت ستيفاني عندما غادر جان – بول غرفة الطعام وخرج ليراقب البحر والطاقم المشغول.

« انا لست مليونيرة. واشك انني استطيع البقاء في باريس، الا اذا عملت لأتمكن من الحصول على تذكرة السفر كتنظيف سطح القارب.»

قال وهو ينظر اليها: « انت معي. وسأهتم بذلك، في المارتينيك اذا اضطررنا للبقاء لليلة واحدة وفي باريس ايضاً. وبعدها سأعيدك الى لندن عندما اتأكد من انتهاء كل شيء.»

قالت بحدة: « انا كبيرة كفاية لأسافر لوحدي. واذا كنت قلقاً يمكنك وضع قلادة على عنقي.»

اجاب بغضب: « افضل ان اضع شالاً على فمك لاوقف كلامك الدائم والمزعج. لدي اعمال في لندن وكما يبدو انني تركتها لفترة طويلة . يمكن لجان – بول ان يرافقنا وهكذا سنوصلك الى منزلك او الى حيث تريدين.»

هذا ما اسعدها. هكذا تتمكن من رؤية جان – بول لفترة اطول وفي منزلها ايضاً. بدا عليها السرور بوضوح فرمقها بنظرة شك وهو يقول محذراً: « عندما نصل الى المارتينيك لا اريد اثارة المشاكل. ولا اريدك ان تخبري دنيز اننا قبضنا على افراد من العصابة.»

قالت بسرعة: « لا مجال لذلك. فأنا والسيدة باسكال لانقارن

بحدود الصداقة حتى. ولن يركض جان – بول اليها ليخبرها باي شيء، لذلك يمكنك ان تشعر بالراحة، فأنا مدركة تماماً لطبيعة دنيز الرقيقة. وعندما تعود بها بسلام الى باريس ستسعد تماماً، بلا شك ـ فقد عادت الى بلاد الحضارة.»

قال بسخرية: « ربما، سننتظر ونرى، في الوقت الحالي، ستيفاني كاين، تذكري فقط بجانب من تقفين.»

قالت بنعومة وهي تدير رأسها: « لم انس مطلقاً، انا بجانب جان – بول. وعدا ذلك، انا فقط احافظ على وجودي.»

قال لها مصححاً: « بالكاد انت كذلك، تذكري انك من دوني كنت لا تزالين معلقة على الشراع بطريقة غريبة.»

انحنى لها بتهذيب مصطنع وابتعد عن ظهر السفينة.

بعد مرور نصف ساعة ستراقبه يجتمع مع صديقته. وان ازعجتها دنيز ستخبرها انه قبلها. ابعدت هذه الفكرة عن رأسها بسرعة. وعلمت انه لا يحاول التقرب منها لأنه ان فعل ان تبقى موجودة على الاطلاق.

رست « ملكة البحر» تماماً خارج المرفأ الرائع واقترب كريستيان منها ليعطيها آخر الاخبار.

« ليس هناك من رحلة الى باريس اليوم. وعلينا الاسراع بشكل كبير للالتحاق بآخر واحدة بعد قليل لذلك من الاسهل علينا ان ننتظر حتى الغد. سنبقى في القارب ونغادر عند الصباح.»

هزت ستيفاني رأسها موافقة وهي تخفي خيبة املها من عدم قدرتها بالتجول في ذلك المرفأ الرائع الذي تراه عن بعد.

قال بهدوء، وهو يراقب تعابير وجهها: « سيكون هناك اوقات اخرى لتري فيها المارتينيك، تذكري انه لا يزال هناك

خطر ما وانتما هنا بأمان. علي الذهاب الى الشاطىء لكنني سأعود. ابقي مع جان – بول. فأنا احتاج اليك هنا.»

« بالطبع.» واستدارت لتغادر لكنه تمتم بعض الكلمات بضيق وامسك بذراعها وادارها لمواجهته ثانية.

قال بصوت محبط:« لا بد انك اكثر الناس ازعاجاً، لم اقابل احداً مثلك طوال عمري. انت امرأة ناضجة، تقومين بعمل يتطلب جرأة وصبراً، وتظهرين شجاعة كبيرة عند الحاجة ومع ذلك تجعلينني اشعر بأنني وغد لأنني لم اختار اصطحابك معي لرؤية المارتينيك، ممسكاً بيدك ولأشتري لك بالوناً.»

قالت تؤكد له بعصبية:« اذا كنت تشعر بأنك وغد فلا علاقة لي بالأمر.»

ارادت الذهاب لكنها لم تستطع فتابعت:« لا ادري من اين اتتك هذه الافكار بأنني ارغب بالذهاب الى هناك. في كل الاحوال، استطيع تدبر امري جيداً من دون ان ارى اتحادك الدرامي مع السيدة باسكال.»

تمتم بغضب:« اذا قلت لك انك تبدين غيورة، من دون شك ستنفجرين بالغضب والصراخ. هناك اشياء كثيرة لا تعلمينها. وانا اتبع خطة ولا شيء سيمنعني من اكمالها، حتى ولا تعابير خيبة الأمل على وجهك.» ترك ذراعها وهو يتابع:« فكري كما تشائين لكن ابقي هنا وراقبي جان – بول. يمكنك التأكد من انني سأعود قبل حلول الظلام. فأنا لا اجرؤ على تركك في ذلك الوقت. فقد تصنعين زورقاً وتغادرين في المجهول.»

خرج فحدقت به ستيفاني وهي تتنهد. لا يمكنها ان تعلم سبب انزعاجه، فهي لم تطلب اي شيء، حتى انها أخفت خيبة

أملها. انها تفضل النوم على ظهر الباخرة من النوم في فندق وتجبر فيه على رؤية دنيز باسكال.

لدى كريستيان طريقة غريبة في الوصول الى افكارها. كانت ترغب في رؤية المرفأ لكن اكثر ما كان يهمها هو الذهاب معه، اما بالنسبة لشعورها نحو دنيز – حسناً، لقد كانت تشعر بالغيرة ومن عدم الجدوى انكار ذلك.

ساد الصمت بعد ذهاب كريستيان. ولم يعد للعشاء وبعد ان تناولت العشاء هي وجان – بول بمفردهما جلسا على ظهر الباخرة يراقبان اضواء المرفأ حتى ساعة متأخرة. بعد ذلك، جلست ستيفاني بمفردها وافكارها تعود الى كريستيان ودنيز على الرغم منها. لا بد انه تناول العشاء معها ولم يستطع العودة وتركها وحيدة. لقد وعد بالعودة قبل الظلام لكن يبدو بوضوح انه لا يستطيع الابتعاد عنها.

ذهبت الى سريرها وهي تشعر بالانزعاج لذلك لم تستطع النوم، كانت لا تزال مستيقظة عندما سمعت صوت محرك لقارب سريع توقف بهدوء قرب القارب. بعدها لم تسمع شيئاً، فجلست وهي تحاول الاصغاء بشدة. ربما ليس كريستيان. ربما عادوا الى الخطر. لقد قال انه تم القبض على اثنين منهم وان هناك شخصاً ثالثاً عليه الاهتمام به بنفسه. كيف له ان يعرف ذلك؟ وكيف له ان يحصي عددهم؟

وعندما لم تسمع شيئاً آخر نهضت بهدوء من سريرها. فحقيقة ان رجال كريستيان في السفينة لا تعني لها شيئاً. فهي لا تشعر بالامان الا بوجوده. كما وان جان – بول ما زال بمفرده هنا تماماً كما كان في المنزل.

ذهبت لرؤيته فوجدته نائماً بسلام لكنها شعرت بمزيد من

الهدوء في القارب وهذا ما زاد في اضطرابها. صعدت الى ظهر السفينة بهدوء، وتوقفت وهي كالمصدومة عندما رأت شخصاً واقفاً ينظر الى البحر. كان الشخص في الظلام، مختبئاً من ضوء القمر ومع انه قد يكون من رجال الطاقم لكنها كانت متوترة جداً.

زحفت الى الامام وهي لا تدري ما الذي ستفعله اذا كان هذا الرجل احد افراد العصابة، لكن قبل ان تقدم على اي تصرف سمعت صوتاً تعرفه يقول « لا تهاجميني. فأنا غير مسلح.»

ابتعد كريستيان عن المكان المظلم، ووقف تحت ضوء القمر ونظر اليها. ثم قالت بعصبية، لأنها غاضبة بسبب خوفها كما وانه كان مع دنيز: «لماذا تقف هناك كاللص؟ فلم اكن اعلم من القادم، ولماذا عدت وانت تتصرف بكل هذا الهدوء؟»

قال:« أشك بأن اللصوص سيضيعون وقتهم بمراقبة انعكاس ضوءالقمر على الماء. اما بالنسبة الى الهدوء والصمت، ماذا كنت تريدين مني، ان انهض كل من في القارب؟ اعتقدت انني بذلك اظهر بعض الاهتمام.» ورمقها بنظرة ساخرة فنظرت اليه وقد اشتد غضبها، وهي تشعر بالاحباط من فرحه الواضح.

قالت بغضب:« كان عليك العودة قبل حلول الظلام كما وعدت! ألم يتم القبض عليهم بعد؟»

قال بصوت واثق وهو يعاود النظر الى البحر:« انهم كالمقبوض عليهم الآن، أما بالنسبة للعودة باكراً، فكان ذلك مستحيلاً. اعلم ان الوضع هنا بأمان.»

« نعم، تعلم انني سأعمل على حراسته بينما انت... بينما انت...»

قال بسرعة، وهو يستدير لمواجهتها:« بينما انا ماذا؟ انت لا تملكين ادنى فكرة عما كنت افعله على الشاطىء.»

« علي فقط ان استعمل مخيلتي. ويمكنني ان اعرف من دون اية وسائل لأتكهن انت جاهز تماماً لتترك جان بول في خطر عندما تكون مع تلك المرأة.»

قال وهو يمسك بكتفيها ويهزها:« الا يمكنك السيطرة على لسانك السليط هذا؟ لقد قلت لي انني لا اعرفك. وانت ايضاً لا تعرفينني، آنسة. لو انك تعرفينني بصورة افضل لما كنت تبحثين دائماً عن دوافع أنانية لكل ما اقوم به.»

« انا لا اهتم مطلقاً بما تفعله!» ابتعدت عنه لتغادر لكنه امسك بيدها قبل ان تتمكن من السير اكثر من خطوتين.

قال:« آه، ستيفاني، تعالي! انت تقودينني الى الجنون. لم انت على ظهر الباخرة، هكذا؟ ولم تتدخلين دائماً بشؤوني وبدوافعي وبعدها تصرخين انك لست مهتمة بأي شيء افعله؟»

« لأنني لست كذلك.» لم تستطع ان تتحرك لكنها رفضت ان ترفع نظرها اليه لكنه استمر ممسكاً بيدها بلطف وحنان.

قال بصوت مضطرب:« لا تكذبي، صغيرتي. نحن نهتم كثيراً لبعضنا. انت تحاربينني لانك تخافين مما تشعرين به تجاهي وانا ابقيك بعيدة قدر المستطاع عني.»

قالت وهي تبدو حائرة:« انا .. انا لا افهم...»

قال بنعومة:« انت تفهمين. ولقد فهمت ذلك منذ البداية. ولهذا تحاربينني بقوة، لأنك تخافين من التوافق معي وكأنك ستهبينني روحك. اعترفي بذلك، ستيفاني.»

قالت بقوة:« هذا غير صحيح.»

«انها الحقيقة. وانا اتهجم عليك لذات السبب. لا يحق لي ان افكر بك.»

«انت لا تفعل. انت تكرهني ... و... ودنيز...»

قال بلهجة متوسلة: «لا، لا عزيزتي، ستيفاني.»

قالت وهي تبتعد عنه: «انك مزعج. هل تتقرب من كل امرأة تراها؟ هل تعرف دنيز بذلك؟»

شعر وكأنها صفعته على وجهه وغابت نظرات الحنان والشوق في عينيه الى غضب وقال بخشونة: «لدي عدة نقاط ضعف، آنسة، لكن النساء ليست منها. عودي الى سريرك قبل ان نقول شيئاً آخر لبعضنا. فلا يزال امامنا الغد ومن اجل مصلحة جان – بول علينا التصرف برقي وحضارة.»

ابتعدت ستيفاني وهي تكاد تبكي، غير مدركة ان ذلك يبدو بوضوح عليها. وضع يده على كتفها وقال: «ستيفاني. اني آسف. لم اقصد ازعاجك. لا يمكنني ان اسبب الاذى لك. اشعر بحاجة لحمايتك كما احمي جان – بول لكن انت لا تفهمين.»

همست ستيفاني: «انت على حق. انت دائماً تحاول التقليل من شجاعتي وتتصرف وكأنك شخص عدائي. واعتقد ان ما قلته الليلة نوع آخر من الهجوم.»

سمعته يزفر بقوة ويبعد يده عنها. لقد قالت له كلاماً مريراً. ولم يتكلم ابداً عندما غادرت. لا يفيدها ابداً أن يراها تبكي. فهذه ليست الصورة التي اعطته اياها. احتفظت بدموعها حتى عادت الى غرفتها حيث انفجرت بالدموع على وسادتها.

الفصل التاسع

في صباح اليوم التالي، شعرت باحساس حزين يغمرها وهي تغادر «ملكة البحر» لتصعد الى القارب السريع لينقلها الى جزيرة المارتينيك عاصمة الحصون الفرنسية والى مرفئها المشغول دائماً. لم يتحدث كريستيان كذلك جان – بول، بعد ان راقبهما بنظراته المشعة بالذكاء، غرق في الصمت ايضاً. كان من الصعب عليها ان تبدو سعيدة مهما حاولت القيام بذلك.

كانت تبدو شاحبة على الرغم من اسمرار بشرتها وبعد القاء نظرة واحدة على كريستيان علمت انه لن يسامحها على الكلام الذي قالته له البارحة. قالت لنفسها انها لا تهتم لكنها كانت تعلم انها تكذب على نفسها. فهي تهتم له بشدة. وهي منجذبة اليه، وترغب في النظر اليه طوال الوقت، تريد اهتمامه بها وان تكون بقربه. كان هناك احساس بالقدر، وكأنه كتب لها هذا منذ زمن طويل.

ضغطت على شفتيها وابعدت نظرها عنه. لم تتجرأ على ان تقابل نظرته الباردة وسيكون من الافضل لها عندما تصبح حرة للعودة الى حياتها السابقة. ستتمكن من التخلص من ذكراه عندما تتوقف عن رؤيته. علمت انها لا تستطيع البقاء في باريس، ولن تشاركه الاهتمام بجان – بول. فستكون دنيز هناك، بقربها، دائماً مع كريستيان، وهي لن تتحمل مواجهة ذلك ولو لمرة واحدة.

لكن عليها ان تفعل ذلك، عندما يرسو في المرفأ. لقد عمل كريستيان على تنظيم ذلك وان كانت لا تزال ترغب بالتجول في المرفأ فستصاب بخيبة امل اخرى. كان هناك سيارة بانتظارهم وقد تم نقل الامتعة بسرعة قصوى ما ان طلب منهم الانتقال الى السيارة.

قال جان – بول عندما رأى ان ستيفاني لن تقول شيئاً:« هل سنبقى في الفندق، عمي كريستيان؟»

قال كريستيان بهدوء:« لا، لن نفعل، لقد وقتنا وصولنا حتى نتمكن من المغادرة على الفور. اننا ذاهبون فوراً الى المطار. هناك طائرة ستقلنا الى باريس.»

نظر الى ابن اخيه، وابتسم متضايقاً وهو يتابع:« اننا عائدون الى بلادنا.»

بدا على جان – بول انه خائف او هكذا رأت ستيفاني. ففرنسا ليست بلاده، لكن كريستيان سيعمل على ان تصبح بلاده بشكل نهائي. في هذا الوقت، لا يجد جان – بول والديه قربه وهي تشعر بالذنب لانها ادركت انها تهتم لمأساتها وتتجاهل قلق هذا الولد الصغير.

قالت:« باريس رائعة. انها مكان مشوق، ستحبها كثيراً.»

قال بقلق:« هناك عدد كبير من الناس يستطيعون اختطاف عمي كريستيان.»

وقبل ان يتمكن كريستيان من الاجابة تدخلت ستيفاني بسرعة قائلة بحزم:« لقد تم القبض عليهم كلهم.»

قال:« كلهم؟» وبدا عليه الارتياح فجأة ولم تهتم ستيفاني لانها تكذب.

فقالت له مؤكدة:« كلهم اصبحوا في السجن.»

« اذاً يمكننا جميعاً الخروج، ستيفي؟ يمكننا القيام بعدة نزهات في باريس؟»

وظهر الفرح على وجهه فجأة لكن ستيفاني لم ترغب في ان تكذب عليه اكثر.

قالت بهدوء:« يمكنك الخروج في نزهات كثيرة مع عمك كريستيان، علي العودة الى بلادي.»

« ستتركينا، ستيفي؟» مزق سؤاله هذا قلبها لأنه كان قريباً جداً من الحقيقة. فهي لم تكن تترك فقط الولد الصغير، بل ايضاً كريستيان، وصمته القاسي اعلمها انه لاحظ السؤال البريء بكل تأكيد.

قالت بلطف:« انا اعمل، جان – بول. وفي عملي لا يحق لي الغياب كثيراً والا سينسى الناس وجهي.»

سأل جان – بول مستغرباً:« كيف يمكن ان ينسى وجهك؟ انه اجمل وجه في العالم كله. هذا ما أراه، كذلك والدي، حتى امي توافق على ذلك. انه اجمل وجه في العالم، اليس كذلك، عمي كريستيان؟» قال ذلك واستدار نحو عمه الذي كان يجلس حزيناً قربهما في السيارة.

لم يكن لدى كريستيان الخيار. استدار وابتسم لابن اخيه واخذ ينظر على مهل الى وجه ستيفاني المتوتر. كان من الافضل لها لو لم يحدث ذلك.

تمتم كريستيان بضيق:« نعم، انه اجمل وجه في العالم. كلنا نوافق على ذلك.»

استدار نحوها بفرح وقال:« أرأيت؟ لن ينساك احد، ستيفي. يمكنك القدوم وانت مرتاحة الى باريس.»

« مرتاحة!» لن تكون مرتاحة ابداً بالقرب من كريستيان

لكنها تمكنت من الابتسام قبل ان تقول واعدة:« في يوم ما قريباً. لدي عمل اقوم به. وانا اعمل كي اعيش ولا استطيع ان اتجاهل تلك الحقيقة.»

توقف عن ذكر الموضوع وهذا ما انقذها لكنها علمت انه فعل ذلك بسبب وصولهم الى المطار وانه سيعيد الكرة. هناك الكثير من كريستيان في شخصية جان – بول، ذات التصميم ليحقق ما يريده. خرج كريستيان من السيارة وما ان اصبحا جاهزين للحاق به توقف فجأة جان – بول عن الحركة وانحنى ارضاً.

قال بهدوء، في اذنها:« انها هنا، انها هنا بانتظارنا. انظري، ستيفي السيدة باسكال. انها ذاهبة الى باريس معنا. لا يمكنك تركي عندما نصل الى هناك. اذا ذهبت تلك السيدة للعيش مع عمي، سأهرب.»

لم تستطع التفكير بأي شيء تقوله لأنها تعلم تماماً شعوره. وعندما اقتربت دنيز منهم ارادت ان تستدير لكن لم تستطع ان تبعد نظرها عنهما.

تنهدت دنيز قبل ان تقول:« آه، كريستيان. وكأنه مر وقت طويل منذ ليلة البارحة.»

اغمضت ستيفاني عينيها لكنها مع ذلك لم تكن سريعة بما فيه الكفاية فلقد رأت كيف ضمها كريستيان وقبلها. شعرت بالانزعاج، وكل الذي ارادته هو ان تبتعد عنهما وان لا تراهما ثانية.

صرخ جان – بول:« ستيفي؟» فتنهدت بعمق، محاولة ان تستجمع كل شجاعتها.

همست قائلة:« اعتمد علي، اذا بقيت هنا سأبقى انا ايضاً.

فقد اجدك في ايامي الصعبة. ومع قليل من الحظ، قد تجد من يخطفها بعيداً.»

ضحك جان – بول بفرح وراحة بعدها استدار نحوها وضمها اليه بقدر ما استطاع.

قال بوضوح:« احبك، ستيفي.» في تلك اللحظة وصل نحوهما كريستيان وظهر الضيق على وجهه لسماعه كلام جان – بول. فكر بلا شك انها تقحم نفسها ثانية حيث لا وجود لها.

قال بحزم:« لقد حان وقت انطلاق الطائرة، تعال جان – بول سأصطحبك معي.»

قال جان – بول بعناد:« اريد الذهاب مع ستيفي.» ونظر بحزم الى العينين الزرقاوين المشعتين وعلى ملامح وجهه قليل من التحدي وهو يتابع:« سأجلس بقربها طوال الطريق.»

اجاب كريستيان بهدوء:« لا اشك بذلك، واذا كانت لديك خطط اخرى فأنا متأكد انك ستعملين بها.» واشار اليهما بالتقدم فأمسك جان – بول بيد ستيفاني. انه الآن يشبه تماماً كريستيان اكثر من فيونا. فهو لم يتأفف او يتذمر او يتحدث بطرق ملتوية، فقط قال ما يريده بكل وضوح وقوة.

رأت ستيفاني الضيق على وجه كريستيان فرفعت حاجبيها. من المحتمل انه اعتقد انها خططت لكل ما قاله جان – بول. وان لم تكن مخطئة، سيعمد على السيطرة تماماً على ابن اخيه، وما ان نظرت الى دنيز كيف تتعلق بذراعه حتى شعرت بالفرح لما حدث. مهما يكن، ستعود فيونا بعد فترة قصيرة وعليه ان يحاول بقوة كي يتمكن من التعامل معها بطريقته المسيطرة هذه. ستصرخ، ستبكي، وستتأفف،

لينتظر حتى يمضي بعض الوقت معها. سيسعدها ان ترى ذلك. فاذا اعتقد انها ستصيبه بالجنون، لينظر حتى يمضي بعض الوقت مع فيونا.

كانت مقاعدهم مواجهة لبعضها البعض وتركت ستيفاني المقعد بجوار النافذة الى جان – بول، وهي متضايقة لانها وجدت نفسها تواجه كريستيان. الذي لم يلاحظ وجودها. فقد كان مأخوذاً بدنيز، التي جلست وهي تمسك بذراعه. كانت تبدو سعيدة جداً بنفسها هذا الصباح، فاستدارت ستيفاني مصممة ان لا تنظر اليهما ثانية. مما لا شك فيه ان دنيز ترغب بالعودة الى باريس، تبقى بقرب كريستيان دائماً. اغمضت ستيفاني عينيها وعضت شفتها بقوة. لقد وعدت للتو جان – بول انها ستبقى معه اذا بقيت تلك المرأة، لكن كيف يمكنها القيام بذلك؟»

ففي الدرجة الاولى لن تستطيع تحمل رؤية كريستيان برفقة امرأة اخرى طوال الوقت. ومن ناحية ثانية، لم يقترح عليها ابداً اليوم بأن عليها البقاء معهما. وهي لا تستطيع ان تصر. وها هي ثانية تضع نفسها في مكان لا تستطيع التخلص منه. بدا التوتر على وجهها اكثر فأكثر.

« هل انت بخير؟» فتحت ستيفاني عينيها لتجد كريستيان منحنياً فوقها، ويحدق باهتمام بوجهها.

قالت بهدوء وببرود:« نعم، شكراً لك. انا لا اخاف من الطيران. فأنا اتنقل كثيراً خلال عملي.»

قال باصرار:« تبدين شاحبة.» تمنت لو انه يتركها وشأنها، ان يعود الى صديقته ويتجاهلها وهكذا ستتمكن من نسيانه ولو لدقيقة.

قالت باقتضاب:« انني متعبة، سأنام في معظم الرحلة.»

قال ببرود مماثل:« كما تشائين، آنسة. يمكنك ان تتأكدي انني سأهتم بابن اخي.»

تمنت لو انها صمتت قبل ان تتفوه بمرارة:« او ان السيدة باسكال ستفعل؟»

تمتم ببرود:« كما أشرت من قبل. انها لا تتمتع بصفات الامومة. لكن لا يهم، مهما يكن فلديها اهتمامات اخرى.»

ادارت ستيفاني رأسها، وقد ازداد وجهها شحوباً لكنه لم يحاول التكلم معها ثانية. وقبل ان يمضي وقت يذكر، اغمض جان – بول عينيه وعندما تأكدت من انه مرتاح اجبرت ستيفاني نفسها على النوم. فهي لم تنم جيداً ليلة الامس، اليأس والشوق الكبير اللذان تشعر بهما ابقياها مستيقظة والآن انزلت مقعدها الى مستوى مقعد جان – بول ونامت. كان ذلك، المهرب الوحيد لديها، بعد كل شيء.

شعرت بالراحة عندما علمت انهم يهبطون في مطار باريس. تمكنت ستيفاني من النوم لبعض الوقت لكنها لم تتمكن من الهروب من كريستيان او ان تتخلص من سماع صوت دنيز وهي تتكلم معه. كانت تشعر بالالم من طريقة كلامها المغناج وكيف يرد عليها كريستيان بنعومة وبضحك متواصل.

ما ان اصبحوا في المطار حتى شعرت ستيفاني ان عليها الهروب ولا يهمها ما الذي سيحدث كما انها كانت جاهزة لتثير المشاكل من اجل مصلحة جان – بول. لقد اتخذت قرارها. ستعرض عليه الذهاب معها الى لندن وستخبر كريستيان على الفور ان جان – بول لن يرضى ابداً بالبقاء قرب تلك المرأة.

لم تحظى بالفرصة كي تقول اي شيء. فهناك التحضير لعملية الهبوط، والطريقة التقليدية نحو الجمارك بعدها اصبحوا جاهزين لاخذ امتعتهم. لم ترد ستيفاني ان يتولى كريستيان امر امتعتها وقد كانت متوترة عندما ذهبت لتستلمها.

قالت عندما اقترب كريستيان ليحملها عنها:« سأهتم بنفسي وبأغراضي.»

قال بصوت منخفض:« لقد قلت لك ــ لا مشكلة! لدي أشياء اقوم بها، أشياء لا تستطيع الانتظار.»

قالت بحدة:« انا ايضاً لا استطيع الانتظار، حتى انني لن اغادر المطار، واول طائرة ستغادر الى لندن، سأستقلها.»

صمت كريستيان وقد اصيب بالدهشة، ضاقت عيناه وهما تشعان بالغضب لكن ستيفاني لم تستطع التوقف. كانت تشعر باليأس، والألم. حتى في هذا الوضع لا يركز نظره عليها ــ انه ينظر بصراحة نحو دنيز، التي وقفت بعيدة عنه. كان يبدو عليه انه خائف لأنه قد يفقدها وهذا ما زاد من مرارتها.

قالت بتصميم:« سآخذ جان ــ بول معي.» عندها ركز انتباهه تماماً عليها.

امسك بذراعها بقوة وهو يقول:« لن تفعلي!» ابعدت يدها عنه بسرعة غاضبة قائلة:« هل تعتقد انه يرغب بالبقاء معك ومع تلك المرأة؟ لقد اخبرني انه سيهرب. انت تشبه الخاطفين بتصرفاتك معه وفيونا وتيري لا يريدانه في باريس معك. انهما لا يريدان ان يعامل ابنهما كمشروع او ان يصبح صورة ثانية عنك.»

قال ببرود:« اذاً عليهما قول ذلك لي بنفسيهما. وفي الوقت

الحالي، سيبقى معي وحاولي ان تأخذيه، آنسة، وسأعمل على القبض عليك.»

قال ذلك بكل برود وبكل صراحة مما جعلها تصمت نهائياً. لم تشك مطلقاً انه يقصد ما قاله ومن سيصغي اليها ان حدث ذلك؟ فكريستيان، في نهاية الامر، لديه حقوق اكثر منها، وخاصة في فرنسا.

قال عندما لاحظ انها غير قادرة على الاجابة:« بما انك مصممة على ان تكوني مستقلة. احضري حقائبك وتعالي لتودعي ابن اختك. مرة ثانية، انه يقف حزيناً يراقبنا نتشاجر. قد اكون قاسياً كما تتخيلين، آنسة، لكن لا اسبب له اي حزن.»

استدار، وسار نحو جان ــ بول، الذي كان يبدو على شفير البكاء، فأمسك بيده بقوة. بعدها امسك بيده الثانية ذراع دنيز، التي ابتسمت له متعاطفة لوضعه. لقد رأت خلافاً ثانياً بينهما فهزت رأسها بأسى وامسكت بيدها كريستيان.

رأت ستيفاني كيف شد يده عليها وقررت الهرب. لكن كل الذي تستطيع فعله هو ان تلحق بهم، فوضعت حقائبها على عربة، وقلبها يضطرب من الحزن. لم تستطع التصديق انه انتهى الامر، وانها لن ترى كريستيان ثانية.

عندما رفعت نظرها، رأت عدة رجال شرطة يسيرون باتجاههم وبعد نظرة غير مبالية عادت لتحدق بهم. كانت عيونهم مسمرة عليها ولم يكن هناك من شك انهم يسيرون باتجاهها ليتحدثوا معها. توقف قلبها وهي تفكر بسرعة كبيرة. هل توقع كريستيان رد فعلها في باريس؟ هل شك انها ستحاول اخذ جان ــ بول معها؟ هل يتعلق الامر بفيونا؟ هل هناك اسوأ من ذلك؟

وقفت هادئة تماماً. حتى جان – بول راقبهم بقلق واضح على وجهه وفجأة علمت انه لسبب ما سيلقون القبض عليها.

كان كريستيان يراقبهم ايضاً، ويده تشد بقوة على ذراع دنيز ونظرة من الرضى واضحة على وجهه. وعندما اقترب رجال الشرطة من ستيفاني لم تتفوه بشيء بينما كان كريستيان يراقب ببرود.

قال قائد الشرطة: «سيدتي.» وهو ينظر بقسوة الى ستيفاني لكن قبل ان يكمل اقترب منه كريستيان، وهو يمسك بدنيز.

قال بهدوء: «انا كريستيان ديوراند.»

«نعم، سيد ديوراند. لقد لاحظناك وهكذا علمنا...»

قال كريستيان بوقار: «لا انتم لم تعلموا، فأنت تنظر الى الاتجاه الخاطىء. هذه هي السيدة باسكال.»

وتلك اليد التي كانت تمسك بها باهتمام واضح تحولت الى قبضة من حديد وهو يقدمها الى رجال الشرطة.

«كريستيان؟ ما الامر؟» قالت ذلك وابتسمت ابتسامة مرتبكة لكنها لم تتلق اية اجابة من كريستيان.

قال ببرود: «هذه نهاية القصة. كان الامر مسلياً لكنه انتهى.»

تولى رجل الشرطة زمام الامور وقال: «دنيز باسكال، انت موقوفة.» وترك كريستيان ذراعها عندما امسك بها احد رجال الشرطة.

سألت بطريقة هستيرية: «كريستيان؟ هل هذا شيء من مزاجك الغريب؟ لقد سئمت مني فأردت التخلص مني بالسجن؟ اعلم انك قوي ومسيطر لكن لم اعلم ابداً انك مجنون. انت الآن تهتم لتلك الفتاة الانكليزية؟»

قال بوضوح: «انا لا اهتم لأحد، ولدى الآنسة كاين عمل واحد – ان تساعدني بالقبض عليك. لم يكن الامر مزحة، وان كان كذلك فهذا اقسى مزاح عرفته. لقد اعدتك بسلام الى فرنسا، سيدتي، وهذا هو المكان الذي اريدك فيه. من الآن وصاعداً انت لست تحت مسؤوليتي. فأنا اعرف ان القانون لديه عقوبات صارمة نحو من يهدد بالخطف.»

قالت غاضبة: «انت – انت بلا شك فقدت عقلك!» كانت جاهزة للصراخ لكن بعد نظرة الى وجه كريستيان البارد تلعثمت وتابعت: «بعد كل ما جرى بيننا ...» وانهمرت دموعها، لكن كريستيان استدار وقد فقد صبره.

قال: «يمكنك ان تتذكري ذلك وانت في السجن. شركاؤك سيكونون معك فهناك الكثير من الامور ستبحث في المحاكمة.»

قالت بشراسة: «لا دليل لديك.» لكنه ابتسم لها تلك الابتسامة الباردة التي تراها دائماً ستيفاني على وجهه.

قال مؤكداً لها: «لقد كنت اجمع الادلة منذ فترة طويلة، حتى قبل ان تدخلي حياتي. كنت اتوقع وصولك، سيدتي، انت او اي شخص يشبهك. كل ما كان علي فعله هو ان ابقيك بقربي حتى امسك بالآخرين. والآن امسكنا بكم جميعاً.»

راقبت ستيفاني وهي تفتح فمها من الدهشة، بينما كانت دنيز تقاوم بقوة، وكل تصرفاتها الناعمة قد اختفت.

سأل جان – بول بدهشة ورجال الشرطة يقودونها بعيداً: «كانت واحدة منهم؟ السيدة باسكال كانت ستخطفك، عمي كريستيان؟»

قال كريستيان بسخرية، وهو ينظر الى ابن اخيه: «حسناً،

كانت تعلم انها بحاجة للمساعدة. فأنا لا اتخيل انها قادرة على وضعي في حقيبة بمفردها.»

قال جان – بول بصراحة:« لم احبها أبداً. وهذا واضح الآن، ستيفي ايضاً لم تحبها.»

فجأة نظر الى الأمام واخذ يلوح، قال فرحاً:« ها هو اندريا.»

ارادت ستيفاني منعه لكنه كان يركض نحو رجل فرنسي سمين كان يشير اليه.

قال كريستيان بحذر:« اندريا هو سائقي، وجان – بول بأمان لا تحاولي منعه او التأثير عليه بأية وسيلة. ستجعلينه تعيساً ولن اسمح لك بذلك.»

نظر اليها ببرود وسألت، وهي تستعيد الاحداث التي فاجأتها:« كنت تعلم؟»

« اجل .»

« كنت تعلم منذ البداية.»

« طوال الوقت، آنسة.» استدار، وهو يبحث وكأنه فقد صبره، ليشير الى من يحمل له الحقائب.

قالت بهدوء:« في كل الاحوال، انني عائدة الى لندن، الآن هي لن تكون هناك لتزعج جان – بول ... »

قال بصوت بارد:« لم يسمح لها مطلقاً ان تزعج جان – بول، اذا فكرت بالامر، آنسة، لعلمت انها لم تقترب او تتكلم معه حتى. قد يتخيل له انني كنت سأخطف لكن لم يغب عن فكري مطلقاً ان جان – بول في خطر. بالكاد كنت ابعد نظري عن دنيز. لقد قلت انك راجعة الى لندن. فلا تدعيني اؤخرك. لقد اعطيت رأيك بي في عدة مناسبات بصراحة ولقد اضفت

على ذلك عندما هبطنا في باريس. هناك طائرة ستقلع على الفور واقترح عليك ان تطيري بها. سأكون منشغلاً بالاهتمام بابن اخي من الآن وصاعداً.»

بدأت بالقول وهي يائسة :« لم أكن أعلم .» لكنه قاطعها بطريقته المعتادة منذ أن تعرفت عليه في المرة الأولى.

« لا، لم تكوني تعلمين لكنك كنت تحكمين. أختك أيضاً كانت تحكم علي لأنك كنت تقولين كلماتها، وليس كلمات تيري. يبدو أن هذا الأمر يجري في عائلتكم بوضوح. كنت دائماً أشعر بالشفقة على أخي . لقد تزوج وهو صغير وبلا حكمة ودراية. يبدو أنه سيدفع ثمن غلطته تلك طوال حياته. لقد حان الوقت لأتدخل.»

همست ستيفاني:« ما الذي ستقوم به؟»

قال:« لا شك في أنك ستسمعين عن كل ذلك من اختك عندما تتحدثين معها عن الطرق الفرنسية للرجال الفرنسيين. والآن، آنسة كاين، لقد اقترب موعد رحيلك. أنصحك بالإسراع بالعودة الى الهدوء والأمان في انجلترا.»

ركض جان – بول عائداً فانحنت ستيفاني بقربه، وهي تحاول جاهدة أن لا تبكي.

قالت بنعومة وهي تعانقه عندما امتلأت عيناه بالدموع:«إنني عائدة الى بلادي، جان – بول، ستراني في القريب العاجل، فلا تقلق عندما يعود والداك سيأخذانك لتراني. وربما قد يسمحان لك بالبقاء معي لفترة وهكذا سنذهب في عدة نزهات في لندن.»

قال بصدق:« أفضل أن تبقي معي الآن، ستيفي.» لكنها ابتسمت له وهزت رأسها.

قالت تذكره:« سيكون معك عمك كريستيان، ليس هناك من خطر الآن وتلك المرأة قد رحلت. ستكون سعيداً.»

تدخل كريستيان ممسكاً بيد جان بول ليبعده عن ستيفاني:« هناك الكثير لنقوم به. عليك أن تتعرف على باريس جيداً ومن الآن وصاعداً ستتحدث دائماً باللغة الفرنسية. وهذا سيساعدك لتتحضر للمدرسة.»

قال بحزن وهو ينظر الى ستيفاني:« اتساءل متى سيصل أبي وأمي؟»

ابتسمت له وقالت:« في أية لحظة الآن. وهكذل سترى أننا سنكون معاً بعد وقت قصير.»

سأل جان – بول متأملاً:« وعمي كريستيان أيضاً؟ »

قال كريستيان بدبلوماسية:« قد يحتاج اندريه لبعض المساعدة بالأمتعة، قبل خالتك وودعها ثم إذهب لرؤية ما تستطيع فعله مع اندريه.»

هذا ما ساعد جان – بول على أن يسيطر على نفسه فضم ستيفاني وقبلها قبل أن يركض ثانية باتجاه سائق كريستيان.

همست ستيفاني وهي تنظر الى الأرض :« شكراً لك ، لو أنه بكى لما تمكنت من ...»

قاطعها ببرود :«لن يبكي . وأنا سأعمل على التأكد من ذلك. لقد نادوا على المسافرين الى لندن. اقترح عليك الذهاب قبل أن يمسك بك ثانية.»

قالت بمرارة:« لا تحاول أن تجعلني اشعر بالذنب.»

« هل أفعل ذلك؟ لقد وعدته انك سترينه مجدداً، وانكم ستجتمعون مجدداً. فلم عليك الشعور بالذنب، آنسة؟ لا تقلقي، لن أحاول التواجد عندما يحدث ذلك الإجتماع.»

كانت تشعر بالذنب ليس من أجل جان – بول. بل لانها اساءت الحكم على كريستيان بعدة أشياء.

قالت:« استطيع ان أفهم لماذا كنت تحاول ان تمثل عليها.»

نظر اليها ببرود وقال بسخرية:« حقاً؟ لقد كانت تضحية صغيرة من أجل وضعها في السجن في كل الأحوال، ماذا يعني هذا العمل انه لا شيء، تصرف طبيعي فقط.»

شحب لون وجهها، واستدارت نحو المكتب، حتى لم تلوح لجان – بول. عليها المغادرة بسرعة قصوى. فعيناها قد امتلأتا بالدموع..

حصلت على تذكرة السفر وهي تكاد لا ترى، ولم تسمع شيئاً مما قيل لها، سارت بخطى متعثرة نحو المدخل الخطأ.

امسك كريستيان بذراعها واعادها الى المدخل وهو يقول:« ليس من هنا!» كانت الدموع تنهمر على وجهها حتى تكاد لاترى، وامسك بها عندما كادت ان تصطدم بأحد الحواجز.

تمتم غاضباً:« ستيفاني! ماذا علي القيام به من أجلك؟»

قالت وهي تبتعد عنه:« لاشيء. لم أعد ممن تهتم بهم بعد الآن ولن أكون ابداً لأنني لن أراك ثانية. الوداع.»

سارت مبتعدة ولم يقم بشيء ليمنعها. ولم تستدر هي أيضاً. لقد انتهى الأمر كلياً. وجزيرة الأحلام قد دمرت لأنها لن تعود الى هناك ابداً من دون ان ترى كريستيان في كل حبة رمل، وفي كل موجة زرقاء. ستسمع صوته مع صوت الريح وسترى عينيه اللامعتين في السماء الصافية. لن تزور سانت لوسيان ثانية، ولايهم مدى المشاكل التي ستحصل مع فيونا.

• • •

خلال الأسابيع القليلة القادمة استلمت ستيفاني رسالة من

جان – بول. كانت مليئة بالحماسة مع العم كريستيان وكان من الواضح انه استقر نهائياً من دونها. عمل كريستيان جيداً للتأكد من ذلك. لم تفكر بذلك وهي تشعر بأية مرارة، فكريستيان يحب جان – بول وهو يعلم انه سيفتقدها اذا تسنى له الوقت لذلك. لكن كيف تمكن كريستيان من القيام بعمله والاستمرار بهذا النظام، بالخروج مع جان – بول بصورة دائمة. هذا ما لم تعرفه.

قالت ديبورا سوفيت وهي وكيلة أعمالها: «تبدين مرتعبة.» عندما ذهبت الى المكتب لتتأكد من اعمالها.

قالت ستيفاني بخشونة: « شكراً لك. لا شيء مثل الحقيقة لقتل الصدى القديم الطيب لي.»

قالت ديبورا فاقدة الصبر: « اه، توقفي عن ذلك! انت تدرين تماماً كيف تبدين، فانت اخصائية بعملك. مازال وجهك كما هو ولكن احذرك، انه يزداد نحولاً، هذا هو التقدم في السن، صديقتي! كما وأنك خسرت ذلك الإسمرار الرائع ايضاً. عليك استخدام الاسمرار الإصطناعي.»

سألت ستيفاني: « لم أفكر يوماً ان الإسمرار ضروري؟» ونظرت الى نفسها في المرآة، وهي غير مهتمة لانعكاس صورتها التي كانت تحدق بها بعينين واسعتين جداً.

« ليس بالنسبة اليك، في كل الأحوال. اسمرارك يذوب بسرعة لأنك شاحبة. هل أنت مريضة؟»

كذبت ستيفاني وهي تتصنع الفرح: « لم أكن يوماً أفضل.»

« حسناً. لا أحد يعلم. اعتقد انك تخفين شيئاً عني.»

قالت ستيفاني: « انت وكيلة اعمالي ولست طَبيبتي. لنتحدث عن الأعمال، اذا كان هناك عمل.»

قالت ديبورا بثقة: « الكثير الكثير. اكثر مما تستطيعين القيام به، على ما أعتقد. سأعمل على القيام به كله ضمن جدول خاص لكن عليك العمل بسرعة قصوى منذ بداية الاسبوع المقبل لذلك عليك القيام بالراحة قليلاً، او بعض النوم ... او اي شيء.»

او اي شيء ... تأملت ستيفاني وهي تسير عبر الشارع المزدحم فهي لا تحظى بأية راحة او بقليل من النوم. انها تشعر وكأنها مسلوبة الفكر والقلب. حتى أنها تتخيل انها ترى كريستيان في كل سيارة تمر أمامها، وفي كل واجهة محل.

انه في باريس ومن الأفضل لها ان تتخلص من التفكير به نهائياً. لو أنه يهتم بها لكان قدم لرؤيتها.

لم يمض على دخولها الى منزلها اكثر من عشر دقائق عندما وصلت فيونا وتيري فرمت بنفسها بين ذراعي شقيقتها. كانت فيونا مزعجة، متآمرة ومحتالة وتسيطر على الناس لكنها تحبها. لم تشك يوماً بذلك.

اكدت فيونا وهي تضحك عندما تمكنت من التخلص من عناق ستيفاني: « انا بصحة جيدة وعدت الى لندن. لدي عرج خفيف سيختفي بعد فترة. ما رأيك ببعض الشاي؟ فأنا وتيري نشعر بالضعف من التعب.»

تمتمت ستيفاني على الفور: « اه، اني آسفة.» ونظرت الى تيري الذي كان يراقبها باهتمام. قبلته على خده وابتعدت وتوجهت على الفور الى المطبخ قبل أن يقول اي شيء.

شعرت بالإمتنان لأنه لا يشبه كريستيان. فهي لن تستطيع تحمل ذلك! حضرت الشاي، وهي تبتسم ابتسامة واسعة، فنظرت اليها فيونا باهتمام بعد ان رشفت رشفة من فنجانها.

قالت بجدية:« علينا ان نشكرك. لقد كنا في باريس واخبرنا كريستيان بكل شيء. اعلم انك احتجت الى شجاعة كبيرة لتقومين بما قمت به، ستيفاني، واعلم انه قرار صعب ان توافقي على ان تخفي الأمر عنا.»

قال تيري بحزم:« لن نضعك مطلقاً في هذا الوضع ثانية، كان من الممكن ان تصابي بأذى.»

اكدت له وهي تبتسم:« حسناً، هذا لم يحدث.» لقد اصيبت بالاذى لكنه ليس من النوع الذي يقصده تيري، تابعت:« اذا استرجعت الامر كله، كانت مغامرة جميلة.»

قال تيري:« نحن ممتنان لك لأن جان – بول لم يعرف انه كان في خطر، اخبرنا كريستيان عن سرعة تفكيرك بتلفيق خبر له عندما شعر بالقلق. لابد انك تنجحين كممثلة.»

قالت لهما وهي تتصنع الفرح:« الكذب بسيط عندما تستطيع ان تربط الأمور.»

شعرت بأنه من الصعب عليها ان تتابع الابتسام، وان تحتفظ بالفرح في عينيها. لماذا يستمران بذكر كريستيان؟

قالت فيونا، وكأنها سمعت اسمه في ذاكرة اختها:« سينقلنا الى باريس، قال انه ليس علينا الافتراق عن جان – بول وعلي ان اعترف، هذا اراحنا كثيراً.»

شعرت ستيفاني بالصدمة وكان من الصعب عليها ان تحتفظ بملامح الفرح تلك. هل هذا يعني انه اهتم لكلامها القاسي الذي رمته به في المطار في باريس، أم انه كان يقصد ان يفعل ذلك منذ البداية؟ تذكرت ما قاله عن زواج اخيه المتسرع، وعن رغبته بالتدخل، فنظرت الى فيونا قلقة.

قالت:« هل احضرت جان بول معك الآن؟»

قال تيري:« انه مع كريستيان، وسنعود الى باريس الليلة. نحن هنا فقط لنراك، عزيزتي، وفي خلال يومين سنذهب الى جزيرة سانت لوسيان لنحضر كل ما نحتاجه وسيذهب جان بول معنا. سنستقر نهائياً في باريس في وقت دخوله الى مدرسته الجديدة.»

نظرت ستيفاني اليهما باهتمام. هناك شيء مختلف بفيونا وتيري. انه أشد حزناً، وأكثر وقاراً ومن المؤكد ان فيونا لا تستلم زمام الأمور الآن. لا تعلم انه تلقى محاضرة مهمة من كريستيان او أن الحادث قد غير طريقة تيري بالنظر الى الامور. انه يبدو بوضوح اكثر سيطرة.

قالت فيونا فجأة، وهي تنظر الى ستيفاني نظرة الشقيقة الكبرى:«انت ضعيفة جداً!ما الذي حدث لك؟ هل انت مريضة؟»

قالت بسرعة:« انني بخير تماماً، كما ان لدي الكثير من الاعمال.» اضافت، كي تتخلص من التحدث عن مظهرها باكثر سرعة ممكنة:« هناك عطر جديد، وهم يريدون وجهي لذلك. وصدقي ان شئت ام لا، وستون يريدني.»

« صاحب المجوهرات المشهور؟» وبالحال اهتمت فيونا للامر وشعرت ستيفاني بالراحة انها تخلصت من اهتمام اختها بصمتها.

قالت:« نعم، انهم يريدون اليدين والذراعين. وانتظر من ديبورا ان تعلمني بما يستجد. فهي متأكدة ان هناك من يهتم ايضاً بعرض جديد.»

وعندما ذهبت فيونا لتعيد الاهتمام بمكياجها، نظرت ستيفاني بقلق نحو صهرها. كان لا يزال يراقبها وادركت انه لم يتأثر بتغيرها السريع للموضوع.

قال:« انت لست ذات الفتاة التي حضرت الى سانت لوسيان، ستيفاني. اما انك مريضة او ان الامور كانت قاسية جداً عليك.»

قالت باصرار:«لقد اخبرتك، كانت مجرد مغامرة. لا يحصل احد على عطلة كهذه. كانت مغامرة رائعة. وعندما تصبح الامور منسية تماماً سأخبرها للجميع كقصة متسلسلة.»

راقبتها عيناه الداكنتان باهتمام بعدها هز رأسه، وابتسم ابتسامة خفيفة. قال:« حسناً، اذا كان هذا ما تقولينه لكن ان احتجت الينا، ستيفاني، كل ما عليك القيام به هو الاتصال بنا وسنكون هنا على الفور.»

قالت بنعومة:« انت صهر جيد، واستطيع ان ارى لماذا تزوجت منك فيونا.»

ضحك مبتعداً عن موضوع صحتها، وقال:« وهي ايضاً - الآن. انها افضل عندما تبقى تحت السيطرة وهي اكثر سعادة.»

« انها تبدو كذلك، وهذا ما يسعدني.» ابتسمت ستيفاني له فابتسم لها وقال:« انا لن... ماذا يقال؟ ابتعد عن الموضوع. بالكاد اصبحت حريصاً على كل شيء. عندما نعود من سانت لوسيان سنحضر لرؤيتك على الفور. وان لم تكوني افضل اريد ان اعرف السبب ولن ارضى بأقل من ذلك.»

قالت بجدية:« لا تأخذ دورك الآن كسيد المنزل بطريقة جدية. انني قريبة لك بصلة الزواج فقط.»

قال بفخر:« نحن في فرنسا، نهتم لكل اقربائنا. وانت مميزة ايضاً. انت شقيقة زوجتي، وبالنسبة للعادات الفرنسية، انت تحت سلطتي ايضاً.»

سألت:« هل تريد ان نتشاجر؟» فضحك ثانية، وعاد الى

طبيعته التي تعرفها مع انه ليس بالتحديد. انه اقوى بكل شيء وتساءلت ان كان سبب الصدمة من رؤية فيونا مجروحة او مما تعرض له او انه كريستيان وبعض تهديداته.

قالت:« يسعدني انك ستبقى دائماً مع جان - بول.»

« وانا ايضاً. لقد طلبت عدة مرات ان انتقل الى باريس، وكنت اعلم ان ذلك اليوم سيأتي عندما سيدخل جان - بول الى المدرسة، لكن حتى الآن تجاهل كريستيان طلبي. ربما لم يأخذه على محمل الجد، او ربما لم اكن اطلب ذلك باقناع كاف.»

سألت ستيفاني:« ولما وافق على نقلك الآن؟» هز كتفيه بطريقة جعلتها تتذكر كريستيان.

قال:« سيتزوج كريستيان، او هذا ما اعتقده، لانه اخبرني بحزم شديد انه عندما يصبح لديه اطفال سيكون قريباً منهم دائماً.»

شعرت ستيفاني وكأنها سقطت في بركة ماء. كريستيان سيتزوج ويصبح له عائلة خاصة به. تلك الفكرة مزقت قلبها، وجعلتها تشعر بالمرض، فكل احلامها قد انهارت كلياً. فليس لأنه كان يمثل دوراً على دنيز باسكال يعني انه لا يحب امرأة اخرى ويرغب بالزواج بها. انها لا تعرف شيئاً عن حياته، تمتمت بغموض:« سيكون ... سيكون زوجاً صعباً.» ارادت ان تبتعد لتبكي لكن عليها البقاء ومواجهة تيري.

قال بهدوء:« ربما، هل انت سعيدة، ستيفاني؟»

« بالطبع، لم تسأل؟»

نظر اليها مستفهماً وقال:« انا لست اعمى. انت ضعيفة جداً، عزيزتي، بل نحيلة وشاحبة ايضاً.»

قالت تكذب:« لقد تعرضت لنزلة صدرية، ارجوك لا تذكر الامر ثانية، تيري. لا اريد فيونا ان تثير الامر.»

توقف تيري عن ذكر الموضوع لكن ستيفاني شعرت انه يظن ان سبب شحوبها الوقت الذي امضته مع كريستيان. تمنت ان لا يقول له شيئاً. اذا اخبر كريستيان انها نحيلة وتذوب من البعاد، فلن تستطيع تحمل الامر.

بعد ان غادرا نظرت الى نفسها بجدية للمرة الاولى ورأت ما يراه كل شخص آخر عندما ينظر اليها. انها ضعيفة جداً، بل نحيلة. وهناك بقع سوداء تحت عينيها وهذا لم يحدث لها مطلقاً مهما سهرت ومهما عملت لساعات طويلة. وبدلاً من ان تبدو اكبر سناً انها تبدو صغيرة، وكأنها لم تكبر بعد ولم تصل الى مرحلة النضوج. عليها ان تفعل شيئاً بسبب ذلك. لانها لا تبدو مطلقاً كالصور التي كانت تؤخذ لها. انها بالكاد تعرف نفسها. شعرت وكأنها ترتجف وهي تفكر انه سيتزوج، وسيصبح لديه اطفال.

لن تذهب مطلقاً الى باريس، ولا يهم كم ستبقى فيونا وتيري هناك. حتى انها لن تذهب لرؤية جان – بول.

اصبحت باريس الآن تعني لها كريستيان وهي لن تسمح لنفسها ان تراه ولو لمرة واحدة طوال حياتها والا ستشعر وكأنها لن تعود حرة. لقد كانت دائماً تشعر بأنها حرة، سعيدة وتعيش ببساطة ومرح. اما الآن فهي تشعر بالحزن وبالهجران. لسبب ما لا تستطيع ان تفهمه، تشعر وكأنها ملك لكريستيان، انها تحبه.

الفصل العاشر

اجبرت ستيفاني نفسها على الخروج في صباح اليوم التالي. من السهولة عليها ان تبقى في شقتها وهي تذوي من اجل كريستيان لكن لديها حياة عليها ان تعيشها والجلوس حالمة به لن يساعدها ابداً في مواجهة الامور. لقد وصل البريد وفيه برنامج عملها من وكيلة اعمالها وهي ليست متأكدة انها تستطيع تحقيق كل هذا. فهي تشعر وكأنها فقدت كل قوتها. كانت تغلق بابها عندما رفعت رأسها لترى وجهاً كانت تفضل ان لا تراه ابداً.

كان ذلك ركس دانيالز، ممثل كانت تعرفه منذ بعض الوقت، قال:« كنت قادماً لزيارتك.» كان يلاحقها بشكل دائم جاعلاً من نفسه تافهاً. لكنه كان من ذلك النوع من الرجال الذي يشعر بأنه لا يقاوم ولذلك كانت ستيفاني تتجنبه وكأنه الطاعون.

قالت وهي تحاول ان تبتسم:« يا للأسف، انني خارجة.»

لم ينصرف مع ذلك – فلا شيء يجعله يتراجع – وتركت ستيفاني الامور تسير على هواها. فما الفرق؟ انه شخص تستطيع التحدث معه، شخص لا يذكرها بكريستيان.

تصرفها الايجابي هذا جعله يتشجع ويدعوها للغداء، وهذا شيء كانت تتجنبه بمهارة من قبل. وعندما دعاها للذهاب الى حفلة في المساء وافقت. وهذا يعني انها لن تجلس بمفردها تتساءل من سيتصل بها ليبعدها عن حزنها ويأسها.

قال ركس:« سآتي لاصطحابك عند الثامنة.» فهزت رأسها موافقة وتركته.

بدا عليها انها مليئة بالندم. لو انها لم تتحدث معه ذلك الكلام القاسي. لو انها فقط تبعت قلبها وليس فكرها. مازالت تتذكر كيف امسك بها كريستيان وكيف قبلها، وبكل ما قاله لها على القارب في تلك الليلة. لقد كان على حق. كانت تحاربه بشكل متواصل لأنها كانت تشعر بالانجذاب نحوه. واخيراً لقد اشعلت الغيرة نفسها وجعلتها تقسو في الكلام عليه.

حضرت نفسها بطريقة اوتوماتيكية وتفاجأت عندما رأت انها تبدو جيدة. كان ثوبها من الحرير الازرق، قصير جداً ويلتصق تماماً بجسمها. ارتداءها هكذا يدل على تهور في تصرفها وركس ليس من الاشخاص الذين تستطيع الوثوق بهم في افضل الاوقات.

قرع الجرس عندما كانت تفكر في تغيير ثوبها لذلك بدلت رأيها وامسكت بمعطفها. لن تسمح له بالدخول وموافقتها الفورية على الخروج معه ضرب من الجنون. كان من الافضل لها ان تبقى في المنزل مع احلامها.

« ما هذا، ما هذا!»

انزعجت من نظراته ولمعت عيناها قليلاً، قالت وقد شعرت بالراحة لأنه يرتدي بدلة مع ربطة عنق سوداء اللون:«افترضت اننا ذاهبان الى مكان جميل؟»

سأل ركس وهو يبتسم ابتسامة واثقة:« وهل اختار مكاناً آخر؟»

فتراجعت ستيفاني عما كانت ستقوله. لقد سمحت لنفسها بالانغماس بهذا وعليها ان ترى ماذا سيحدث. طبيعتها

تساعدها على التصرف بشكل لائق ولقد وافقت على الذهاب. فمن الاهانة ان ترفض الآن.

كان الظلام قد حل. وما زال البرد القارس مسيطراً فالتفت بمعطفها وهما يسيران باتجاه سيارته. نسيت لعدة دقائق كريستيان وهي تحضر نفسها لهذه الامسية. وربما هذه علامة جيدة؟ لكن المشكلة انها لا تريد نسيانه. لقد حاولت ذلك ووجدت نفسها تعيسة اكثر. وكأنها تنكر وجودها.

ما ان وصلا الى فندق وست اند حيث تقام الحفلة، حتى عادت الى عالمها الخاص لتستعيد كل ما مر معها مع كريستيان، متمسكة بتلك الافكار بطريقة مرعبة.

قال ركس بهدوء مزعج:« علي القيام بشيء ما معك.» بعد ان رفضت ان تتناول اي شيء من شراب او طعام وبعد ان رقصت معه وكأنها غير موجودة.

كان وجهها الحزين يظهر كم هو ركس ممل فنظر اليها مستفهماً بحزن.

قالت ستيفاني وهي تحاول ان تبتسم:« اني آسفة، يبدو انني غير قادرة على الانسجام في هذه الامسية.»

شدها الى مكان مظلم ومن دون ان تدرك ضمها اليه وهو يقول:« لا تخافي، سأهتم بك.»

« دعني، ركس! استطيع ان اتحسن من دون ان تضمني.»

ضحك وهو يشدها اليه:« لا تكوني سخيفة. فأنا اعرفك.»

قالت بغضب وهي تدفعه عنها:« لقد دعوتني الى حفلة. فابتعد عني.»

بدا ركس بشعاً وهو ينظر اليها وقد ظهر الانزعاج على وجهه. وكانت ستيفاني سعيدة ان هناك عدداً كبيراً من

الناس قربها مع انها لا تريد ان تزعج احداً بالصراخ او ما شابه ذلك. كانت تقاوم بشدة عندما ظهر شخص وراء ركس ومجرد رؤيته جعلت ستيفاني تتوقف عن العراك وقد اختفى اللون من وجهها تماماً.

« دعها وشأنها!»

كان هناك اثر من اللهجة الفرنسية في صوته البارد كالثلج. استدار ركس ليجد نفسه يحدق بعينين زرقاوين يعدانه بالقتل. ابعد يديه عن ستيفاني لكنه كان غاضباً جداً ليقدر الخطر امامه.

قال بصوت كحفيف الافعى:« ابق بعيداً عن هذا! انها معي! ومن انت في كل الاحوال؟ فأنا اعرف الجميع هنا.»

قال كريستيان مهدداً:« دعها وشأنها وهكذا ستوفر علي مشكلة قتلك.»

قالت بصوت مرتجف:« اسمع، لننس الامر كله، ركس...»

قال بسرعة:« لا احد يخيفني. وهذا لا يعنيه. انه متطفل. اريد ان اعرف كيف دخل الى هنا.»

قال كريستيان ببرود:« لقد سرت على قدمي ودخلت، والآن ارغب في الخروج.» نظر الى ستيفاني بغضب واضح وقال آمراً بقسوة:« احضري معطفك.»

تحركت كي تطيع الأوامر لكن ركس حاول الامساك بذراعها، مصمماً ان يوقفها. لم تصل يده الى ذراعها لأن كريستيان امسك بذراعه بقوة جعلته يجفل.

قال بهدوء خبيث:« ستيفاني معي، عد الى اصدقائك.»

يبدو ان قوة يده قد اقنعت ركس في نهاية الامر فابتعد بعد ان نظر بمرارة نحو ستيفاني وانصرف عنهما.

قال كريستيان:« والآن سنغادر. احضري معطفك.» بدا عليه انه ازداد غضباً وعندما تسلمت معطفها امسك بذراعها بقبضة حديدية ووجدت نفسها خارجاً في الهواء البارد، كانت بالكاد تلمس قدماها الارض بينما كان يسرع بها نحو سيارته.

قالت ستيفاني:« عليك الحصول على بطاقة كي توقف سيارتك هنا.»

قال:« ستبقين صامتة حتى نصل الى المنزل. وهناك يمكنك ان تفسري لي ماذا كنت تفعلين مع ذلك الرجل.»

« لقد ... لقد كنت في حفلة...»

قاطعها بسرعة:« استطيع ان افهم اي نوع من الحفلات كان يفكر فيها صديقك. انت لم تعودي بامان كي تعيشين بمفردك. اصمتي! يمكنك ان تفكري بأعذار جيدة لتصرفك هذا.»

وعلى الفور وجدت نفسها في سيارته الفخمة والمريحة ولم تستطع التفكير بأي شيء لتقوله. انه هنا! لم هو هنا؟ هل حضر ليؤكد لها انها يجب ان تبقى تحت الرعاية؟ هل قال له تيري شيئاً؟ وكيف عرف اين هي وكيف يعرف اين تسكن، لم تستطع ان تتصور كل هذا.

سألت بعد قليل، عندما لاحظت انه يقود سيارته والحزن واضح على وجهه:« كيف عرفت اين اكون؟»

قال:« اعطتني فيونا العنوان فوصلت عندما كنت تغادرين، فلحقت بك.»

سألت هامسة:« لماذا؟»

« اردت التحدث معك. لكن يبدو ان الامور سارت الى الافضل. اذا كانت تلك حفلة خاصة فهي ليست خاصة جداً. دخلت ولم يسألني احد. لقد كنت اجلس هناك منذ دخولك.»

تمتمت ستيفاني: «كنت تتجسس علي.» وشعرت بالقلق لأنه رأى كم هي يائسة وحزينة.

صحح لها ببرود: «كنت اراقبك، لحسن الحظ انني كنت هناك. يبدو انك لم تعودي قادرة على مهاجمة الاعداء كما كنت في السابق. او ربما انه ليس بعدو؟»

قالت تشرح له: «انا فقط اعرفه.» فزفر بضيق واضح.

وقال بلهجة آمرة: «سنتحدث عن ذلك في شقتك.» فاستدارت ستيفاني ونظرت اليه بغضب. ارادت ان يمسكها، ان يضمها بين ذراعيه، لكن كل الذي يفعله يناقشها وهو بارد كالثلج. لم يتغير بشيء.

«لن اسمح لك بالدخول الى شقتي!»

«لم اخلع باباً من قبل، ستكون تجربة جديدة.»

قال بحدة عندما دخلا المنزل واغلقت ستيفاني الباب: «والآن، يمكنك شرح ما حدث.»

قالت بسرعة: «لا شيء لدي لأفسره. لا ارى سبباً لوجودك هنا ولما تتخيل انك تستطيع اخباري بما علي القيام به.»

قال: «انا هنا لأراك، وهذا واضح.» واخذ يتجول في الغرفة الواسعة، وبدا لستيفاني انه غير معجب بها.

قالت وهي غاضبة وقلقة معاً: «اذا كانت شقتي لا تعجبك فلا داعي لأن تكون هنا.»

سألها: «ما زلت تحكمين بسرعة على الامور؟» استدار ليواجهها وهو يتابع: «الشقة جميلة، دافئة وجذابة. ارغب بالبقاء. قد يكون الصراخ من على مسافة هو طريقتك في حل الامور. لكنها ليست طريقتي.»

قالت: «اريد فقط ان اعرف لم اتيت.» رأت انه من الصعب

عليها ان تنظر اليه فكيف وهو يقف ببساطة ويحدق فيها.

«عاد تيري الى باريس البارحة واخبرني انك مريضة. وبالنسبة الى اخي، يقع اللوم علي بذلك.»

نظرت اليه كالمصدومة، وقد احمر وجهها من الغضب ليعود شاحباً ثانية. قالت: «لم اقل ذلك ابداً. لم اقل له شيئاً على الاطلاق، لم تخيل...؟»

قاطعها قائلاً: «اعتقد ان مظهرك كان كافياً ليجعل مخيلته تعمل. ما هذا الجنون الاخير بأن تصبحي جلداً وعظماً؟ هل اتخذت هذا القرار بنفسك ام طلب منك ذلك لاحدى المجلات؟»

«انها ... انها الموضة.» لكنه قاطعها وقد فقد صبره.

«لا مجال لذلك! ومن المستحيل الوصول الى الجمال التام. وعلى ما اتذكر كان من المتفق عليه انك اجمل امرأة في العالم. لكن بما انني اعرفك، بالطبع اتخيل انك تحاولين القيام بشيء جديد. ومن الواضح انك تفقدين صحتك وفي ذات الوقت استطيع ان افهم لماذا كان تيري قلقاً.»

قالت بصوت مرتجف: «ليس هناك شيء يتعلق بك، او بأخيك تيري ايضاً ولأنه اصبح فجأة يترأس فعليه ان لا يفكر انه يستطيع ان يأمرني — وان يرسلك الى هنا...»

قاطعها بصوت قلق: «انه لم يرسلني الى هنا. انا اتيت برغبتي الخاصة. هل ستذهبين وتخلعين هذا الثوب الضيق والقصير، حتى الآن فأنا اقاوم كي لا امزقه الى قطع.»

«ليس هناك من سوء في هذا الثوب، انه غال جداً. ويناسبني — وفي كل الاحوال، كنت في حفلة عندما ...»

«نعم، الحفلة! من هو ذلك الرجل الذي كان يتهجم عليك؟»

تمتمت: «انه شخص اعرفه. لقد دعاني الى الحفلة و...»

« وقرر ان يقيم حفلة خاصة به، لديك ذوق غريب في اختيار الاصدقاء.»

« انه ليس صديقي.»

بدأت تشعر وكأنها حشرت في زاوية وان كريستيان يسمرها بعينيه الزرقاوين الغامضتين حتى انها تلعثمت وهي تكمل:« كنت دائماً اتجنبه، لكن...» واختفى صوتها بينما حدق بها صامتاً.

ليقول بعد قليل:« لكنك قررت الخروج معه الليلة. وانت ترتدين هذا الثوب؟ الى اي مدى كنت استمريت لو لم اتدخل؟»

اشتعلت ستيفاني غضباً، قالت:« ما الذي تقصده؟ لا حقوق لك لدي. استطيع الاهتمام بنفسي ولقد كنت فعلت ذلك لو لم تتدخل ... بعنف. وهل يمكنك التوقف عن مناداتي آنسة بهذه اللهجة المتعالية؟ لا شيء من كل هذا يعنيك.»

اصر كريستيان قائلا:« لماذا ذهبت معه؟ لقد راقبتك طوال الوقت. لم تكوني مرحة وتتمتعين بالسهرة. كنت حزينة.»

قالت بغضب:« لم اكن في مزاج جيد.»

« لم ذهبت اذاً؟»

« لأنني اردت الذهاب، لأنني لا اهتم، لان لا شيء يهم.»

قالت بصوت غامض:« انني آسفة للصراخ، يسعدني قدومك. اريد ان اقول لك انني ندمت على التحدث معك كما فعلت. مرة ثانية، ها نحن نتشاجر.» تنهدت بقوة وتابعت:«لكن ما اهمية ذلك؟ سأذهب لاغير ثيابي.»

« هل انت مريضة؟» كان كريستيان خلفها، قريب جداً مع انها لم تسمعه يتحرك. فشعرت بغصة في صدرها.

« انا لست مريضة. اعلم انني فقدت قليلاً من وزني، لكن

اتوقع ان ذلك يعود للطقس أو لأي شيء آخر. لكن هذا لا يعني انني مريضة وحتى لو كنت...»

قال محذراً:« ستيفاني.» وامسك بكتفيها وادارها لتواجهه. سأل بلطف:« ما الامر، جميلتي؟ لم تبكين؟ هل اخفتك بغضبي؟»

« انا لست خائفة. لا شيء يخيفني وعليك ان تعرف ذلك.»

انهمرت دموعها على خديها، فابعدت وجهها من اصابعه المشدودة، تابعت:« اذاً اتيت الى هنا لتخيفني...»

« اتيت لأراك. كان علي رؤيتك. عندما قال تيري انك تبدين مريضة لم اتمكن من النوم.» امسك بوجهها ثانية، بيديه الاثنتين وتابع:« اخبريني الحقيقة! لم تبدين هكذا؟ لم تبكين وقد قمت بما فيه الكفاية، وقلت ما فيه الكفاية، لأجعل حبيبتي ستيفاني ترميني بأشياء ثقيلة؟»

حدقت به من خلال دموعها. لقد ناداها حبيبته.

همست قائلة:« لقد افتقدتك ولم يعد لي رغبة بالأكل. لا شيء كان كما في السابق حتى انك دائماً في احلامي.» انهت كلامها بحزن، فابتسم كريستيان وضمها اليه.

قال بنعومة:« لقد اعتمدت على شجاعتك، عزيزتي. تمنيت كثيراً ان تتجرأي وتقولي الحقيقة. ضمها اليه بقوة وبدأ يقبل دموعها وهو يقول:« لقد اشتقت اليك كثيراً وافتقدتك، وكنت افكر بك كل يوم، واذا كنت هكذا بسبب ابتعادي عنك، سابقيك بقربي، ولن اسمح لك بالغياب عن ناظري. ولن اسمح لك بتركي ثانية.»

قالت تذكره:« لم تحاول ان تبقيني بقربك من قبل.» مع انها وضعت ذراعيها حول عنقه.

همس قائلاً:« وكيف يمكنني ذلك؟ لقد امضيت وقتي في سانت لوسيان وانا احاول ان ابعدك عني. كان هناك دور علي القيام به مع دنيز وعلمت انني لو سمحت لعواطفي نحوك ان تظهر، ستتنبه للأمر وتعلم انني اعرف من تكون.»

احنى رأسه ونظر في عينيها وهو يتابع:« انا لم احبها يوماً، عزيزتي. اعلم انني كنت مجبراً على ضمها الي ومعانقتها لكن لا تفكري انه كان هناك المزيد.»

قالت بصراحة:« ولم لم تخبرني؟»

« في البداية لم استطع. فان وجهك يفضح ما تفكرين به. فانت لا تجيدين اخفاء افكارك. وفيما بعد، كان علي تركك ترحلين.»

قالت بحزن:« لماذا ؟لم كان عليك ذلك؟ يمكنك ان تعلم بما كنت اشعر به ولقد كنت حزينة جداً.»

قال بسرعة:« لا، حبيبتي، فالكلام الذي قلته اكد لي انني مخطىء عما شعرت به تجاهك. لقد اتهمتني باشياء كثيرة وقلت لنفسي لو انك تهتمين لي لكنت وثقت بي. لقد اعتقدت انك كنت تعتبرين الامر مغامرة. وفكرت انك ستعودين الى لندن وتعيشين حياتك كالسابق. فقط عندما اخبرني تيري انك تبدين مريضة وغير سعيدة عندها تجرأت وتأملت بحبك.»

قالت يائسة، وقد تذكرت فجأة:« يقول تيري انه سيصبح لديك عائلة.» حاولت الابتعاد عنه وهي تسأله:« هل ستتزوج؟» فهي لا تدري كيف تسير الحياة في عالمه الثري.

تمتم وهو يمرر باصبعه فوق وجهها ورقبتها:« اذا وافقت بأن تكوني العروس، لا استطيع الحصول على اطفال لهم شعر فضي الا اذا كنت انت أمهم.»

همست قائلة:« اعتقدت انني لن اراك ثانية، اعتقدت انك ستتزوج. لم استطع تحمل ذلك.»

قال بلهجة غاضبة:« وانا اعتقدت انك نسيتني. كنت لي ولم استطع ان اعترف بذلك. الليلة اعتقدت انك عدت الى حياتك السابقة. كنت مع اناس لا اعرفهم، ومع رجل آخر ترتدين ثوباً جعل قلبي يتوقف!» فجأة ظهر الارتياح على وجهه، ولمسها بلطف شديد:« لكنني نظرت الى وجهك تحت الاضواء ورأيت كم انت شاحبة، وكيف هاتان العينان فقدتا بريقهما. كنت تذوبين من اجلي، عزيزتي، أليس كذلك؟»

« طوال الوقت، حتى كنت اتخيل انني اراك لكن لم تكن انت.»

قال وهو يبتسم:« هس، انا هنا الآن، سنرى ماذا سيحل بهذا الضعف الغريب بعد قضاء عدة ايام بقربي. سآخذك غداً الى منزلي. لقد حلمت بك هناك بجانبي طوال الحياة.»

قالت معترضة:« لقد كنت تكرهني.»

صحح لها بحزن:« كنت اكره نفسي. اعتقدت انني انظر الى مراهقة وصدمت عندما شعرت بحبي لك. حتى عندما علمت انك اكبر سناً لم يتغير احساسي بالذنب. فقط عندما ارتديت ثياباً كامرأة ناضجة شعرت بالارتياح.»

قالت وهي تضحك:« لكن هذا لم يغير موقفك تجاهي .»

فنظر اليها بمرح وقال:« هل كنت تتوقعين ان اتغير؟ كنت دائماً تراقبين جان – بول. وكانت دنيز تتجسس علي من كل مكان، وكان علي حماية جان – بول، كما لم اكن اعلم ما الذي ستقومين به في اية لحظة. كنت خائفاً منك. لقد كان الامر مربكاً.»

قالت:« ما زلت لا افهم لماذا لم نذهب جميعاً الى القارب.»

«لقد اخبرت دنيز ان القارب قد عاد الى الحصون الفرنسية. فلقد كانت تحت انطباع اننا بمفردنا في المنزل وليس هناك من يساعدنا. لو انها علمت انه مازال راسياً بالقرب لاعلمت مساعديها ولما تمكنا من القبض عليهم بسهولة. وعندما هاجمت الرجلين، قررت انها بلا شك كانت تراقبنا وانه لا مجال لترك الاحداث تفلت من ايدينا. تخلصت منها وتأملت ان تلقي الشرطة القبض على الرجال عندما يأتون للاتصال بها.»

« عندما اتت، اعتقدت انها حبيبتك. كانت على القارب معك.»

قال: «لم تكن لي نية في ابعادها عني، لقد تمكنوا من النجاح سابقاً بسبب معلومات من امرأة كدنيز مررتها لهم. على متن الباخرة لا تستطيع الاتصال بهم بهم، ولهذا تمكن رجال الشرطة من القبض عليهم. ولهذا ساروا جميعاً الى الفخ.»

قالت تذكره: «مع انه لم يكن عددهم كبيراً.»

«كنت اتوقع ذلك. فأنا اعرف وسائلهم. اولا يدخل احدهم الى منزل الضحية. احياناً يكون خادماً، او شيئاً ما، مثل دنيز، كامرأة جذابة تقحم حياتها في عائلة الضحية. عدة نساء تعملن على ذلك. لم اكن اعرف دنيز من قبل لكنني كنت اتوقع حضورها. كان هناك شخصان ينتظران في فرنسا للتعاون. وعندما تأكدت من القاء القبض على الباقين في سانت لوسيان، كدت لا انتظر الاخبار عنهم في فرنسا. بعدها كان علي احضار دنيز الى باريس.»

قالت بجدية: «كان الامر كالصدمة.»

فضحك وقال: «كانت بالتأكيد صدمة لها. في ذلك الوقت تم القبض على الجميع.»

قالت على مهل: «لقد كانت في غرفتك.»

سألها وهو ينظر اليها: «هل تثقين بي، ستيفاني؟»

«نعم، لقد وثقت بك دائماً، كما اعتقد. لقد حاربتك كثيراً لكن اعتمدت عليك ولقد شعرت بالرعب لو تأذيت.» لكنها نظرت اليه بجدية وتابعت: «لكنها كانت في غرفتك.»

« لم اشك بذلك، مطلقاً. كنت اعتقد انها كانت تتجسس. لكنها لم تكن في غرفتي وانا فيها.»

قالت ستيفاني: «اعلم، واذا نظرنا الى ما حدث ثانية، فأنا لم اساعدك كثيراً.»

ابتسم وهو ينظر اليها: «لكنك تركت انطباعاً جيداً، عزيزتي. لدي رجلين سينتبهان كثيراً ان يضعا نظارات شمسية عندما يقتربان من الرمال. ولدي قبطان مازال مندهشاً بجمالك كما ان لدي طاقماً سينظر دائماً الى الشراع وهو يتخيل انك مازلت متعلقة هناك.»

« انت تقول انني اعمل على افساد الامور؟»

قال موافقاً: «مهما يكن، ربما انا كذلك. لكن لم يكن هناك اية مصيبة. فلقد تمكنت من الامساك بك وتقبيلك كما انك علمتني ان اتلفت دائماً من حولي فقد اجد من يتعمد اهانتي.» ابتسم لها وضمها اليه وهو يتابع: «لقد علمتني كيف اكون مجنوناً بحبك.»

وهمس قائلاً: «وانا ماذا علمتك؟»

قالت: «لست ادري، سأخبرك عندما اعرف.»

* * *

سألت ستيفاني بعد فترة بينما كانا يجلسان قرب بعضهما: «ماذا حدث لفيونا؟ لقد بدت لي مختلفة.»

قال موافقاً: « حتى الآن. يبدو ان تيري يتولى زمام الامور. اعتقد ان ذلك سببه الحادث.»

قالت تذكره: « قلت انه قام بعمل خاطىء عندما تزوج من فيونا، ولقد هددت بالتدخل.»

تنهد وقال: « كنت مجروحاً، حبيبتي. لقد اظهرت لي انك لا تحبينني. فشعرت بالحزن وقلت اشياء لا اؤمن بها.»

وضعت ستيفاني يدها حول عنقه وقالت هامسة: « لن اسبب لك الالم ثانية، لم اكن اعلم انني استطيع القيام بذلك.»

« لا احد غيرك يقدر، فقط انت.» وبدت السعادة على وجهه فترددت في ان تبحث عن اي شيء آخر قد يثير غضبه. فأجاب كريستيان على سؤال لم تتفوه به.

« لم ارغب مطلقاً بتحمل مسؤولية جان – بول. لقد طلب تيري عدة مرات ان ينقل الى باريس لكن كانت فيونا في كل مرة تتذمر وتشكو. فشعرت بالحاجة على ان الوي ذراعها.»

قالت وهي تبتسم ابتسامة كبيرة عندما اظهر دهشته: « لقد قابلت من يستطيع مجاراتها في النهاية. مهما يكن، سيكون امر رائع رؤيتها دائماً. سنعيش جميعاً في باريس وسأحظى بوقت كاف لجان – بول.»

تمتم: « لن تحظي بوقت كثير. سيصبح لديك اطفال. وسيحظى جان – بول باولاد عم لهم شعر فضي وعيون واسعة رائعة. وهذا سيبقيكما مشغولان وبعيدان عن المشاكل.»

* * *

وقفت ستيفاني وجان بول امام النافذة في منزل كريستيان الواقع في ضواحي باريس وهما يراقبان تساقط الثلج بهدوء. وقد حضر جان – بول لتمضية عدة ايام برفقتهما.

قال بصوت مليء بالتأثر: « انه مذهل. لم ار الثلج في حياتي كلها. هل يمكننا الخروج والركض عليه، ستيفي؟»

« لا، لا يمكننا!» وضع كريستيان ورقة كان يحملها على مكتبه وتقدم ليقف قربهما، وضع ذراعه حول ستيفاني، وتابع: « ستيفي في وضع لا يسمح لها بالركض في الحديقة.»

اعلن جان – بول: « عندما يلد ابن عمي، سأعلمه كل شي.»

قالت ستيفاني: « قد تكون فتاة.» فنظر اليها باهتمام وقال: « لن امانع. انت فتاة وانت تجيدين اللعب والمرح اكثر من كل الصبيان في المدرسة. ارى انهم يخافون من المغامرات. اذا كانت ابنة عمي تشبهك، فستكون جيدة جداً.»

قال كريستيان بلطف: « لا شيء يمنعك من الخروج واللعب بالثلج بنفسك. فانت غير ملتصق بخالتك بسلسلة ما.»

قال جان – بول بحماسة: « سأذهب.» لكنه اضاف وقد تجهم وجهه: « لكن لن يكون الامر مسلياً كما هو مع ستيفي.»

قال كريستيان بنعومة عندما خرج جان – بول: « لا شيء ذو قيمة من دون ستيفي وانا اشعر بالامتنان لانك فتاة.»

سألته: « هل تريد صبياً ام فتاة؟ لم تقل ابداً ماذا تريد.»

قال وهو يقبلها: « لم اقل ابداً لانني لا اهتم. انا اريدك انت. اما الاطفال فهم ربح اضافي ووجودهم سعادة معك لكن حياتي مرتبطة بك وستبقى دائماً هكذا.»

تنهدت ستيفاني وقالت: « ربما ما كنت التقيت بك يوماً.»

« لا تفكري حتى بذلك. كانت حياتي فارغة من دونك.»

قالت مفكرة: « مع وجود فيونا وتيري هنا في باريس كنت قابلتك بالتأكيد، كما اتوقع. مع انني ما كنت اثرت انتباهك كما فعلت في الجزيرة وربما ما كنت لتهتم بي.»

« اهتم؟ ارى انك تريدين الوصول الى اعتراف. لا استطيع ايجاد الكلمات المناسبة لاصف ما شعرت به عندما رأيتك للمرة الاولى. الاهتمام، لا اجدها الكلمة المناسبة لذلك.»

« مع انني مازلت اقوم باعمال توقعني في المشاكل.»

« يبدو انك خلقت كذلك.»

ونظر الى وجهها الذي اصطبغ باللون الاحمر. اقتربت منه اكثر وهي تتذكر كم كانت حزينة عندما ابتعد عنها. الآن حب كريستيان يحيط بها ويملأ حياتها بالفرح والسعادة.

همس في اذنها:« وجد ابن اخي من يلاعبه.» ما ان دخل اندريه الى الحديقة لينضم الى جان – بول. وتابع:« عليك ان ترتاحي لفترة بعد الظهر. ستيفي الجميلة، كم احبك.»

نظرت ستيفاني الى عينيه الزرقاوين المشعتين، وظهرت السعادة على وجهها. وعندما قبلها اختفى العالم كله من حولها. انها في عالم خاص مع كريستيان، والاحساس بالقدر الذي شعرت به اصبح حقيقة في النهاية. لقد كان ذلك الاحساس هناك عندما كانت في التاسعة عشر من عمرها تراقبه بطريقة سرية. ولو انها علمت ان ذلك الاحساس الغريب الذي شعرت به، وكأنه يخبرها عن مستقبلها، لما كانت لتصدق ذلك. لكنها الآن هي تعلم ومتأكدة ان لا شيء غير السعادة والفرح يحيطان بها ويغمرانها الى آخر حياتها.

تمـــت